

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

معهد البحوث العلمية

مركز بحوث اللغة العربية وآدابها

مكة المكرمة

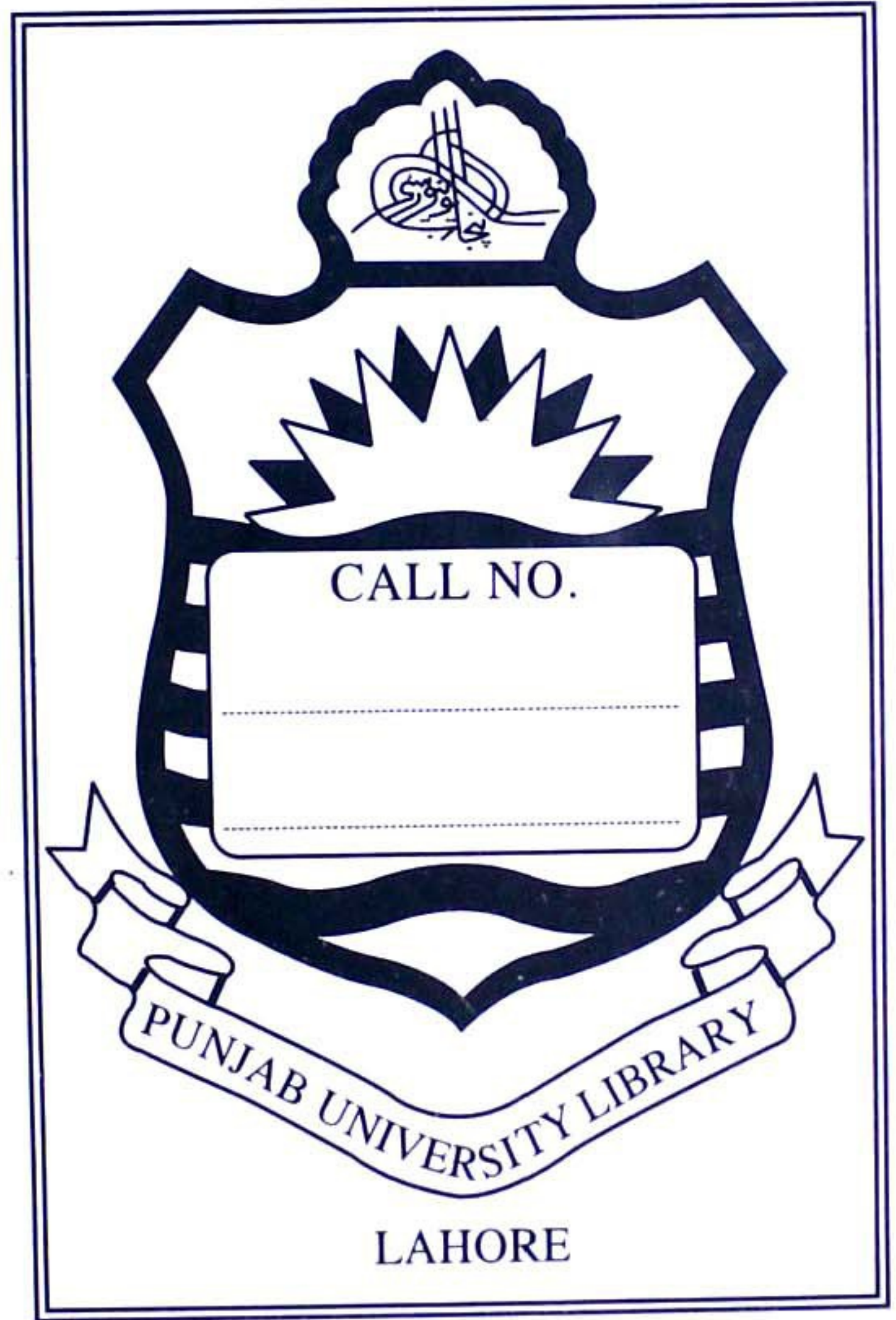


سلسلة بحوث اللغة العربية وآدابها

فِئَاتُ النَّبِيِّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ذخیرہ پروفیسر محمد اقبال مجددی
جو 2014ء میں پنجاب یونیورسٹی لائبریری کو
ہدیہ کیا گیا۔



سلسلة بحوث اللغة



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

معهد البحوث العلمية

مركز بحوث اللغة العربية وآدابها

مكة المكرمة

فِرْعَانُكَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَظَوَاهِرُهَا اللُّغَوِيَّةُ

135401

③ جامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

سالم ، مصطفى عبدالحفيظ

قراءات للنبي صلى الله عليه وسلم وظواهرها اللغوية . - مكة المكرمة .

١٩٦ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٣ - ٣٦٤ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - القرآن - القراءات والتجويد ٢ - الحديث - مباحث عامة أ - العنوان

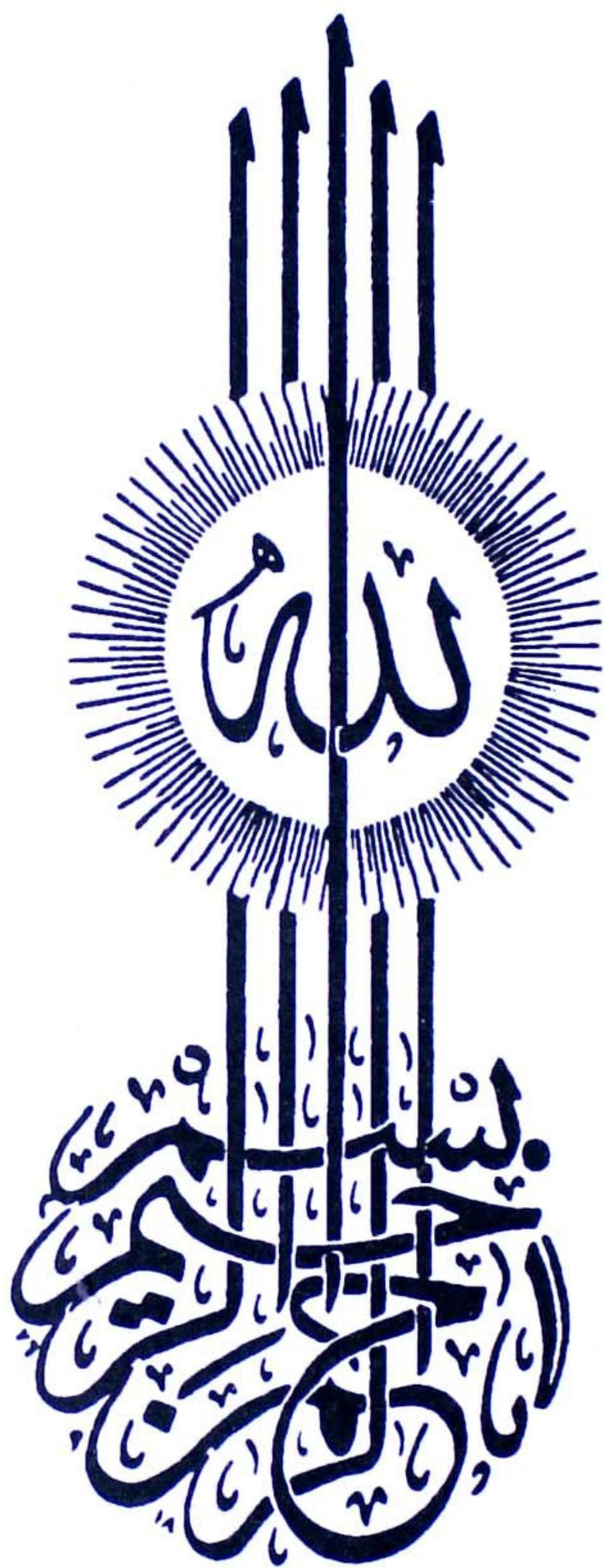
١٨/٣٨٦٥

ديوي ٢٢٨

رقم الإيداع : ١٨/٣٨٦٥

ردمك ٣ - ٣٦٤ - ٠٣ - ٩٩٦٠

6835



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة تمهيدية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمين ، سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن هَدَى هَدْيَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد

فقد أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، توسعة من الله على عباده ، ورحمة بهم ، وتخفيفاً عليهم .

وإنما كان ذلك حين سأل النبي ﷺ ربه التخفيف عن أمته ؛ لعلمه بما هم عليه من اختلاف اللغات ، وصعوبة مفارقة العادات ، واعتزاز العربي بلغة قومه ، وتمسكه الشديد بلهجته ، فكان أن يسر الله عليهم ، وأقرهم على ما ألفته ألسنتهم ، واستقرت عليه طبائعهم وعاداتهم في الكلام ، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال : « إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ » (١) .

والنبي ﷺ من أوسط العرب نسبا ، وأفضلهم حسبا ، وأفصحهم لسانا ، وأعربهم بيانا ، وأعذبهم منطقا ، وقد أنزل القرآن عليه ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (٢) ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(١) جامع البيان ٣٩/١ والمصنف ٥٦٥/١٠ والأحرف السبعة للقرآن ، للدانسي ١٤ وفضائل القرآن لابن كثير ٤٩ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٩٥ .

(٣) سورة فصلت آية ٣ .

فقرأ النبي ﷺ وأقرأ الصحابة على السبعة الأحرف ، وأمرهم أن يقرئوا
الناس عليها .

ولما تنازع بعض الصحابة مع رجل أقرأه رسول الله ﷺ على حرف منها ،
وأحضره أمام النبي ﷺ فقال : « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، بأي ذلك
قرأتم أصبتم ، فلاتماروا في القرآن ، فإن مرأء فيه كفرٌ » (١) .

وقد روي عن النبي ﷺ حديث لو أنه صح لتغيرت كثير من المفاهيم نحو
مصطلح « القراءات الشاذة » وهو : ماروي عن حذيفة ، قال : قال رسول
الله ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » أي : على مذاهبها
وطباعها في الكلام ، كما فسره أبو عمرو الداني (٢) .

وهذا الحديث ذكره أبو عبيد ، والطبراني ، والبيهقي ، والتبريزي (٣) ، غير أن
بعضهم أنكروه ؛ لضعف بعض رجاله . وليس من موضوع بحثنا الخوض في هذا
الأمر ؛ فقد أشبع درسا وبحثا ، وإنما ذكرته ؛ لما رأيت في قراءات النبي ﷺ على
لغات القبائل ما يحتمل معه صحته ، وقد استشهد الداني (٤) على ورود التوقيف
عن النبي ﷺ بأنواع الظواهر المختلفة في الأحرف السبعة بهذا الحديث ، ورواه من
طريقين .

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (٧١٩) وفتح الباري ٢٦/٩ والمسند ٢٠٤/٤ ، ٢٠٥ والأحرف السبعة
للداني ١٧ .

(٢) الأحرف السبعة للقرآن ٤٤ .

(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ح (٢٣٢) وميزان الاعتدال ٥٥٣/١ والعلل المتناهية لابن الجوزي
١١١/١ ومشكاة المصابيح ٦٧٥/١ ومجمع الزوائد ١٦٩/٧ .

(٤) الأحرف السبعة للقرآن ٣٢ .

وقد مثلت قراءات النبي ﷺ - فى القدر الذى وقفنا عليه - أهم مظاهر الاختلاف بين لهجات القبائل العربية ، كظاهرة التماثل بأنواعها : بين الصوائت وأنصاف الصوائت ، فى نحو قراءته ﷺ « فَمَنْ تَبِعَ هُدًى » ، « وَمَحْيًى » و « بُشْرًى » إلخ ، وسيأتى بيانه مفصلاً .

وقد عبرت هذه القراءة عن لغة هذيل ، وطيبىء ، وبعض قریش ، وحمير ، وغيرها .

وكذلك مثلت أحدَ المعالم اللهجية التى اشتهرت بها القبائل النجدية ، وهى : الإمالة ، وفى خبر قراءته ﷺ على هذه الظاهرة ما يدل على أنه كان يعتمد إلى ذلك عمداً ، فقد روى أنه ﷺ قرأ : « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ » (١) بالإمالة ، ف قيل له : أتميل ، وليس هى لغة قریش ؟ فقال : « هى لغة الأخوال » يعنى بنى سعد (٢) .

وماقرأ ﷺ على هذا إلا وهو يعلم أن الصحابة سيقراءون بقراءته ، وقد قرأ أهل بيته رضوان الله عليهم بقراءته ، فقرأ على « رَأًى كَوَكْبًا » بالإمالة (٣) وذكر ابن عباس أن فاطمة رضى الله عنها كانت تقول لجارتها فصة : « اسقنى ما » فرقت وأمالت ولينت فتركت الهمز .

(١) سورة مريم آية ١٢ .

(٢) الكامل فى القراءات الخمسين للهدلى لوحة ٨٢ .

(٣) السابق

وكانت هذه القراءة صدى لتلك الظاهرة في قبائل تميم ، وقيس ، وأسد ، وهوازن ، وبكر بن وائل ، وسعد بن بكر ، وأكثر أهل اليمن ، وبعض أهل الحجاز ، كما سنفضله بعد .

وكذلك بدت في قراءاته ظاهرة المماثلة بين الصوامت « الإبدال » وذلك في قراءته : « والنخل باصقاتٍ » (١) و « فَهَلْ مِنْ مُدْكِيرٍ » (٢) وهي مظهر في لهجات تميم ، وبلعنبر ، وأهل العالية ، وهوازن ، وقريش ، وبنى سليم ، وهذيل ، وهم خليط من القبائل البدوية ، والقبائل الحضرية ، مما يدل على عدم قطعية قوانين بعض المحدثين في ميل القبائل البدوية إلى التفخيم ، وميل القبائل الحضرية إلى الترقيق .

وأيضاً فقد عبرت قراءاته ﷺ عن ظاهرة التبادل بين الحركات القصيرة في اللهجات المختلفة ، كالتناوب بين الفتح والكسر في فاء الاسم ، نحو « السِّلْم » و « السُّلْم » في قوله تعالى ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (٣) فقد قرأ ﷺ : « في السُّلْم » بالفتح ، وفي قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (٤) قرأ « لِّلْسُلْمِ » بالفتح والكسر .

وكذلك في التناوب بين الفتح والكسر في عين الفعل ، في قوله تعالى : ﴿ يَحْسِبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (٥) قرأه ﷺ « يَحْسِبُهُمْ » بكسر السين

-
- (١) سورة ق آية ١٠ .
 - (٢) سورة القمر آية ١٥ .
 - (٣) سورة البقرة آية ٢٠٨ .
 - (٤) سورة الأنفال آية ٦١ .
 - (٥) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

وأيضاً بين الفتح والكسر فى حرف الجواب « نعم » والظرف « قبل » وقد قرأ ﷺ « قالوا نَعِمُ » (١) بكسر العين ، « وجاءَ فرعونُ ومن قَبْلَهُ » (٢) .

ودلت الدراسة على أن التفسيرات الصوتية لمثل هذه التناوبات أكثر عملية وواقعية من التفسيرات المبنية على أساس الظواهر اللهجية ، وأن أكثر القراءات القرآنية غير معبر عن المظاهر اللغوية فى البيئات الأصلية للقراء .

وكذلك فى التناوب بين الحركات القصيرة فى فاء الكلمة ، بين الفتح والضم فى « الضُعْفُ » و « الضُّعْفُ » و « الشُّرْبُ » و « الشُّرْبِ » وقد قرأ ﷺ « من ضُعْفٍ » (٣) بالضم فى الثلاثة ، وعلى العكس من ذلك قرأ « شَرَبَ الهِيمِ » (٤) بالفتح ، ونحو هذه القراءات ، مما يحول دون اطراد المقاييس التى تعلق بها بعض المحدثين فى تفسير الظواهر اللغوية على أساس الفصل بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، أو البدوية ، والحضرية .

كما تمثلت فى قراءات النبى ﷺ ظاهرة زيادة الحركة وحذفها ، وذلك فى العلاقة بين « عُدْرُ » و « عُدْرُ » و « نُدْرُ » و « نُدْرُ » و « خُضْرُ » و « خُضْرُ » بإثبات الحركة وحذفها ، وقد قرأ ﷺ « عُدْرًا أَوْ نُدْرًا » (٥) وقرأ أيضاً « عَلَى رَقْرِفٍ خُضْرٍ » (٦) .

(١) سورة الأعراف آية ٤٤ .

(٢) سورة الحاقة آية ٩ .

(٣) سورة الروم آية ٥٤ .

(٤) سورة الواقعة آية ٥٥ .

(٥) سورة المرسلات آية ٦ .

(٦) سورة الرحمن آية ٧٦ .

وقد دلت دراسة هذه الظاهرة على جنوح أهل الحجاز إلى المقاطع المتتابعة الحركات ، أو المفتوحة ، وحرصهم على تمكين الصامت بتحقيق حركته وإشباعها ، على العكس من أهل نجد الذين يجنحون إلى المقاطع المغلقة ، أو حذف الحركة تخفيفاً .

وأيضاً فقد عبرت عن ظاهرة التشديد والتخفيف في نحو « فَرَّقُوا » و « فَارَّقُوا » و « تَخَذَ » و « وَاَتَّخَذَ » و « كَرِهَ » و « كَرِهَ » و « قَدَّرَ » و « قَدَّرَ » و « وَفَى » و « الْخُنُسُ » و « الْكُنُسُ » و « الْكُنُسُ » إلخ .

وقد ربطت الدراسة بين هذه القراءات وبين مصادرها اللهجية على نحو مفصل يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفي ظاهرة الهمز والتسهيل وردت قراءات للنبي ﷺ على الوجهين ، فقرأ « جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ » و « جَبْرَائِلَ وَمِيكَائِلَ » وقرأ « هَيْتَ لَكَ » و « فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ » و « كَوَكَّبُ دُرِّيُّ » بضم الدال وفتحها ، وتشديد الراء ، وتخفيف الهمزة .

وقد تناولت الدراسة العلاقة بين الهمزة وبين الألف والواو والياء باعتبارها صوائت وأنصاف صوائت ، من الناحية الصوتية ، والتاريخية ، ووازنت بين معالجة القدماء والمحدثين لها ، كما بينت العلاقة بين الهمزة ، والهمز والنبر ، وأصالة أو فرعية كل من الهمز والتسهيل ، والمصدر اللهجي لهما ، ثم تناولت القراءات المذكورة بالتفصيل والتحليل في إطار تلك الظاهرة .

وإني لأرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة مشاركة لغوية فعالة في مجال الدراسات القرآنية ، وبخاصة في علم القراءات الذي ما يزال يفتقر إلى كثير من عناية المحدثين ، وأتوسل بها إلى الله تعالى أن يشفيني بشفائه ، ويداويني بدوائه ويعافيني من بلائه ، وأن ينفع بها في الدنيا والآخرة ، إنه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

في التماثل بين الصوائت وأنصاف الصوائت

قراءات للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الظاهرة

وردت قراءات عن النبي ﷺ تمثل فيها تحقق الانسجام الصوتي بين الصوائت وأشباهاها ، ومنها : ماروي من أن النبي ﷺ قرأ :

١ - قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (١) : « فَمَنْ تَبِعَ هُدَىٰ » (٢)

٢ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ﴾ (٣) : « وَمَحْيَايَ » (٤)

٣ - قوله تعالى : ﴿ يَا بَشْرِي هَذَا غُلَامٌ ﴾ (٥) : « يَا بَشْرِي » (٤)

٤ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ (٦) : « مَثْوَايَ » (٤)

(١) سورة البقرة آية ٨٣ .

(٢) ذكره الدوري في قراءة النبي ﷺ ٦٤ وابن جنى في المحتسب ٧٦/١ وابن خالويه في مختصر شواذ القراءة ٥ ، والكرمانى في شواذ القراءة ٢٣ ، ٢٤ وابن الجزرى في غاية النهاية ١٧٧/١ وهى قراءة أبى الطفيل ، وابن أبى إسحاق ، وعاصم الجحدري ، وعيسى بن عمر الشقى . انظر المراجع السابقة والبحر المحيط ١٦٩/١ ، وإعراب النحاس ١٦٥/١ وتفسير القرطبي ٣٢٨/١ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

(٤) نسبها الكرمانى إلى النبي ﷺ . شواذ القراءة ٢٣ ، ٢٤ ، ١٥٥ وذكر أنها قراءة ابن أبى إسحاق ، والجحدري ومحمد بن وهب الشقى ، وورش وانظر البحر المحيط ٢٦٢/٤ ، ٢٨٧/٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٢٣٤/٦ .

(٥) سورة يوسف آية ١٩ .

(٦) سورة يوسف آية ٢٣ .

٥ - قوله تعالى : ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾ (١) : « فِي رُؤْيِي » (٢)

٦ - قوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ (٣) : « هِيَ عَصَى » (٢)

تفسير الظاهرة صوتياً (٤) :

المقصود بمصطلح الصوائت « أو المصوتات » :

الحركات الطويلة ، وهي في العربية : الألف ، والواو والياء الممدودتان .

الحركات القصيرة ، وهي في العربية : الفتحة ، والكسرة ، والضمة .

وتتميز هذه الأصوات بصفة الاستمرارية في انطلاق الهواء معها ، دون حدوث عوائق تمنعه أو تسبب فيه احتكاكاً مسموعاً ، مما يتيح لها درجات متفاوتة من الطول والقصر ، ويكسبها درجة عالية من الإسماع ، بالإضافة إلى ما يصاحبها من صفة الجهر الناتج عن تذبذب الأوتار الصوتية أثناء مرور الهواء بها .

(١) سورة يوسف آية ٤٣ .

(٢) انظر تعليق (٤) الصفحة السابقة .

(٣) سورة طه آية ١٨ .

(٤) انظر في هذا المبحث دروس في علم أصوات العربية - كانتينو ١٣٧ - ١٥٥ أسس علم اللغة - ماريوباي ٧٧ - ٨٧ التطور النحوي ٤٦ - ٥٦ التفكير الصوتي عند العرب ٦٥ (مجلة المجمع ١٩٦٨) علم اللغة العام د / كمال بشر ١٣٣ - ١٥٤ ، دراسات في علم اللغة ، له أيضاً ٤٣ - ١٣٠ الأصوات اللغوية د / أنيس ٢٩ - ٤٣ ط سادسة ، أصوات اللغة د / أيوب ١٥٦ - ١٦٦ مناهج البحث في اللغة د / تمام حسان ١٣٦ - ١٥٣ دراسة الصوت اللغوي ١١٣ - ١١٨ التشكيل الصوتي في اللغة العربية - العاني ٣٨ - ٤٣ ، في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية د / غالب المطلبي .

وهذه الكيفية الخالية من الاحتكاك هي الأصل الذي يميزها عن الصوامت التي يصاحبها قدر كبير من التوتر والاحتكاك ، وأحياناً غلق تام لمجرى الهواء .
كما يميزها عن أنصاف الصوائت أو أنصاف الصوامت على اختلاف التسمية بين المحدثين ، إذ يُلمس فيها قدر من الحفيف ناتج عن تضيق نسبي في المجرى .

إن طبيعة الصوائت الفسيولوجية ذات أثر فعال وظيفيا ؛ فهي تمكن أعضاء النطق من التنقل بين مواضع الصوامت ، وتقوم على الربط بين تتابعها ، وتحقيق الانسجام بينها ، وتحديد معالم التجمع الصوتي ، إذ تمثل قمم المقاطع بمالها من قوة إسماع عالية ، وتضفي من هذه القوة على الصوامت حولها فترفع من نسبة وضوحها السمعي . ولا يخفى ما للمقاطع الصوتية من دور كبير في تأليف البنية وتشكيلها .

والصوائت هي التي تعطي قيمة البنية صيغة ودلالة ؛ فإن تجمع الصوامت بمعزل عنها لا يعدو كونه رمزا لوحدات هذا التجمع ، وصور تجميع الأصوات « م ل ك » :
« مَلِك - مَالِك - مَلِيك - مَلِك - مَلَأَك » تبين وظيفة الصوائت طولها وقصيرها وأهميتها في ظاهرة التحول الداخلي في البنية

أما أنصاف الصوائت فالمقصود بها الواو والياء اللذان ينطقان بلفظيهما بلفظيهما في نحو : « الوتر » ، « الوثقى » ، « وجهة » ، « المورد » ، « الحول » ، « اليوم » .

ونحو : « يَحْيَى » ، « يُحَاط » - عَيْبَى - التعايبى « حَيْث » عَيُّوا لغة في عَيُّوا .

ويمكن التعبير عنهما بالمتحركتين بإحدى الحركات الثلاث ، طولها وقصيرها سواء في أصول الكلمة « ف ع ل » أو في ملحقاتها ، وذلك :
ما وجدت في نحو التركيب الآتي :

ص ح : و - و - و - و - ي - ي - ي

ص ح ح : وَا - وُو - وِي - يَا - يُو - يِي

والساكنتين ، أيضاً في نحو التركيب : ح ص في « حَوْلٌ » و « حَيْثُ »
وبالتحديد من الحركة التي بعد الحاء ، والصامت الساكن « الواو والياء » .
ويلاحظ أن الواو والياء هنا أصلان ، إذ هما عين الكلمة .

ولكنهما يقعان أيضاً في الملحقات أثناء التغييرات الصرفية ، في نحو صيغة
التصغير فُعَيْلٌ كَرُجَيْلٌ ، وَكُنَيْفٌ ، وفي مثل حالات تحقيق الانسجام الصوتي في
مثل « رَأَوْا » بدلا من « رَأْيُو » و « المصطفون » إلخ .

وقد لوحظ أن استمرار الهواء مع هذه الأصوات يشوبه قليل من الاحتكاك بسبب
ارتفاع مقدم اللسان ، أو مؤخره إلى أعلى نقطة ممكنة في الحنك الأعلى دون
حدوث إغلاق تام يمنع هذا الاستمرار ، وأن هذا القدر من التضيق والحفيف
المرتب عليه قلل من درجة وضوحها السمعي ، وقصر زمن إطلاقها ، فقربها من
الصوامت ، وحولها إلى عوامل مساعدة Marginal Factors في بنية المقطع .

ومن ثم أطلق بعض المحدثين عليها « أنصاف صوامت » وهو وجه ؛ لأنها تقع
أصلا من أصول الكلمة « إذ تقوم الصوامت بتكوين الأصل ، وعلى المصوتات
استخدام هذا الأصل ، وعلى هذا ، فإن الواو والياء مثل الصوامت الأخرى ،
تتدخل كصامت أول أو ثان أو ثالث في الأصل الثلاثي » (١) .

(١) انظر بحث د / هنرى فليش ، في كتاب الشراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د / عبدالصبور

وهي أيضا تشبه الصوائت ، من حيث استمرار الهواء في الانطلاق بها ، وتذبذب الأوتار الصوتية أثناء ذلك ، وتبادلها مع أصوات المد في التغييرات الصرفية من نحو مِيراث ، ومِيقَات ، ومِيعَاد ، ومُوسِر ، ومُوقِن ، من وَرِث ، ووَعَد ، وَيَسَرَ ، وَيَقِن إلخ .

ولهذا رأى جونز أنها أصوات مد صامته ، وذهب فندريس إلى أنها أصوات مد مشوبة بعناصر صامتية أكثر منها صوامت مزودة بالجهر وأن عنصر الاحتكاك فيها هو الذي سوغ استعمالها كالصوامت (١) .

ومما يؤكد هذه العلاقة أنها تتبدال التأثير مع الصوائت الخالصة ، ويتحقق بينهما انسجام صوتي .

وذلك في قراءة النبي ﷺ « هُدَى » و « مَحْيَى » و « بُشْرَى » و « مَثْوَى » و « رُؤْيَى » و « عَصَى » .

الأصل في ذلك « هُدَايَ » و « بُشْرَى » و « مَثْوَايَ » و « رُؤْيَايَ » و « عَصَايَ » على المشهور في قراءة حفص عن عاصم ، وهو أيضا قراءة الجمهور (٢) .

وقد اجتمع في تركيب « محياي » ونحوه : نصف صائت + حركة طويلة + نصف صائت .

ويلاحظ أن نصف الصائت الأول يعامل هنا معاملة الصامت ، إذن فالتركيب = ص ح ح + ص ح ثم تحول إلى « مَحْيَى » أي : صارت « يَأَى » إلى « يَى » .

(١) اللغة ٥١ وانظر في الأصوات اللغوية ٤٢ وعلم اللغة العام ٨٣ ، ودراسة الصوت اللغوي ٢٨٣ .

(٢) انظر التيسير ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٨ وحجة أبي زرعة ٩٥ ، ٢٧٩ ، ٣٥٧ والمبسوط ٢٠٦ ، ٢٤٥ والكشاف ١/٢٧٥ ، ٢/٣٠٨ ، ٣/٥٣٣ والبحر المحيط ١/١٦٨ ، ١٦٩ ، ٤/٢٦٢ ، ٥/٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٦/٢٣٤ .

وقد حدث تغييران للتقريب الصوتي ، أولهما : تغيير من الأصل « مَحْيَيْ » إلى « مَحْيَا » فرارا من ثقل تتابع ثلاثة من أنصاف الصوائت « ي ي ي » أي = ص ح ← ص ح ← ص ح الذي تحول إلى ص ح ح + ص ح ، وهذا تأثير تقدمي تحول فيه نصف الصائت الثاني « ي » إلى حركة طويلة « ا » بتأثير الأول .

ولهذا نظائر كثيرة في العربية ، نحو : قَوْل ← قَالَ ، بَيْع ← باع ، يَقُول ← يَقُول ، يَبِيع ← يَبِيع ، مما كان التحويل فيه لمجرد التقريب الصوتي

والتغيير الثاني : تحول الحركة الطويلة إلى نصف صائت ساكن ، أي : صارت « يا » إلى « يَى » ص ح ح ← ص ح ص وذلك تهيئة لإدغامه في نصف الصائت الثاني « يَى » وهذا تأثير رجعي تأثر فيه الأول بالثاني ، فأصبح التركيب : ص ح ص + ص ح ص + ص ح .

ونلاحظ أن التحول بين صوت المد ونصف المد قد أخذ مسارين متضادين :

الأول : من « يَى » إلى « يا » وهذا ما يعرف بالمزدوج الصاعد أو المتزايد Rising diphthong وفيه يقول ماريوباي (١) : « إذا كان صوت العلة الأكثر بروزا تاليا لنصف العلة : نتج صوت علة مزدوج صاعد ، وذلك كما في w a الموجودة في Was » .

(١) أسس علم ٨١ ، ١٥٠ وانظر دروس في علم أصوات العربية ١٦٧ - ١٧٢ والأصوات اللغوية ١٦١ ، ١٦٢ وأصوات اللغة ١٧١ ، ١٧٦ ودراسة الصوت اللغوي ١١٦ - ١١٨ ودراسات في علم اللغة د / بشر ٧٢ والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٤١ ، ٤٢ .

الثانى : من « يا » إلى « يى » وهذا مايسمى بالمزدوج الهابط
Falling Diphthong ويلاحظ فيه انحدار الحركة إلى نصف الحركة ، فهو
عكس الأول .

كما يلاحظ أن المقطعين « يى » فى النوع الأول قد اتحدا فى مقطع واحد هو « يا »
والمد الطويل فيه هو قمة المقطع أو نواته ، وتعتبر نصفا الحركة قبله وبعده فى
« يآى » من العناصر المساعدة (١)

وأن هذا المقطع تحول فى النوع الثانى إلى مقطع مغلوق « يى » أى أنه تحول من
المد الطويل إلى نصف المد الساكن مكونا مقطعا هابطا من حركة قصيرة ونصف
مد ساكن ، وهذا النوع سائغ فى العربية أيضا ، ويحدث لمجرد التماثل الصوتى ،
نحو قولهم: يُوَجَّل ، وَيَا جَل ، وَيَسَّر ، وَيَأَسَّر ، وَيَيْتَس ، وَيَأَسُّ (٢) ، ورأوا بدلا من
رأبوا إلخ .

والوصف الصوتى لهذا التتابع يؤكد أن « يى » أو « وى » صوت
مزدوج مركب من حركة انتقال اللسان من موضع حركة نصف المد الأول ، وهى
الفتحة ، إلى موضع الكسرة فى « يى » فهى حركة مركبة لأن اللسان انتقل بها
من موقع علة إلى موقع نطق علة أخرى (٣) .

(١) التشكيل الصوتى ٥٩ .

(٢) انظر سر الصناعة ١٤٨ ، ٦٦٩ ودراسات فى علم أصوات العربية د / داود عبده ٣٣ - ٤٨ .

(٣) أصوات اللغة ١٤٧ أسس علم اللغة ٨١ الأصوات اللغوية ١٦١ التشكيل الصوتى للعانى ٥٩ دراسة

الصوت اللغوى ١١٧ .

غير أن العربية تعتبر هذا التابع من الناحية الوظيفية وحدتين مستقلتين ، إحداهما :
الفتحة القصيرة ، وثانيتها : نصف المد الساكن « الياء الساكنة » .

ولكل وحدة منهما وظيفتها « فالوحدة الأولى ، وهي الفتحة ، تقوم بوظيفة
الحركات ، والثانية ، وهي الياء تؤدي دور الأصوات الصامتة ، ويظهر ذلك
بوضوح في سلسلة التوزيع الصرفي للكلمات التي تشتمل عليها من نحو
« أبيات » و « أحواض » حيث تتبع الياء أو الواو بحركة ، وهي الفتحة الطويلة
في هذه الحالة ، وهذه خاصة تستحيل على الحركات أو أجزائها » (١) .

وقد يبدو المزدوج وحدة مستقلة في بعض التركيبات النادرة ،
من نحو « دُوَيْبَةٌ » ، و « خُوَيْصَةٌ » و « مُحَيْصَةٌ » أو في نحو « يَسْعَوْنَ »
و « دَعَوْا » و « يَرَوْنَ » مما يظن فيه أنه وحدة واحدة ، وهو في الحقيقة قائم مقام
وحدتين مستقلتين ، هما : الحركة الطويلة « ا » وواو الجمع ، حينما يتتابعان ،
فيثقل اجتماعهما .

ولكنه لا يعدو أن يكون تقريبا صوتيا بحثا بين حركات وأنصاف حركات مشتركة
نسبيا في صفة المدية ، ومختلفة في الصفة الصامتية ، ولكل منهما وظيفته في
اللغة ، ولذا يصرح كانتينو (٢) بأن « الحركات المزدوجة هي من الناحية الصوتية
حركات طويلة يتحور جرسها أثناء النطق بها ، وبخلاف ذلك فإنه يبدو أنه
ليس للحركات المزدوجة في العربية أي وجود خاص من الناحية الوظيفية ، فيظهر
أنهم يحللونها دائما هكذا : حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف » يعنى
صامتا .

(١) دراسات في علم اللغة د / بشر ٧١ ، ٧٢ .

(٢) دروس في علم أصوات العربية ١٧١ ، ١٧٢ .

فصورة المزدوج ثابتة في اللغة من الناحية الصوتية ، ولكنها تُحل من الناحية الوظيفية إلى صوتين مستقلين ، وهذا ما رجحه المحدثون (١) من العرب ، ومن غيرهم .

ونخلص من العرض السابق إلى أن قراءة « مَحْيَى » و « مَثْوَى » و « رُؤْيَى » ونحوها من قبيل التماثل بين الحركات وأنصاف الحركات ، وأنها تمثل النوع الثانى من التتابع السائغ فى اللغة ، وهو ما يسمى بالتتابع الصوتى الهابط Falling Diphthong ، وأن هذا التماثل بنوعيه من التقريب الصوتى المحض ، ولا دخل له بالناحية الوظيفية .

توجيه القدامى لهذه القراءة

ورد فى فصيح الكلام ، نظمه ونثره ، كثير من الشواهد التى جرت بهذا الاستعمال ، واستشهد بها علماءنا القدامى على رسوخ هذه القراءة ، ومنها :

ما ذكره الفراء (٢) من أن بعض بنى سليم قال له : « آتيك بمولى » ، فإنه أروى منى « يريد : مولاي .

وما ورد فى حديث طلحة (٣) رضى الله عنه : « إني أخذت فأدخلت فى الحش ، وقربوا فوضعوا اللج على قفى » ، فقالوا : لتبايعن أو لنقتلنك فبايعت وأنا مكره « أراد : على قفاى .

(١) د / بشر فى علم أصوات اللغة العام ٧١ ، ٧٢ ، د / أيوب فى أصوات اللغة ١٧٢ .

(٢) معانى القرآن ٢ / ٣٩ .

(٣) غريب الحديث لأبى عبيد ٤ / ١٠ والفائق ٣ / ٤٣١ والنهاية ٤ / ٩٤ .

وما أنشده المفضل (١) للمنخل اليشكرى :

يُطَوِّفُ بِي عِكْبٌ فِي مَعَدِّ

فَإِنْ لَمْ تَشَأْ رَأَى مِنْ عِكْبٍ

وما أنشده أبو عبيدة (٢) لأبي دواد :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي جَاوَزْتُ كَعْبًا

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتِكُمْ لَعْلَى

قال أبو عبيدة : « أراد « نَوَايَ » فذهب به إلى « قَفَى » و « هَوَى » .

وثمة شاهد مشهور في مرثية أبي ذؤيب الهذلي : (٣)

سَبَقُوا هَوَىً وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهِمِ

فَتُخْرِمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

نظر القدامى في تحليلهم لهذه الصيغة في قراءة النبي ﷺ والشواهد المذكورة إلى الجوانب الآتية :

(١) معاني القرآن للفراء ٣٩ / ٢ وانظر المحتسب ٧٦ / ١ والخصائص ١٧٧ / ١ وسر الصناعة ٧٠١ / ٢ والصملة : عصا أو حرية تكون في يد صاحب السجن ، وهو هنا عكب المذكور ، وقد دفع النعمان إليه المنخل ليعذبه ، وذلك لأنه اتهم بالمتجرده زوج النعمان .

(٢) نقائض جرير والفرزدق ٤٠٨ / ١ وانظر الخصائص ١٧٦ / ١ وسر الصناعة ٧٠١ / ٢ وأستدرج : أترككم وأذهب .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢ وشرح ٧ / ١ والمحتسب ٧٦ / ١ والحجة ٦٤ / ١ وسر الصناعة ٧٠٠ / ٢ وشرح الفصل ٣ / ٣ وإعراب القرآن للنحاس ٢١٦ / ١ .

(١) العلاقة بين الحركة الطويلة « الألف » التي هي محل الإعراب في الاسم المقصور ، وبين نصف العلة « الياء الساكنة » .

(٢) ياء الإضافة على اعتبارها حركة طويلة ، فيكسر ما قبلها ، ونصف حركة إذا كانت مفتوحة .

أما الجانب الأول فقد استندوا فيه إلى التناوب الذي وقع بين الألف والياء ، إذ قلبت الياء إليها في قولهم : طائي ، والأصل طَيْئِيٌّ ، وقولهم : حارِيٌّ في النسب إلى الحيرة ، وقولهم : ياء س في يَيْسُ (١) إلخ .

كما قلبت الألف إليها في قولهم : أفعَى في أفعى ، وهي لغة طييء في الوصل والوقف على سواء ، ولذا جاز أن تقلب الألف ياء في « هُدَى » و « عَصَى » و « مَثْوَى » ونحوها .

وهذا من التناسب المبني على التبادل بين الحركات الطويلة ، وأنصاف المد الساكنة التي تتضح فيها الصفة المدية أكثر منها وهي متحركة .

وقد عولوا على قلبها ياء ؛ تمهيدا لوقوع تناسب آخر بين هذه الياء ، وبين ياء الإضافة بعدها ، وهو الجانب الثاني في نظرتهم .

فمن المسلم أن ياء المتكلم تظل ثابتة على حالها ؛ لدالتها على الإضافة ، وأن أى تغيير يلحقها يذهب بتلك الدلالة ، ولذا كانت ألف المقصور مظنة التغيير .

(١) انظر الحجة ٨٧/١ والمنصف ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ وسر الصناعة ٦٦٧ .

وقد وردت هذه الياء في كلام العرب حركة طويلة ، أى : ممدودة ، كما وردت مفتوحة ، وفي الحالة الأولى ينبغي أن يكون ما قبلها مكسورا ، والأنف لا تتحمل الحركة فقلبوها ياء ؛ لأنها أقرب إلى الكسرة ، وهذه عملية تقرب في حد ذاتها هيأت الصوت لإدغامه في ياء الإضافة المتحركة بعده ، وهو الغاية من هذا التقريب .

ذكر الفراء (١) أن « من قال : « يابُشْرَى » فأضاف ، وغير الألف إلى الياء ، فإنه طلب الكسرة التي تلزم ما قبل الياء من المتكلم في كل حال ، ألا ترى أنك تقول : هذا غلامى فتخفض الميم في كل جهات الإعراب ؟ » .

وعلل الأخفش (٢) ذلك بأنه « لما كان قبلها حرف ساكن ، وكان ألفا قلبته إلى الياء حتى تدغمه في الحرف الذى بعده ، فيجرونها مجرى واحداً ، وهو أخف عليهم » .

وقد أطبق القدماء على تلك العلة ، وتناقلوها خلفا عن سلف (٣) .

(١) معانى القرآن ٢ / ٣٩ .

(٢) معانى القرآن ١ / ٦٩ .

(٣) وردت نصوص كثيرة في هذا ، منها : قول ابن مجاهد : « كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه » السبعة ١٢٥ وقول المبرد : « ليرفع اللسان رفعة واحدة ، إذ كان ذلك أخف عليهم » المقتضب ١ / ١٩٧ وقول ابن جنى : « إنهم قد علموا أن إدغام الحرف في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين ، ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما نبوة واحدة » الخصائص ٢ / ٢٢٧ وانظر سر الصناعة ١ / ١٨٩ وانظر الحجة ١ / ٦٣ والمسائل البصريات ٢ / ٨٤٩ والمحتسب ١ / ٧٦ ، ٧٧ وشرح المفصل ٣ / ٣١ - ٣٤ وإعراب النحاس ١ / ٢١٦ .

مصدرها اللهجي

اشتهرت هذه الصيغة في هذيل ، على الرغم من أنها نسبت إلى قبائل آخر ، منها :
طيئ ، وقريش ، وحمير ، وأهل السراة ، فمن نسبها إلى هذيل : أبو زيد ،
والفراء ، وابن حبيب ومن تبعهم من اللغويين والنحاة ، والمعنيين بالقراءات ، وأشعار
العرب .

فقد نقل النحاس (١) قول أبي زيد : « هذه لغة هذيل ، يقولون : « هُدَى »
و « عَصَى » وذكر الفراء في المعاني (٢) أن هذيلًا تقول : « يابُشَرَى » وأن القاسم
بن معن أنشده :

تركوا هَوَىً وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهِمُ ففقدتهم ولكل جَنبٍ مَصْرَعُ

وسبقت حكاية الفراء أن بعض بني سليم قال له : « آتيك بموَلَىً فإنه أروى منى » .
وعن ابن حبيب (٣) : « هَوَىً » لغة هذيل ، وكذلك تقول : « قَفَى » و « عَصَى »
غير أن أبا عبيد (٤) عزاها إلى طيئ ، وعبارته صريحة في هذه النسبة ، وهي في
حديث طلحة بن عبيد الله « فوضعوا اللج على قَفَى » قال : « قَفَى » هي لغة
طائية ، وكانت عند طلحة امرأة طائية ، ويقال : إن طيًّا لا تأخذ من لغة أحد ،
ويؤخذ من لغاتها .

(١) إعراب القرآن ١ / ٢١٦ .

(٢) ٣٩ / ٢ .

(٣) اللسان « هوى » .

(٤) في غريب الحديث ٤ / ١١ .

وتبعه على هذا أصحاب غريب الحديث كالزمخشري ، وابن الأثير ، ومن نقل عنه كابن منظور ، وغيره .

ونقل عن الواحدى فى البسيط أنه عزاها أيضا إلى طيب (١) .

ومن نسبها إلى قريش : عيسى بن عمر الثقفى ، كما ذكر الأشمونى (٢) . وقراءة النبى ﷺ ، وحديث طلحة يؤكدان هذه النسبة .

ومن نسبها إلى حمير ، وأهل السراة : الحفاجى (٣) .

وهذا يدل على أن استعمال هذه الصيغة كان منتشرا فى مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وفى قبائل مختلفة المنازل ، حضرية وبدوية . ونص ابن جنى (٤) يفيد أنها ليست مقصورة على هذيل ، وهو قوله : « هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم ياء » .

كما أن وروده فى شعر أبى دواد الإيادى ، وشعر المنخل اليشكرى مما يؤكد ذلك ، فهما من إياد ، ويشكر ، وهما من القبائل التى كانت تقطن شمالى الجزيرة العربية وشرقيها .

(١) انظر الفائق ٣ / ٤٣١ والنهاية ٤ / ٩٤ والتصريح على التوضيح ٢ / ٦١ واللهجات العربية فى التراث ٢ / ٥٤٠ .

(٢) ٢ / ٢٨٢ وانظر اللهجات العربية فى التراث ٢ / ٥٤٠ .

(٣) شفاء العليل ٢٤٤ وانظر فى القرآن والعربية من تراث لغوى مفقود ٨٦ .

(٤) المحتسب ١ / ٧٦ .

أما اعتقاد بعض المحدثين (١) بأن البيت للمتنخل الهذلي ؛ ليستبعد كون الظاهرة فى يشكر بن بكر ، فيقف دونه إجماع الرواة (٢) على نسبه إلى المنخل الإشكرى ، ويؤكد هذه النسبة ما يأتى :

- أن عكبا المذكور فى البيت هو صاحب سجن النعمان بن المنذر اللخمي ، وهذا آخر ملوك الحيرة التى ملكها هو وآباؤه خمسمائة عام (٣) .

- وأن المنخل كان يتهم بالمتجرده زوج النعمان ، إذ كان جميلا ، وكان للنعمان منها ولدان ، فكان الناس يقولون : إنهما من المنخل ، فدفعه النعمان إلى عكب ؛ ليعذبه فى السجن (٤) .

- وكان المنخل يشيب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم بأمراته أيضا ، فقتله عمرو .

- وهو أيضا الذى أوقع بالنابغة الذبياني عند النعمان بن المنذر ، حين وصف المتجرده ، فقال المنخل للنعمان : لا يعرف هذا إلا من جرب (٥) .

(١) الدكتور علم الدين الجندي فى اللهجات العربية فى التراث ٥٣٩ ، ٥٤٠ .

(٢) الخصائص ١ / ١٧٧ والمحتسب ١ / ٧٦ والصحاح (عكب) واللسان (عكب - حرر) وشرح المفصل ٣ / ٣٣ .

(٣) نسب معد واليمن الكبير ٢٠٩ ، ٢١٠ والاشتقاق ٣٧٧ وجمهرة أنساب العرب ٤٢٣ .

(٤) الشعر والشعراء ٢٥٥ .

(٥) السابق .

فالشاهد له لا محالة ، وهذا يدل على أن تلك الظاهرة كانت منتشرة في منطقة الحيرة ، وما حولها من منازل بكر بن وائل ، وتغلب في الشمال (١) .

ونذهب معه إلى أن السبب في اشتهاار هذه الظاهرة في هذيل إنما مرجعه إلى انتشار أشعار الهذليين ، واشتهاار مرثية أبي ذؤيب الهذلي ، والتي تعد من عيون الشعر العربي .

135401

(١) انظر قلاتد الجمان ١٣٠ - ١٣٢ ومعجم البلدان ٢ / ٣٢٨ - ٣٣١ .

فى الإمالة

روى أن النبى ﷺ قرأ :

(٧) قوله تعالى : ﴿ يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (١) : « يَايَحْيَى » (٢) .

(٨) قوله تعالى : ﴿ طهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ « طه » (٣) .

وبالأولى قرأ حمزة ، والكسائى ، وخلف ، وأبو عمرو ، وابن مجاهد (٤) .

وبالثانية قرأ حمزة ، والكسائى ، وابن مجاهد (٥) .

وهذا النحو من القراءة ضرب من التماثل يتم بين الحركات طويلاً وقصيراً بقصد تحقيق نوع من الانسجام الصوتى فى الأداء ، وهو ماسماه القدامى بالإمالة ، فهى عندهم من باب التقريب بين حركات المد واللين .

(١) سورة مريم آيه ١٢ .

(٢) ذكر الهذلى فى الكامل لوجه ٨٢ : عن صفوان بن عسال المرادى أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ « يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ » فقبل لرسول الله ﷺ : أتميل ، وليس هى لغة قریش ؟ فقال : هى لغة الأخوال بنى سعد . وذكره السخاوى فى جمال القراء والسيوطى فى الإقتان ٩٣/١ والقسطلاتى فى لطائف الإشارات ٨١ / ١ .

(٣) ذكر الفراء ، وغيره أن زبّ بن حبیش قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طه) وفتح فقال عبد الله : « طه » وكسر ، ثم قال : والله ما علمنيها رسول الله ﷺ إلا « طه » ولا نزل بها جبريل عليه السلام إلا كذلك « معانى القرآن ٢ / ١٧٤ والنشر ٢ / ٣١ ووجه القراءات لأبى زرعة ٤٥٠ وتهذيب اللغة ٣٥٢ / ٥ .

(٤) المبسوط ١١٣ ، ١١٤ والإقتناع ١ / ٢٩٤ - ٣٠٠ .

(٥) المبسوط ٢٩٣ والكشف ١ / ١٨٧ ووجه القراءات لأبى زرعة ٤٥٠ وإرشاد المبتدى ٤٣٢ .

فالألف - عند سيبويه - تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، بقصد تقريبها منها ،
ليعمل اللسان في وجه واحد « فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع
واحد ، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قدر ذلك » .

وعلى هذا إجماع العلماء من اللغويين ، والنحاة ، وأصحاب القراءات ، وإن كانت
وجهاتهم مختلفة من حيث الفصل بين الحركات والحروف ، وكيفية التأثير بينهما ،
فإن أبا علي الفارسي ، وتلميذه ابن جنى يذهبان إلى أن الحركة تمال أولاً ، ثم يأتي
الحرف تبعاً لها ، على عكس ما ذهب إليه سيبويه ، ويظهر هذا في توجيه الفارسي
للإمالة في قراءة « رأى أيديهم » « فأمال الفتحة التي على الهمزة من « رأى »
لتميل الألف بإمالة الفتحة نحو الياء » (١) .

ويبدو أثره واضحاً في تعريف تلميذه للإمالة بأنها: انتحاء بالفتحة نحو الكسرة ،
فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت (٢) .

وقد تابعهما على ذلك أكثر أهل العلم من النحاة وأصحاب القراءات .

ونرى أن ما ذهب إليه سيبويه أدق مما ذهب إليه الشيخان ، ومن تابعهما ، وأكثر
موافقة للتفسير الصوتي الحديث لهذه الظاهرة .

إنه يؤكد أن الفتحة من الألف ، وأن الكسرة من الياء ، ومن ثم فإن شبه الفتحة من
الكسرة كشبه الألف بالياء و بناء عليه يقرر « أن الألف إذا دخلتها الإمالة دخل
الإمالة ما قبلها ... » (٣) .

(١) سورة هود آية ٧٠ وانظر الحجة ١ / ٢٨٩ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٥٢ .

(٣) الكتاب ٤ / ١٤٢ وانظر شرح السيراني ١ / ٣٢١ والنكت ٢ / ١٠٨٨ .

فلم يفرق بين الحركات والحروف ؛ إذ هي أجزاءها ، وإذا لحق الحروف تغييراً كانت الحركات تابعة لها في هذا التغيير ، وهذا ما أكدته الدراسات الصوتية الحديثة ، واعترف به ابن جنى في قوله : « فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضممة بعض الواو » (١) .

هذا إذا كان في الكلمة حركة طويلة مماله ، فإن لم يكن غير حركة قصيرة ، نحو « رَحْمَةٌ » (٢) ، « الْكَبِيرُ » و « يُكْذِبُونَكَ » (٣) أو كان بين الحركة الطويلة والقصيرة فاصل ، نحو « الْمِحْرَابُ » (٤) فإن التمييز يصبح حتماً .

إذن فإن كل تعريف للإمالة لا يلاحظ هذا يعد غير دقيق ، وذلك نحو قول مكى (٥) : « واعلم أن معنى الإمالة : هو تقريب الألف نحو الياء ، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة » وقول ابن الباذش (٦) : « أن تنتحى بالفتحة نحو الكسرة انتحاء خفيفاً ، كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة ، فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء » .

(١) سر الصناعة ١ / ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٧ ،

(٣) سورة الأنعام آية ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ٣٧ ، ٣٩ ، سورة مريم آية ١١ .

(٥) الكشف ١ / ١٦٨ .

(٦) الإقناع ١ / ٢٦٨ .

الوصف الصوتي للحركات الأصلية والفرعية

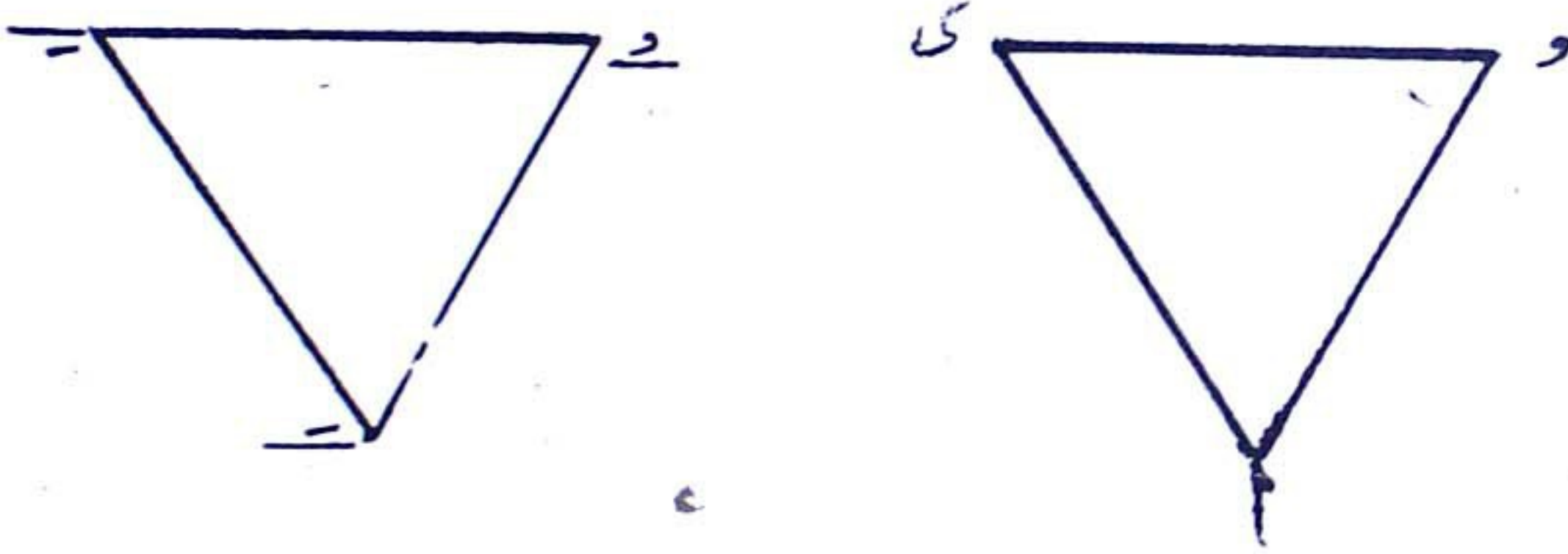
الحركات الأصلية :

الحركات الأساسية في العربية تتمثل في :

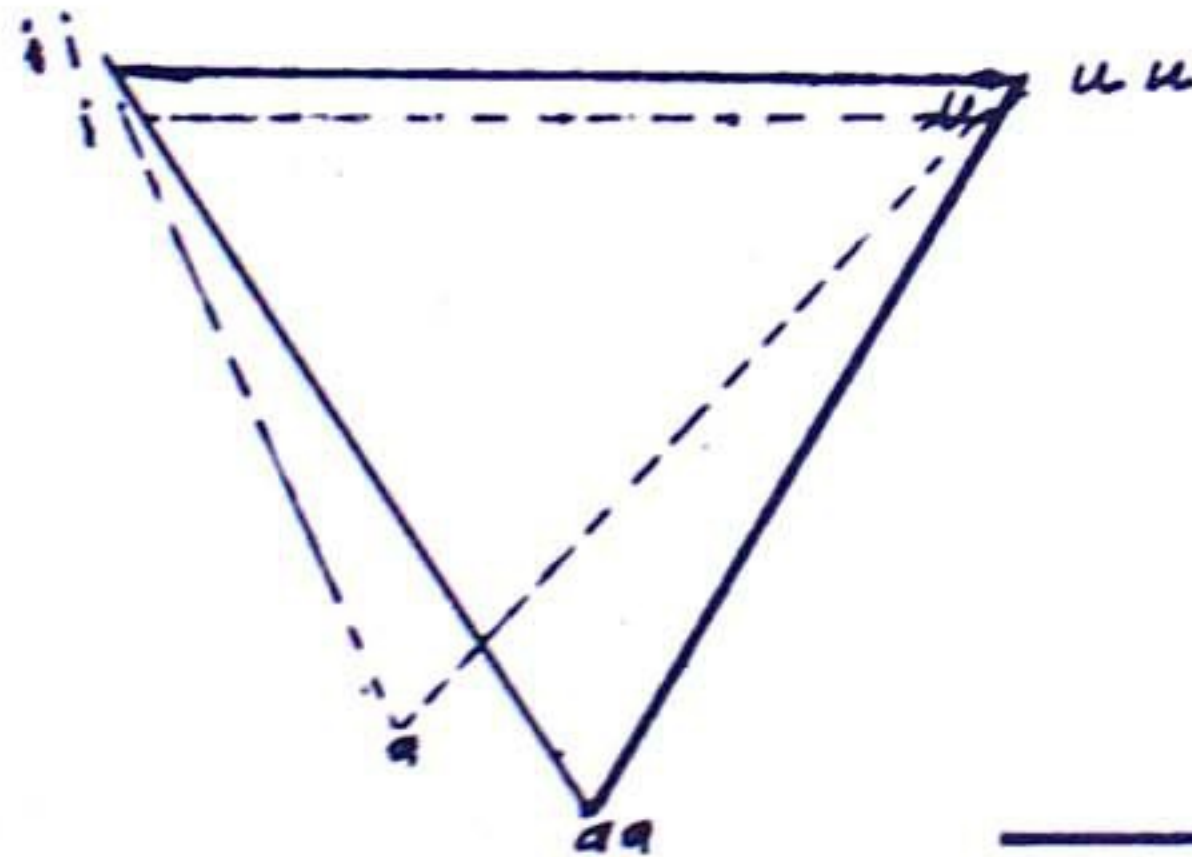
الحركات الطويلة : الألف (aa) والياء (ii) والواو (uu)

الحركات القصيرة : الفتحة (a) والكسرة (i) والضمة (u)

ومدة إطلاق الحركات القصيرة على النصف من مدة الحركات الطويلة ، فقياس الأولى = (٣٠٠ ميليثواني) والثانية = (٦٠٠ ميليثواني) على قياس العاني (١) ويمكن تصوير القسمين في الشكل الآتي :



وقد بينت قياسات المطابقة بينهما ، من حيث وضع مقدم اللسان ومؤخره ووسطه معهما تقاربا بين موقعي الكسرة والياء ، وبين موقعي الضمة والواو ، ولكنه أظهر بعض التباعد بين موقعي الفتحة والألف ، ويبينه الشكل الآتي : (٢) .



(١) التشكيل الصوتي في اللغة العربية ٣٩ - ٤٣ وانظر دروس في علم أصوات العربية ج زكانتينو ١٤٧، ١٤٨

(٢) عن قياسات العاني في التشكيل الصوتي ٤٣ .

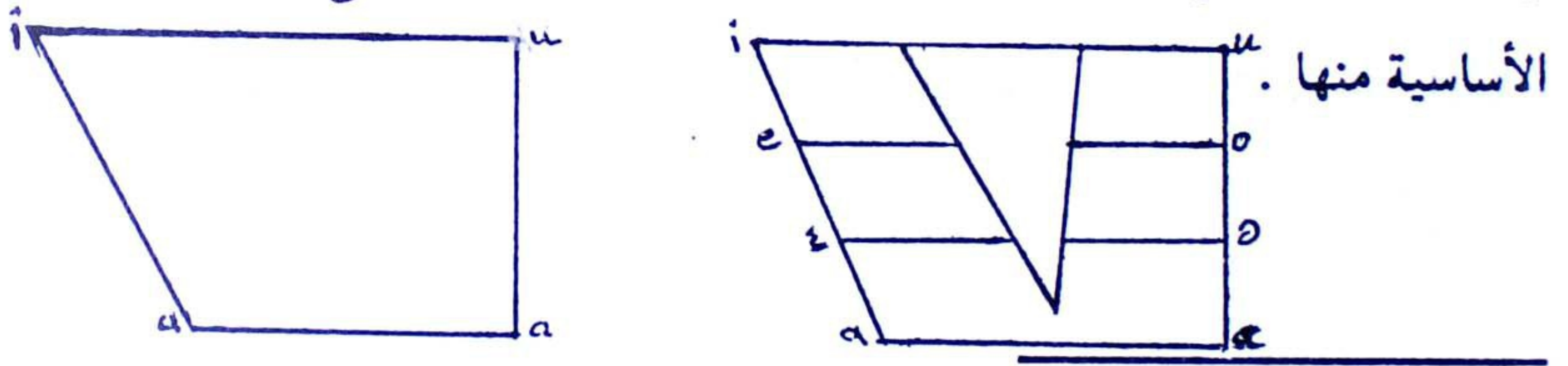
فقد لوحظ أن وضع مقدم اللسان مع الفتحة الطويلة أكثر هبوطا وانسحابا إلى الخلف مما هو عليه مع الفتحة القصيرة .

وبمقارنة هذه الحركات بمعيارية جونز (١) نجد أن الحركة الرئيسية : الكسرة « قصيرة وطويلة » حركة أمامية ضيقة ، وهي أقرب ماتكون إلى الحركة المعيارية (رقم ١ « i ») غير أن درجة ارتفاع مقدم اللسان معها يكون أقل قليلا ، مع بعض التراجع إلى الخلف ، عما هو عليه في المعيارية .

والحركة الرئيسية : الضمة « طويلة وقصيرة » حركة خلفية ضيقة ، وتقرب من المعيارية (رقم ٨ u) غير أن نقطة ارتفاع مؤخر اللسان معها أقل ، وأكثر تقدما إلى الأمام مما هو عليه في المعيارية .

والحركة الرئيسية : الفتحة « طويلة وقصيرة » حركة متسعة ، ويكون اللسان معها مستويا في قاع الفم مع ارتفاع قليل في وسطه ، وتحتل في المعيارية ما بين (رقمي ٤ ، ٥) وهي في حالة تفخيمها خلفية ، وفي حالة ترقيقها أمامية ، وفي حالة التوسط تكون بينهما .

والأشكال الآتية تبين الحركات المعيارية العالمية ورموزها ، ومواقع الحركات العربية



(١) انظر علم اللغة العام د/كمال بشر وبحته الكبير في الحركات ١٣٧-١٥٤ ودراسات في علم اللغة له أيضا ١٢٠-١٢٩ وأصوات اللغة د/أيوب ١٥٦-١٧٦ ودراسة الصوت اللغوي ١١٣-١٣٢ وأصوات اللغة العربية د/عبد الغفار هلال ١٣١-١٤٤ والأصوات اللغوية د/أنيس ٢٩-٤٣ ط سادسة .

وتتنوع هذه الحركات باكتسابها صفات صوتية من تألفها مع الصوامت المكونة للكلمة ، كالتفخيم ، والترقيق ، والتوسط بين الصفتين (١) .

وقد يتبادل طولها وقصيرها في نحو « مُنْتزِح - منتزح » ، « صيارف - صيارف » ، « أنظر - أنظور (٢) » ، والعكس في نحو « يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ » (٣) ، « وَأَلَّيْلٌ إِذَا يَسْرٍ » (٤) وإنما نشأت هذه التنويعات والتبادلات لعوامل صوتية بحته تمثل العلاقة القوية بينها، ولكنها من الناحية الوظيفية تختلف ، من حيث إن كلا من القصيرة والطويلة تمثل فونيمًا خاصًا مؤثرًا في تغيير المعنى ، نحو « عَلِمَ » ، « عالم » ، « عَلِيم » وهي أيضا في هذا تتناوب فيما بينها نحو « جال جَوْلَانَا - جارية - جوارى - غاشية - غواشى » .

مما يؤكد نظرة العربية إلى هذه الأصوات على أنها مجموعة فونولوجية متماسكة دون اعتبار للفروق الكمية والكيفية بينها .

الحركات الفرعية

بين الحركات الأصلية حركات فرعية عرفت لها العربية ، وهي التي تنحصر فيها الإمالة ، وتمثل في الأصوات نصف الضيقة ، ونصف الواسعة الأمامية ، والخلفية ، على اختلاف صفاتها من حيث التفخيم ، والترقيق ، والتوسط بينهما ، ويمكننا حصرها فيما يلي :

(١) لطائف الإشارات ١ / ٢٢١ وعلم اللغة العام د/بشر ١٤٨ - ١٥٠ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٢٧ ، ٣٠ والخصائص ٢ / ١٢١ ، ٣١٧ .

(٣) سورة القمر آية ٦ .

(٤) سورة الفجر آية ٤ .

١ - حركة قصيرة قريبة من الفتحة الخالصة - حركة طويلة قريبة من الألف الخالصة .

٢ - حركة قصيرة قريبة من الكسرة الخالصة - حركة طويلة قريبة من الياء الخالصة .

٣ - حركة قصيرة بين الفتحة والكسرة - حركة طويلة بين الألف والياء .

٤ - حركة قصيرة بين الفتحة والضمة - حركة طويلة بين الألف والواو .

٥ - حركة قصيرة بين الكسرة والضمة - حركة طويلة بين الياء والواو .

٦ - حركة قصيرة بين الضمة والكسرة - حركة طويلة بين الواو والياء .

إن هذه الحركات تعدل عن صفات المد الخالصة ، وتجنح إلى ما بينها ، ولكنها لا تحدث تغييرا في المعنى ، إذن فهي لا تعدو أن تكون تنويعات صوتية ناتجة عن تعديلات مختلفة في أعضاء النطق ، وتبين فيما يأتي :

(١) الجنوح بالفتحة الطويلة « الألف » نحو الضمة الطويلة « الواو » وذلك في ﴿ الصَّلَاة ﴾ ، ﴿ الزَّكَاة ﴾ ، ﴿ الْحَيَاة ﴾ وهو تفخيم أهل الحجاز^(١) ، وقد استحسنته سيبويه ، ومن تبعه^(٢) ، وجعله ابن جنى^(٣) من إمالة الألف نحو الواو ، وقال الداني : « أو هو » على لغة أهل الحجاز الذين يفرطون في تفخيم الألف وما قبلها في ذلك^(٤) .

(١) المحكم في نقط المصاحف ١٨٩ والكتاب ٤٣٢/٤ والبحر المحيط ١٧٢/٦ وشرح الشافية ٢٥٥/٣ وشرح المفصل ٥٤/٩ .

(٢) الكتاب ٤٣٢/٤ والنكت ١٢٤٣/٢ .

(٣) سر الصناعة ٥٠/١ .

(٤) في المحكم ١٨٨ ، ١٨٩ .

ومع التفخيم يرتفع مؤخر اللسان قليلا تجاه الحنك اللين بدرجة تزيد على درجة ارتفاعه مع الفتحة المفخمة ، وتقل عن ارتفاعه مع الضمة ، وتستدير الشفتان على نحو أقل من استدارتها مع الضمة^(١) .

وهذا العدول إنما هو ميل بالحركة الطويلة المفتوحة إلى حركة خلفية نصف ضيقة ، ويؤكد بعض المحدثين أن « انتقال جميع الفتحات الطويلة القديمة إلى فتحات طويلة ذات جرس خلفى أمر نادر الوقوع »^(٢) ثم حمل بعض على حالات مقيدة ، كالتى يخضع التماثل فيها للصوامت المفخمة قبل الصوت وبعده .

غير أننا نجد شائعة في لغة أهل الحجاز بعامة ، كما أن التفخيم في مثل « الزكوة » و « الحيوة » و « النجوة »^(٣) و « منوأة »^(٤) و « كمشكوة »^(٥) ليس مقيدا بصوت مفخم .

وقد ذكرت هذا النوع ؛ لأنه إمالة بالفتحة الطويلة نحو الضم ، وإن كان العلماء يطلقون مصطلح التفخيم على الضد من مصطلح الإمالة ، ولعلهم يقصدون به المد المحض في الفتحة الطويلة ، لا هذا النحو من التغيير ، وقد عرفوا الإمالة بأنها « عدول بالألف عن استوائه ، وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ، وبين مخرج الياء ، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة ، وبحسب بعده تكون خفتها »^(٦) .

(١) دراسات فى علم اللغة د/ بشر ١٢٦ - ١٢٩ ودروس فى علم أصوات العربية ١٦٣ واللغة العربية معناها ومبناها ٥٣ .

(٢) جان كانتينو فى دروس فى علم أصوات العربية ١٦٣ .

(٣) سورة غافر آية ٤١ .

(٤) سورة النجم آية ٢٠ .

(٥) سورة النور آية ٢٥ .

(٦) شرح المفصل ٥٤/٩ .

فهو على إطلاق الإمالة : ممال عن وجهه ، وعلى التقييد فى الاصطلاح خارج عنها .
(٢) الانتحاء قليلا بالفتحة الطويلة ناحية الكسر ، ومنها : قراءة حمزة^(١) « ياسين »
وقراءة نافع^(٢) : « دَارَ الْبَوَارِ »^(٣) .

وقد وصفها ابن مجاهد بأنها بين الفتح والكسر ، وهى إلى الفتح أقرب ، وفسره
أبو على الفارسى بأنه « لا يميل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة ، فتميل الألف
نحو الياء كثيرا ، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة ، فيخف لذلك إجناح
الألف وإضجاعها »^(٤) .

وهذه أول درجات الإمالة الاصطلاحية ، يرتفع معها الجزء الإمامى من اللسان
قليلا تجاه الحنك الصلب بحيث يقرب من نقطة المعيارية (ع) فيكون دونها فى
الموضع ، وأدخل قليلا فى الفم ، وهى حركة أمامية نصف واسعة .

ونعتقد أن هذا الوصف ينطبق على « الفتح اللطيف » فى قراءة أبى عمرو كل
ما كان على « فعلى » بتثليث الفاء ، من نحو « الدُّنْيَا » و « الْقُصُوى »^(٥)
و « مُوسَى » و « عِيسَى » و « يَحْيَى »^(٦) .

وعلى إشمام الفتح شيئا من الكسر فى قراءة ابن ذكوان^(٧) « مُزْجَاةٍ »^(٨) .

(١) الكشف ١/١٨٦ .

(٢) الحجّة ١/٣٠٢ .

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٨ .

(٤) الحجّة ١/٣٠٢ .

(٥) سورة الأنفال آية ٤٢ .

(٦) المبسوط ١١٧ .

(٧) النشر ٢/٤٢ .

(٨) سورة يوسف آية ٨٨ .

(٣) إمالة الفتحة الطويلة نحو الكسر ميلا متوسطا ، وهو ما يسمى « بين بين »
و « بين اللفظين » وقد عرفه مكى بأنه « الذي بين الفتح ، والإمالة ، لا هو
المفتوح محض ، ولا ممال محض » (١) .

ونحو : قراءة نافع وحمزة (٢) « التَّورَاةَ » (٣) وقراءة أبي عمرو (٤) « يَا سَفِي »
و « بُشْرِي » (٥) ، واشتهرت هذه القراءة « بين اللفظين » عن ورش في مواطن
كثيرة .

وفيها يتخذ مقدم اللسان نقطة ارتفاع متوسطة بين المعياريتين (٤) و (e) ويكون
أدخل قليلا في الفم ، فهي حركة أمامية متوسطة بين النصف واسعة والنصف
ضيقة .

(٤) الجنوح بالفتحة الطويلة نحو الكسر ميلا شديدا ، وهو أقصى درجات الإمالة ،
وقد اشتهر به قراء الكوفة ، ومنه : قراءة حمزة ، والكسائي (٦) « نموت
وَنَحْيِي » (٧) ، « أمات وأحْيِي » (٨) ، « وَيَحْيِي مَنْ حَى » (٩) وقد علله
الفارسي ، فقال : « يشبه أن يكون بالغ في إجناح الألف ليقربها من الياء ؛ إذ
كانوا قد أبدلوا من الألف الياء في نحو « أفْعَى » في الوقف ، فبالغ في
الإجناح ؛ ليقربها من الياء التي أبدلوها من الألف في الوقف » (١٠) .

(١) الكشف ١/١٨٣ .

(٢) السابق .

(٣) سورة آل عمران آية ٣ .

(٤) الكشف ١/١٨٥ والنشر ٢/٤٠ .

(٥) سورة يوسف آية ٨٤ وآية ١٩ .

(٦) التيسير ٤٦ والحجة ١/٣٠٧ .

(٧) سورة المؤمنون آية ٣٧ وسورة الجاثية آية ٢٤ .

(٨) سورة النجم آية ٤٤ .

(٩) سورة الأنفال آية ١٤ .

(١٠) الحجة ١/٣٠٧ .

ولم تكن هذه الإمالة الشديدة أو المشبعة مستحسنة ، فقد ذكر عن الفراء أن « الممال كثير في كلام العرب ، فمنه ما يكون في كثرة الاستعمال تفخيمه وإمالة سواء ، ومنه ما يكون أحد الأمرين فيه أكثر وأحسن ، وكان عاصم يفرط في الفتح ، وحمزة يفرط في الكسر ، وأحسن ذلك : ما كان بين الكسر المفرط ، والفتح المفرط » (١) .

ومقدم اللسان يرتفع إلى ما يقارب نقطة المعيارية (e) وهو العلة التالية للكسر المحض (i) غير أن نقطة ارتفاعه تكون دونها ، وأكثر انسحابا إلى الخلف ، وتنفرج الشفتان ولكن دون قدر انفراجها مع المعيارية المذكورة .

(٥) وثمة حركات مشوبة ، تعد من قبيل الإمالة في الحركات القصيرة ، ومنها : إشماء الكسرة حركة الضمة ، ومنه : قراءة الكسائي ، وهشام ،

رويس (٢) « قِيلَ » ، « وَغِيضَ » (٣) و « جِيءَ » (٤) و « سَيَقَ » (٥) قال الداني : أما الحركة المشوبة في نحو « سيء » فحقيقتها : أن ينحى بكسرة أوائل هذه الأفعال نحو الضمة يسيرا ؛ ليدل بذلك على أن الضم الخالص أصلها ، كما ينحى بالفتحة الممالة نحو الكسرة قليلا ؛ ليدل بذلك أيضا على انقلاب الألف عن الياء ، وليقرب بذلك من كسرة قبلها وبعدها « (٦) .

(١) شرح المفصل ٥٤/٩ .

(٢) النشر ٢٠٨/٢ والكشف ٥٤/٢ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

(٤) سورة الزمر آية ٦٩ وسورة الفجر آية ٢٣ .

(٥) سورة الزمر آية ٧١ ، ٧٣ .

(٦) المحكم ٤٨ وانظر سر صناعة الإعراب ٥٨/١ .

وذكرنا هذا بصوت المد المركب Diphthong الذي يتخذ فيه اللسان موضع حركة ثم ينتقل إلى موضع حركة أخرى ، إذ يبدأ اللسان من موضع نطق الكسرة ، وينتهي بموضع الضمة وتصاحبه حركة الشفتين في حالة انفراجهما مع الكسرة ، ثم استدارتهما لنطق الضمة (١) .

وينبغي ملاحظة أن الإشمام في المتحرك يكون مسموعا ، أما في الساكن فيكون منظورا (٢) .

(٦) إشمام الضمة حركة الكسرة : كان الأخفش يميلها (٣) ، ويخلص الواو ساكنة في نحو « ابن مَدْعُورٍ وابن بُوْرٍ » وكان سيبويه (٤) يروم الحركة في الواو ، ولا يميلها حتى لا تقال الضمة قبلها ، وجعلها ابن جنى من الضمة المشوبة بالكسرة ، والواو المشوبة بالياء .

وهذا أيضا كالصوت المركب السابق مع اختلاف حركة اللسان والشفتين .

قراءة النبي ﷺ بين معايير الإمالة

بيِّنَ العرض السابق أن للإمالة درجات متفاوتة ، وأنها تتراوح بين الشديدة المفرطة في جنوحها نحو الياء ، وبين الخفيفة التي يُشم فيها حسب راحة الكسر .

(١) انظر الأصوات اللغوية ١٦١ ط سادسة ، وأسس علم اللغة - ماريوباي ١٥٠ ودراسة الصوت اللغوي ١٠٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، وأصوات اللغة د/أيوب ١٧١ - ١٧٤ ، دروس في علم أصوات العربية ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٢) الكشف ٥٤/٢ .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه ٣٥٢ وسر الصناعة ٥٣/١ والنكت ١٠٨٨/٢ .

(٤) المراجع السابقة ، والكتاب ١٤٣ / ٤ .

كما بيّن أن هذه الدرجات تكون في الحركات الطويلة والقصيرة ، ونود أن نبين نسبة الإمالة في قراءة النبي ﷺ « يَحْيَى » و « طِه » بين تلك المعايير .

و « يَحْيَى » هو ابن زكريا عليهما السلام ، وقد اختلف (١) في وزنه ، فقليل : هو « فَعَلَى » وقيل : هو « يَفْعَل » والأول مذهب الكسائي ، والثاني مذهب سيبويه .

وعلى الأول وردت درجات مختلفة من الإمالة :

- فقد روى عن حمزة ، والكسائي ، وخلف أنهم كانوا يُميلون كل اسم يأتي على « فَعَلَى » ومنه « يحيى » .

- وروى عن أبي عمرو أنه كان يميله بين اللفظين ، وكذا عن ورش .

- وروى عنه — أيضا أنه كان يميل ذلك إمالة لطيفة .

- وروى عنه — أيضا الفتح ، ذكره مكى (٢) ، وابن الجزرى (٣) .

وقال — الأصبهاني (٤) فيما كان على « فعلى » بتثليث الفاء : « قرأنا في رواية محمد بن إسحاق البخارى جميع ذلك بالفتح اللطيف ، وكان يقول : لا ندرى « بين الفتح والكسر » ماهو ، إنما أمرونا ألا نفتح فتحا شديدا ، وبه قرأنا ، وهو الصواب » .

(١) انظر التيسير ٤٧ والكشف ١٨٥/١ والمبسوط ١١٣ ، ١١٧ والنشر ٣٦/٢ والإقناع ٢٩٨/١ ، ٢٩٩ .

(٢) الكشف ١٨٥/١ والمراجع السابقة .

(٣) النشر ٣٦/٢ .

(٤) المبسوط ١١٧/١ .

وهذه الروايات واضحة التفريق بين مصطلحات « الإمالة » و « بين اللفظين » و « الإمالة اللطيفة » وإطلاق الإمالة يعنى أنها المحضة ، وفى هذه تزيد درجة ميل الفتح إلى ناحية الكسر ، أى أنها تجاوز درجة « بين بين » وهى المتوسطة ، إلى درجة نصف الضيقة ، فهى تأخذ اتجاهها متخالفا مع قراءة « بين بين » و « الإمالة اللطيفة » .

والقراءة التى ارتضاها الأئمة : هى التى « تجعل الحرف بين بين » يقول الدانى : « وأختار الإمالة الوسطى التى هى بين بين ؛ لأن الغرض من الإمالة حاصل بها ، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء »^(١) والمتوسطة عند ابن الجزرى^(٢) : بين الفتح المتوسط ، وبين الإمالة الشديدة ، وهى التى ينبغى أن تكون عليه الألف فى الإمالة ، كما ذكر أبو على الفارسى^(٣) .

وقد وصف الفراء إمالة حمزة بالإفراط ، ووصف الفارسى إمالته فى بعض المواطن بالشدة ، فقال الفراء : « وكان عاصم يفرط فى الفتح ، وحمزة يفرط فى الكسر ، وأحسن ذلك ما كان بين الكسر المفرط والفتح المفرط »^(٤) وقال الفارسى : « وكان حمزة يميل هذه الحروف أشد من إمالة أبى عمرو ونافع »^(٥) .

ومن ثم نرجح أن تكون قراءة النبى ﷺ من هذا النوع المستحسن ، ويمكن حينئذ تصنيفها فى النوع الثالث الذى وصفه مكى^(٦) بأنه « لا هو مفتوح محض ، ولا ممال

(١) النشر ٣٠ / ٢ .

(٢) السابق .

(٣) الحجة ١ / ١٨٣ .

(٤) المبسوط ٢٩٣ وشرح المفصل ٥٤ / ٩ .

(٥) الحجة ١ / ٣٠٧ .

(٦) الكشف ١ / ١٨٣ .

محض « وهو « بين بين » والذي يتخذ فيه مقدم اللسان نقطة ارتفاع متوسطة بين المعياريتين (٤) و (e) مع انسحاب قليل إلى الخلف ، وتكون الإمالة ها هنا : حركة أمامية متوسطة بين النصف واسعة ، والنصف ضيقة .

أما قراءة النبي ﷺ « طه » بإمالة الهاء والطاء .

فإن « طه » مركب من حرفي هجاء ، صوت كل منهما : طا = ص ح ح ،
ها = ص ح ح .

فثم حركتان طويلتان ، وقد اختلف القراء في درجة فتح وإمالة الجزئين ، على النحو الآتي :

في الجزء الأول : « طا »^(١) .

فتح شديد : عاصم ، وابن كثير ، وابن عامر ، يعقوب ، حفص .

فتح : أبو عمرو ، ابن مجاهد ، ورش ، الأصبهاني ، قالون .

إمالة متوسطة : نافع ، أبو معشر الطبري .

إمالة محضة : حمزة ، الكسائي ، خلف .

(١) انظر النشر ٧١/٢ ، ٧٢ ، والتيسير ١٥٠ والكشف ١٨٧/١ والاقناع ٣٢١/١ ، والمبسوط ٢٩٢ .

الجزء الثانى : « ها » (١) .

فتح شديد : عاصم ، ابن كثير ، حفص .

فتح : أبو جعفر ، نافع ، يعقوب ، ابن عامر ، ابن مهران ، ابن مجاهد .

إمالة متوسطة : أبو عمرو ، ورش ، قالون ، أبو إسحاق الطبرى ، ورواية عن نافع ، وأبى جعفر .

إمالة شديدة : حمزة ، الكسائى ، خلف ، الأزرق .

وهكذا نرى اختلاف مراتب الإمالة فى الجزء بين بين الفتح الشديد ، وبين الإمالة المحضة .

واختيار الأئمة منصرف إلى التوسط بينهما ، فقد نص الأصبهانى (٢) على أن القراءة المأخوذة « لفظا بالفتح ، إلا أنه ليس بالفتح الشديد ، وكذلك قال محمد ابن إسحاق وغيره ، لاندري بين الفتح والكسر ما هو ؛ إنما امرونا ألا نفتح فتحاً شديداً ، وقرأ أبو عمرو « طه » بفتح الطاء وكسر الهاء كسراً لطيفاً من غير إفراط ، وكذلك جميع ما يكسره من الحروف لا يكسره إلا لطيفاً مستحسناً غير مستشنع » .

وقد أعجب به الفراء ، واستكره تفخيم عاصم ، وإفراط حمزه فى الإمالة ، فقد روى عنه خلف بن هشام : « أفرط حمزة فى الكسر ، وأفرط عاصم فى الفتح ، وأحب إلى أن تكون القراءة بين ذلك كقراءة أبى عمرو » (٣) .

(١) انظر النشر ٢ / ٦٨ والتيسير ١٥٠ والكشف ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ والإقناع ١ / ٣٢١ والمبسوط ٢٩٢ .

(٢) المبسوط ٢٩٣ .

(٣) السابق وانظر شرح المفصل ٩ / ٥٤ .

ومن ثم فإننا نرجح أن تكون إمالة النبي ﷺ على هذا النحو المتوسط المستحسن ، كما هو الشأن في القراءة السالفة .

مصدرها اللهجي

ذكر الهذلي في كامله (١) خبراً مفاده أن الإمالة لم تكن من لغة قريش خاصة ، ونصه : « حدث أبو الرماح ، صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » ف قيل لرسول الله ﷺ أتميل وليس هي لغة قريش ؟ قال : « هي لغة الأخوال » « يعني بنى سعد » .

وأن الصحابة لما انتقلوا من المدينة ومكة إلى العراق ، وأخذوا بلغة أهل الأنبار ، حتى إن رجلاً سمع سعد بن أبي وقاص بعد قدومه إلى القادسية يقرأ « موسى » و « عيسى » و « يحيى » بالإمالة ، فقال : إن أبا إسحاق جاور أهل الأنبار (٢) .

وأن هارون الرشيد حين قدم مكة ، وقدم الكسائي ليصلي بهم ، فقرأ سورة « والنجم » فأمال ، ففرقوا من خلفه وشغبوا عليه (٣) .

وقد أطبقت الرواية على نسبة الفتح أو التفخيم - في مقابلة الإمالة - إلى عموم أهل

(١) الكامل في القراءات الخمسين لوحة ٨٢ .

(٢) السابق لوحة ٨٠ .

(٣) نفسه لوحة ٨١ .

الحجاز ، وكان الرواة يتناقلون هذه النسبة خلفا عن سلف ، حتى فى هذا القدر الذى يميله بعضهم (١) .

بيد أنهم يتجاوزون هذا التعميم فيما يخص الإمالة ، إذ نسبها بعضهم إلى عامة أهل نجد ، ثم عينوا منهم تميما ، وقيسا ، وأسدا ، وزاد بعضهم هوازن ، ويكر بن وائل ، وسعد بن بكر ، وأضاف بعضهم أهل اليمن ، فقد نقل السيوطى (٢) عن أبى بكر ابن مقسم « أن أكثر أهل اليمن يميلون ألف « حتى » لأن الإمالة غالبية على ألسنتهم فى أكثر الكلام » .

وثمة ما يدل على أن الإمالة كانت فى بعض أهل الحجاز أيضا ، فقد نص سيبويه (٣) على أنه « مما يميلون ألفه : كل شىء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عين ، إذا كان أول « فَعَلَتْ » مكسورا ، نَحَوًا نحو الكسر ، كما نَحَوًا نحو الياء فيما كانت ألفه فى موضع الياء ، وهى لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون » وذكر هذا أيضا ابن السراج ، والسيرافى (٤) ، وأبو حيان ، وغيرهم .

(١) انظر الكتاب ١١٨/٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، والسيرافى النحوى ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ والأصول ٣/١٦١ ، ١٦٢ وشرح المفصل ٥٤/٩ وشرح الشافية ٤/٣ ، ٢٥٥ والبحر المحيط ٥٩/١ ، ٧١ ، ١٧٢/٦ والنشر ٣٠/٢ ، وإبراز المعانى ١٢٥ والمحكم للدانى ١٨٩ ومقدمتان فى علوم القرآن ٢٢٧ و اللهجات العربية فى التراث ٢٧٥ - ٢٩٢ والإمالة فى القراءات واللهجات العربية ٦٩ - ٩٦ فى اللهجات العربية ٦٠ - ٦٩ اللهجات العربية نشأة وتطورا ١٩٤ - ٢٠٩ .

(٢) الهمع ٣/٢٠٤ .

(٣) الكتاب ٤/١٢٠ .

(٤) الأصول ٣/١٦٢ والسيرافى النحوى ٣١٢ .

وذكر أيضا (١) عن ابن أبي إسحاق أنه سمع كثير عزة يقول : صارَ بمكان كذا وكذا .
وكثير عزة خزاعي ، وخزاعة من الأزد وقييل عدنانية ، وكانت منازلهم بأنحاء مكة في مر
الظهران ومايليه ، فإن صحت عدنانيتهم ثبتت الإمالة في الحجاز ، وقييل هم
قحطانية وخزاعة هو كعب بن عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف (٢) ، فإن صح هذا
فإنه يؤكد نسبة الإمالة إلى أهل اليمن ، وأنها حلت معهم أينما حلوا سواء أكان ذلك
في الشام أم في الحجاز ، بعد أن فارقوا اليمن في سيل العرم ، ونزل بعضهم مكة .
وقد ذكر ابن الأنباري (٣) أيضا أن « الإمالة تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم
من بني تميم وغيرهم » وهذا وإن كان ظاهرا في دلالة على قصد أهل البداوة من
الحجازيين ، فإنه استثناء في إطلاق العلماء .

وأيا ، فقد أثبتت المقارنات بين حركات المد في فروع السامية أنها تشترك في
الحركات الثلاث الأصلية ، وفي الحركة الرابعة « e » وهي المعروفة في الإمالة ، وقد
صارت إلى « a » في العربية الفصيحة (٤) ، يقول كانتينو (٥) : « كانت الإمالة
ظاهرة قديمة ؛ إذ هي تظهر في نقل أسماء الأعلام العربية بأحرف اللغة اليونانية » .

(١) الكتاب ٤ / ١٢١ .

(٢) انظر نسب معد واليمن الكبير ٤٩٣ وجمهرة أنساب العرب ٢٣٥ والإنباه على قبائل الرواة ٩٦
والإشتقاق ٤٦٨ والعقد الفريد ٣ / ٣٨١ .

(٣) اسرار العربية ٤٠٦ .

(٤) التطور النحوي ٦٠ .

(٥) دروس في علم أصوات العربية ١٥٩ .

ويقول برجشتراسر « فنرى من رسم القرآن أن الفتحة الممدودة كانت ممالة عند الحجازيين في أواخر كثير من الكلمات نحو « إلى » و « إحدى » و « رمى »

والفتحة الممدودة في مثل « رمى » نشأت من اتحاد « aya » في « رمى » فالأرجح أن الياء كانت أثرت في نطق الفتحتين المجاورتين لها ، وأمالتهما إلى « e » فصارت الحركة المتحدة « e » لا « a » فيتضح أن لهجة الحجاز حافظت على كثير من الفتحات الممالة ، وأى « e » الموجودة في اللغة السامية الأم ، ولم تبدلها بالفتحة الخالصة ، مع أكثر لهجات العرب ، ولم تحتفظ بها كلها « (١) .

الإمالة إذن ظاهرة متأصلة ، ولها جذورها الضاربة في العراق ، وهي من طبائع أهل الفصاحة كما ذكر الكسائي (٢) ، وقد اتسعت رقعة المتكلمين بها ، من أهل اليمن ، إلى الحجاز ، والشام ، ونجد ، ومن ثم يقول سيبويه :

« الإمالة أكثر في كلامهم » (٣) ويقول الدانى : « الإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم » (٤) .

وإذا كان القرآن نزل بالتفخيم « الفتح » فإن الله تعالى أجاز لنبيه أن يقرأ على سبعة أحرف كلهن كاف شاف ، وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » وفسر أبو عمرو : لحونها وأصواتها بمذاهبها وطبائعها (٥) .

(١) التطور النحوى ٦٠ .

(٢) النشر ٢ / ٨٢ .

(٣) الكتاب ٤ / ١٢٧ .

(٤) عن النشر ٢ / ٣٠ .

(٥) الأحرف السبعة للدانى ٤٤ .

وقراءة النبي ﷺ بها تشریف ، واعتزاز بلغة الأخوال رضعائه من بنى سعد بن بكر ،
وهم عليا هوازن أفصح العرب بعد قریش ، باتفاق الرواة .

وقد تمثل الإمامة آل بيت النبي ﷺ اقتداء به ، واستحسانا لقراءته ﷺ ، فقد روى
الهدلى بسنده عن يزيد بن القعقاع : سمعت عبد الله بن العباس الهاشمي يقول :
قالت فاطمة لفضة جاريتها : اسقني ما ، فرققت وأمالت ولينت فتركت
الهمز « (١) .

وروى عاصم : أقرأني علي بن أبي طالب رضی الله عنه « رأی گوگبا » بالإمالة (٢)
وافتخر القراء بعلو إسناد قراءة الإمامة ، فقال حمزة : « قرأت علي
الأعمش ، وقرأ الأعمش علي يحيى بن وثاب ، وقرأ يحيى علي زر بن حبيش ،
وقرأ زر علي ابن مسعود ، وقرأ ابن مسعود علي رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله
تعالی ، هل للنحويين إسناد مثل هذا ؟ » (٣)

(١) الكامل لوجه ٨٢ .

(٢) السابق .

(٣) نفسه لوجه ٨١ .

في المماثلة بين الصوامت

روى أن النبي ﷺ قرأ :

(٩) قوله تعالى : ﴿ وَالنُّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نُّضِيدٌ ﴾ (١) : « وَالنُّخْلَ بَاصِقَاتٍ » (٢) .

(١٠) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ بالبدال المهملة (٣) .

و ﴿ باسقات ﴾ بالسين قراءة النبي ﷺ أيضا (٤) ، وهي قراءة ابن عباس في جميع القرآن (٥) ، ويقال : : إن رسمها في مصحفه كذلك (٦) .

وقد نص العلماء على أن السين هي الأصل ، فعن الكسائي : « السين في ﴿ الصُّرَاطِ ﴾ سين في كلام العرب ، ولكني أقرأ بالصاد اتباعا للكتاب » (٧) .

(١) سورة ق آية ١٠ .

(٢) نسبت هذه القراءة - بالصاد المهملة - إلى النبي ﷺ في جزء الدوري ١٥١ والمحتسب ٢ / ٢٨٢ وشواذ القراءة للكرمانى لوحة ٢٢٨ والكشاف ٤ / ٥ والبحر المحيط ٨ / ١٢٢ وتفسير القرطبي ١٧ / ٧ ومقدمتان في علوم القرآن ٢٢٣ .

(٣) سورة القمر آية ١٥ .

نسبت هذه القراءة إلى النبي ﷺ في معاني القرآن للفراء ٣ / ١٠٧ وجزء الدوري ١٥٥ ، ١٥٦ وصحيح مسلم ٢ / ٢٠٦ باب ما يتعلق بالقراءات ، وسنن أبي داود حديث رقم ٣٩٩٤ وانظر تفسير الطبري ٢٧ / ٩٦ .

(٤) ذكره الدوري ١٥١ وابن جنى في المحتسب ٢ / ٢٨٢ .

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة ٨٠ .

(٦) عن اللهجات العربية في التراث ٤٤٣ عن تاريخ المصاحف لجفري .

(٧) الإقناع في القراءات السبع ١ / ٥١٥ .

وذكر الأخفش اللغتين ، وقال : « إلا أنا نختار الصاد ؛ لأن كتابها على ذلك في جميع القرآن » (١) .

ونقل الفارسي حجة ابن السراج في ذلك ، وهي : أن « للقارىء بالسین أن يقول : هو أصل الكلمة ، ولو لزم لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها » (٢) .

وكذلك لزم ابن كثير القراءة بالسین في جميع القرآن محتجاً بأنها الأصل ، وأنه لا ينتقل عن الأصل إلى ما ليس بأصل (٣) . وقال أبو حاتم : وقرأ يعقوب ، وقنبل ، ورويس ، بالسین في كل موقع من القرآن الكريم (٤) .

العلاقة بين السین والصاد ، وأصوات التفخيم

تشارك السین والصاد في المخرج ، والصفة ، غير أن الصاد مستعلية نظراً لارتفاع مؤخر اللسان معها إلى الحنك الأعلى ، وانسحابه قليلاً إلى الخلف ، فهي مطبقة « مفخمة » أما السین فهي متسفلة مرققة .

ولكل من الصوتين فونيم مستقل في العربية ، ويظهر أثره في الفرق بين « صَبْرٌ » و « سَبْرٌ » و « صاحبٌ » و « ساحبٌ » إلخ .

(١) معاني القرآن ١ / ١٦ .

(٢) الحجة في علل القراءات السبع ١ / ٣٦ .

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ٨٠ والكشف ١ / ٣٤ .

(٤) المبسوط ٨٦ وإرشاد المبتدى ٢٠١ ، ٢٠٢ ، والإتحاف ١٢٣ .

وقد يتحدان في فونيم واحد في حالة الإبدال الحر ، نحو « الرُّسَح » و « الرُّصَحُ » (١) و « الحَرَّسِيس » و « الحَرَّصِيس » (٢) أو في الإبدال المقيد ، نحو « بَسْطَةُ » و « بَصْطَةُ » و « بَاصِقَاتٍ » و « باصِقَاتٍ » إلخ .

فالصوت في الإبدال الحر ، والإبدال المقيد يفقد قيمته الوظيفية ، ويظل مجرد ألفون Allephon والإبدال المقيد كثير في اللغة ، ويكاد يكون مطردا ، وذلك إذا وقع بعد السين في كلمة واحدة صوت من الأصوات الآتية :

القاف - الطاء - الغين - الخاء .

وهذه الأصوات مفخمة ، ويجب أن تحتفظ بهذه الصفة ؛ لارتباطها بقيمتها الوظيفية .

والسين مرققة ، ولا تفقد قيمتها باعتبارها فونيمًا في الكلمة إذا غلب عليها التفخيم الثابت في الأصوات المجاورة لها .

فاللسان يعمل بصورة تلقائية على الملازمة بين ألفونات الأصوات ، وبحيث لا يؤثر على قيمتها الوظيفية ، فيضفى على السين من ظلال التفخيم المجاور ، فيبدو التماثل في عمله على نحو واحد .

فعملية المماثلة إذن تقتضى النظر إلى العلاقة بين السين والصاد من ناحية ، وإلى العلاقة بين السين والأصوات المجاورة من ناحية أخرى (٣) .

(١) الرُّصَحُ : لغة في الرُّسَحُ ، رجل أَرْسَحُ وأَرُصَحُ ، وامرأه رَسْحَاءُ ورَصْحَاءُ ، وهو الذى لا عجز له .
جمهرة اللغة ٥١١ ، ٥١٥ تع بعلبكي .

(٢) يقال : مايملك حَرَّصِيسا ، وحَرَّسِيسا ، أى : مايملك شيئا ، جمهرة اللغة ١٢١٩ والإبدال لأبى الطيب اللغوى ١ / ٢٨١ ، ٢ / ١٩٣ .

(٣) انظر الكتاب ٤ / ٢٧٩ ، ٤٨٠ والمقتضب ١ / ٢٢٥ والخصائص ٢ / ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٢٧ وسر الصناعة ١ / ١٨٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ والمنصف ٢ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ وشرح المفصل ١٠ / ٥١ ، ٥٢ .

والسين فى « باسقات » سابقة على القاف ، ولا يفصلها عنها فى الكلمة سوى حركة السين « فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ؛ ليكون العمل من وجه واحد ، وهى الصاد ؛ لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق » (١) .

وينبغى التنبيه هنا إلى أن الفاصل بين السين وحروف الإطباق غير مؤثر على عملية التماثل ، فقد تمت مع وجوده فى نحو « الصراط » و « الصلِّقم » (٢) بدل « السراط » و « السلقم » .

والقييد فى هذه الظاهرة يدل على أن السين أصل فى الصاد ، وقد أثبتت المقارنات أن « الصراط » من اليونانية « سترات » بمعنى طريق ، مأخوذة من الأصل اللاتينى Strata ثم انتقلت إلى العربية عن طريق الآرامية التى تبدل فيها التاء طاء (٣) .

وقد علل بعضهم أصالة السين بأنه « لو كانت الصاد هى الأصل ماجاز أن ترد إلى السين ؛ إذ لا علة توجب ذلك ، وإذا لا ينقل الحرف إلى أضعف منه ، والصاد أقوى بكثير ؛ لإطباقها واستعلائها ، فإذا لم يجز أن ترد الصاد إلى السين ، وجاز رد السين إلى الصاد علم أن السين هى الأصل ، والصاد داخلة عليها لعة » (٤) .

(١) الكتاب ٤ / ٤٨٠ .

(٢) بغير صلقم وصلقم : شديد الفك يكسر كل ماضغه ، وهى السلقمة والصلقمة . جمهرة اللغة ١١٥٦ والإبدال لإبى الطيب اللغوى ٢ / ١٩٣ .

(٣) انظر دراسات مقارنة فى المعجم العربى ١٢٤ والساميون ولغاتهم ١٣٤ .

(٤) مكى فى الكشف ١ / ٣٠٢ وانظر ١ / ٣٤ .

القراءة بالصاد

على الرغم من تأكيد أصالة السين ، فقد استحسنت القراءة بالصاد لأسباب ، منها :

- كتابتها في المصحف الإمام بالصاد ، وقد كانت كتابته على لفظ ورسم لغة قريش (١) .

ولهذا السبب أثر الكسائي ، وعاصم قراءتها بالصاد (٢) ، وسبق لهذا اختيار الأخفش ، ونحوه أبو حاتم في قوله : « وأختار في ذلك أن يتبع خط المصحف » (٣) .

- الخفة الناشئة عن التماثل ، فقد علل ابن السراج (٤) اختياره الصاد بالخفة ، والحسن في السمع ، وعدم الإلباس ، يعنى به أن تفخيم السين لا يترتب عليه تغيير في المعنى .

ويحتج أبو على الفارسي لذلك قائلاً : « وبدلك على أن حسن إبدال الصاد من السين في « سراط » لما ذكرت لك من كراهة التصعد بعد التسفل :

(١) المصاحف للسجستاني ٢٤ ومنجد المقرئين ٢٢ .

(٢) الإقناع ١ / ٥١٤ ، ٥١٥ .

(٣) الكشف ١ / ٣٠٣ .

(٤) انظر الحجة للفارسي ١ / ٣٧ والاتحاف ١٢٣ والبحر المحيط ١ / ٢٥ .

أن من يقول : « صويق » و « صقت » إذا قال : « قست » و « قسوت » لم يبدل
الصاد منها ؛ لأنه الآن ينحدر بعد الإصعاد ، وهذا يستخف ، ولا
يستثقل كما استثقل عكسة فكذا في باب « صراط » و « صويق » و
« صالح » و « صالح » لما أريد فيه ذلك ترك الأصل إلى تشاكل الصوتين
وتجانسهما » (١) .

- أنها اختيار جمهرة القراء ، فقد نعتها العلماء بالفصاحة ، إذ هي لغة قريش ،
وأنها قراءة الجمهور (٢) ، وأن من قرأ منهم بالسين قرأ بالصاد أيضا ، وقد جمع
مكي هذا في قوله : « والصاد هو الاختيار للمطابقة في اللفظ ، والمجانسة بين
الحرفين ؛ ولأن عليه خط المصحف ؛ ولأن عليه أكثر القراء » (٣) .

مصدرها اللهجي

حملت القراءة بالصاد على ظاهرة التماثل ، وعزيت هذه الظاهرة إلى كل من تميم
بعامة ، وعمرو بن تميم ، وبلعبر منهم بخاصة ، وأهل العالية ، وهوازن ، وقريش ،
وبنى سليم ، وهذيل .

(١) الحجة ١ / ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٥ والحجة ١ / ٣٧ والمبسوط ٨٦ والإقناع ٢ / ٥٩٥ والعنوان في القراءات
السبع ٦٧ .

(٣) الكشف ١ / ٣٠٣ وانظر ١ / ٣٤ ، ٣٥ .

فقد عزاها أبو الطيب اللغوي (١) إلى مطلق تميم ، وحددها ابن أبي إسحاق في عمرو ابن تميم ، إذ سأله يونس بن حبيب : هل يقول أحد : الصويق ؟ فقال : نعم ، تقولها عمرو بن تميم (٢) .

وحدها قطرب ، وابن دريد في بلعنبر خاصة من بين عمرو بن تميم ، فعن قطرب أن « قوما من بني تميم يقال لهم : بلعنبر يقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف » (٣) وقال ابن دريد : « السويق معروف ، وقد قيل بالصاد ، وأحسبها لغة لبني تميم ، وهي لغة بلعنبر خاصة » (٤) .

وكان الفراء أكثر تحديدا حين عزاها إلى « نفر من بلعنبر » غير أنه أضاف أن « الصراط » بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، وأن عامة العرب تجعلها سينا » (٥) .

وعنه أيضا : أن « بني سليم ، وهذيل ، وأهل العالية ، وهوازن يقولون : « هو أخوه صَوَّغَه » بالصاد ، وأكثر الكلام « سَوَّغَه » بالسين (٦) .

(١) الإبدال ٢ / ١٩٠ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٧ وانظر اللهجات العربية في التراث ٢ / ٤٤٦ ولغة تميم ١٥٣ .

(٣) الصحاح ، واللسان (صدغ) .

(٤) جمهرة اللغة ٨٥٣ .

(٥) عن تهذيب اللغة ١٢ / ٣٣٠ وانظر اللسان (سرت) وفي اللهجات العربية ١٢٩ ط رابعة واللهجات

العربية في التراث ٢ / ٤٤٤ ولغة تميم ١٥٣ .

(٦) اللسان (صوغ) .

ونلاحظ من خلال هذه النصوص :

- أن هذه الظاهرة لا تخضع لما قرره بعض المحدثين (١) من أن القبائل البدوية تميل إلى الأصوات المفخمة ، وأن القبائل الحضرية تميل إلى الأصوات المرققة ، فقد بينت الرواية أنها فى القبائل الحضرية أيضا ، مثل قريش ، وهذيل ، وسليم .
- وأنها محدودة رغم نسبتها إلى تلك القبائل ؛ فإن سؤال يونس بن حبيب ابن أبى إسحاق : « هل يقول أحد « الصويق » ؟ » وحصرها فى بلعنبر ، أو فى نفر منها مما يؤكد هذا .
- وأنها ظاهرة مقيدة ، من حيث الموقعية ، والأصوات ، فلا بد لكى تتم المماثلة أن تتقدم السين على الأصوات المستعلية المحددة فى القاف ، والحاء ، والغين ، والطاء ، وأن يكون ذلك فى كلمة واحدة ، سواء بفاصل أم بغير فاصل ، وقد اشتهرت على هذا النحو باطراد فى بلعنبر ، ومن ثم عدوها قياسا فى لغتهم .
- وأن السين هى الأصل كما تقرر قبل ، والصاد ناشئة عن عملية التماثل وتحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة ، وهى ظاهرة مستحسنة ، فأخذت بها قريش ومن جاورها ، وقد اشتهر عنها تخيرها الصفات المستحسنة من لهجات القبائل .
- وأن الروايات التى تذهب إلى أن الصاد أصل فى لغة قريش ، كرواية الفراء ، وما نقله أبو حيان عن الطوسى (٢) من أنها بالصاد لغة قريش ، وأنها اللغة الجيدة ، إنما تعنى القراءة لا أصل اللغة ، فقد قرأ النبى ﷺ بالسين أيضا ، وكذلك قرأ ابن عباس بالسين فى جميع القرآن ، ورسمها فى مصحفه أيضا بالسين .

(١) دكتور إبراهيم أنيس فى اللهجات العربية ١٢٧ وما بعدها ط رابعة .

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٥ .

وبالإضافة إلى كثرة من ذكر أن الأصل هو السين^(١) ، فإن الفراء الذي روى عنه أن الصاد أصل في لغة قريش ، روى عنه أيضا أن « نفرا من بلعبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ، ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء أو صاد »^(٢) .

وأبو حيان الذي نقل الرواية السابقة عن الطوسي ، يقول : « روى قطبة بن مالك عن النبي ﷺ أنه قرأ « باصقات » بالصاد ، وهي لغة لبنى العنبر ، يبدلون من السين صادًا إذا وليتها ، أو فصل بحرف أو حرفين ، خاء ، أو غين ، أو قاف ، أو طاء »^(٣) .

وهذا كله يدل على أن السين هي الأصل في لغة قريش ، وأن الصاد ناشئة عن ظاهرة التجانس الصوتي ، وليس ثمة ما يمنع من احتفاظ قريش بالأصل في لغتها النموذجية ، إلى جانب اللغة الثانية التي تمثلها قراءة النبي ﷺ وقد ثبت أن ظاهرة التماثل كانت منتشرة في القبائل الحضرية أيضا كقريش ، وهذيل ، وسليم .

وأيا فإن قراءة القرآن تتطلب تحقيقا في الأداء أكثر مما يتطلبه غيرها من مرسل الكلام ، وهذا يقتضى القراءة بالسين على الأصل ، وقد أبيح للنبي ﷺ أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف .

وتفخيم السين على قيد هذه الظاهرة صفة مستحسنة ، تكيفها أعضاء النطق تلقائيا ، وتجنح إليها بطبيعتها ، لما فيها من خفة على اللسان ، وليس كما زعم بعض المحدثين^(٤) من أن القبائل الحضرية تتخلص من أصوات الإطباق ، فإنه في حالة الملازمة بين الأصوات يعتبر ميلا إلى الأيسر والأخف على اللسان .

(١) انظر الحجة للفارسي ٣٦/١ والمحتسب ٣٤٦/٢ ، ٣٤٧ وإتحاف فضلاء البشر ١٢٣ والكشف ٣٤/١ ، ٣٠٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١٢/٣٣٠ .

(٣) البحر المحيط ٨/١٢٢ .

(٤) د / أنيس في اللهجات العربية ١٢٤ ط أربعة .

أما قراءته ﷺ « فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ » فهي قراءة الجمهور ، والقراءة المختارة في المصحف الإمام .

وقد قرأ ابن مسعود ، وقتادة ، وعيسى بن عمر ، وأبو حيوه « مُدَكِّرٍ » بالذال المعجمة المشددة (١) .

وابن مسعود - رغم قراءته بالذال المعجمة - هو الذي روى القراءة عن النبي ﷺ (٢) فقد حكى الفراء (٣) « حدثني الكسائي - وكان والله ما علمته إلا صدوقا - عن إسرائيل والقرزمي عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد ، قال : قلنا لعبد الله : « فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ » أو « مُدَكِّرٍ » ؟ فقال : أقرأني رسول الله ﷺ « مُدَكِّرٍ » بالذال . »

وفي رواية أخرى عنه أيضا : « سمعت النبي ﷺ يقرأها « فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ » فقال رجل « مُدَكِّرٍ » بالذال ، فقال النبي ﷺ : « لا ولكن مُدَكِّرٍ » (٤) .

التفسير الصوتي لهذه القراءة

مُدَكِّر : مُفْتَعِلٌ مِنَ الذَّكْرِ ، وَالْأَصْلُ : مَذَكَّر .

(١) مختصر شواذ القراءة لابن خالويه ١٤٨ وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٣ ، ٢٣٤ والكامل في القراءات الخمسين للبهزلى لوحة ٢٤٠ وقد نص الكرماني على أن قراءة قتادة بتشديد الذال والكاف . ونقل أبو حيان عن صاحب اللوامح أن قراءة قتادة « مُدَكِّرٌ » فاعل من التذكير ، أى : من يذكر نفسه وغيره بما مضى . البحر المحيط ٨ / ١٧٨ .

(٢) ذكره الدوري في جزئه ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) في معاني القرآن ٣ / ١٠٧ .

(٤) ذكرها الدوري في جزئه ١٥٦ .

وفى نحو هذا تقوم أعضاء النطق بعملية تقريب بين الصوامت فى الكلمة ، فتستبدل التاء المهموسة بصوت مجهور من نفس مخرجها ، يحمل بعض صفاتها الدالة عليها ، كالشدة ، ويكون مناسباً للصوت الذى قبلها فى أهم صفة من صفاته ، وهى : الجهر .

والصوت الذى تتحقق فيه تلك الصفات هو الدال ، فتصير الكلمة إلى مُذْكَر .

ويلاحظ هنا أن الدال مبدلة من حرف زائد ، وهو التاء ، وهذا يعنى أن عملية التقريب لا تفرق بين الأصول والزوائد ؛ لأنها عملية صوتية بحتة .

كما يلاحظ أن التتابع الصوتى « ذ + ت » معدوم فى نسج الكلمة العربية (١) ، ولهذا عملت أعضاء النطق على تحويله صوتاً شديداً مجهوراً .

ولكن التتابع « ذ + د » يكاد يكون معدوماً أيضاً فى تأليف الكلمة العربية ، وإحصاءات التتابع تؤكد ذلك (٢) .

وإن حكى أبو عمر الجرمى عنهم « اذْذَكَر » و « مُذْذَكَر » (٣) وأنشد بعضهم (٤) على تتابعهما فى الإظهار قول أبى حِكاك :

تَنْحَى عَلَى الشوكِ جُرَازاً مِقْضِباً وَالهِرْمُ تُذْرِيه اذْذَرَاءَ عَجَباً

(١) انظر دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ٣١ ولمعجم تاج العروسى ٥٠ ، ٥١ .

(٢) السابقان .

(٣) سر الصناعة ١ / ١٨٧ ، ١٨٨ والنصف ٢ / ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٤) السابقان ، والمتع ١ / ٣٥٨ وشرح المفصل ١٠ / ٤٩ ، ١٥٠ .

فإن الإظهار هنا نادر ، وقد منع منه سيبويه ، واحتج بطريقة النحاة على وجوب إدغام الذال فى الدال وهما فى كلمة واحدة ؛ بأنهما يدغمان فى حالة الانفصال ، قال : « وإنما منعهم أن يقولوا مُذْذكر ، كما قالوا : مُزْدان : أن كل واحد منهما يدغم فى صاحبه فى الانفصال ، فلم يجز فى الحرف الواحد إلا الإدغام ، والزأى لا تدغم فيها على حال ؛ فلم يشبهوها بها » (١) ،

والتفسير الصوتى يبين أن السر فى هذا الإدغام يكمن فى أن اللسان حالة النطق بالذال المعجمة يكون طرفه متقدما بين الثنايا ، وفى حالة نطق الدال المهملة ينسحب إلى الخلف ويعتمد على اللثة وأصول الثنايا العلى ، وفى نطق الدال بعد الذال سرعة انتقال من مخرج أمامى إلى مخرج خلفى ، وفى هذا صعوبة على اللسان ، فيلجأ إلى التخلص من الذال المعجمة فيدغمها فى الدال المجهورة مثلها ، ويرتفع بهما ارتفاعاً واحدة . وحد الادغام فى نحو هذا : إدخال الصوت الأول فى الثانى (٢) .

وهذا تماثل تام Complete assimilation حدث بعد عمليتى تقريب أولاهما :
تأثر فيها الصوت الثانى بالأول وهذا ما يسمى بالتأثر التقدّمى ، ثم تأثر الصوت الأول بالثانى ، وهذا ما يعرف بالتأثر الرجعى ، وهكذا تم تبادل تأثر وتأثير ، ولذا يسميه بعضهم تأثر تبادلى (٣) .

(١) الكتاب ٤/٤٦٩ .

(٢) معانى القرآن للأخفش ١/٣٦٦ والكتاب ٤/١٠٤ والمقتضب ١/١٩٧ والجمل ٣٧٨ والخصائص ١٣٩/٢ ، ١٤٠ .

(٣) التطور النحوى ٢٩ ، ٣٠ .

وقد استجد العلماء (١) هذا النوع من المماثلة ، وعدوه قياسا مطردا ، فقد ذكر ابن السراج أن هذا « ما عليه أكثر كلام العرب » (٢) وذكر الزجاج أنه الوجه (٣) ، وذكر المازني وابن جنى أنه الأجود (٤) .

ونرى أن قوة هذه القراءة نابعة من دقة تطبيقها لأصل قانون الإدغام الذي يقتضى إدماج الصوت الأول فى الثانى ، وأنها تحقق القانون الصوتى الذى اعتد به اللغويون والقراء ، وهو : إدغام الأضعف فى الأقوى (٥) ، والدال أقوى من الذال ؛ لشدتها ، وجهرها ، فلذلك تغلبت عليها .

وهذا ما أكده المحدثون أيضا فيما يعرف بقانون القوة الذى أطلقه « Grammont » الفرنسى ، وهو يذهب إلى أنه « حينما يؤثر صوت فى آخر ، فإن الأضعف بموقعه فى المقطع ، أو بامتداده النطقى هو الذى يكون عرضة للتأثر بالآخر » (٦) .

وإن كان هذا القانون غير قطعى ، فإنه يفسر بعض الظواهر الصوتية من نحو المماثلة فى القراءة المذكورة .

(١) انظر الكتاب ٤ / ٤٦٩ والأصول ٣ / ٢٧١ ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ٨٨ / ٥ والبحر المحيط ٨ / ١٧٨ .

(٢) فى الأصول ٣ / ٢٧١ .

(٣) فى المعانى ٥ / ٨٨ .

(٤) المنصف ٢ / ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٥) انظر الكشف ١ / ٣٤ والنشر ١ / ٢٠٢ ولطائف الإشارات ١ / ٢٠٤ والخصائص ٢ / ١٥٢ - ١٦٨ والمنصف ٢ / ٣٢٨ وسر الصناعة ٢ / ٨١٤ ، ٨٢١ .

(٦) دراسة الصوت اللغوى ٣١٨ ، ٣١٩ وعلم الأصوات - مالبورج ٢٥٧ واللغة - فنديس ٩٥ ، ٩٦ .

أما القراءة الثانية « مُذكر » بالذال المعجمة المشددة ، فإن صوت الذال فيه تغلب على صوت الدال ، والذال أصل ؛ لأنها تمثل فاء الكلمة ، والدال مبدلة من زائد ، وهنا يقرر ابن السراج أن « من العرب من يكره أن يدغم الأصلى فيما هو بدل من الزائد ، فيقول « مُذكر » وهي قليلة » (١) .

غير أن التماثل تغيير صوتى بحت ، ولا يَعْتَدُّ بأصلى أو زائد ، كما سبق التنبيه إليه .

ثم إنه مخالف للقانون السابق ، وأصل حدّ الإدغام ، فإن الذال أضعف من الدال ؛ لرخاوتها ، وسكونها ، وعلى الرغم من هذا فقد تغلبت عليها ، وهذا واقع لا محالة ، وقد سبق أنها قراءة ابن مسعود ، وقتادة ، وعيسى بن عمر ، وأبى حيوه .
وأيضاً ، فقد نسبوها إلى بعض بنى أسد ، يقول الفراء : « وبعض بنى أسد يقولون : « مُذكر » فيغلبون الذال ، فتصير ذالا مشددة » (٢) .

ولهذا تضاربت أقوال العلماء فى توجيه هذه القراءة ، فذهب بعضهم (٣) إلى أن التاء قلبت ذالا من أول الأمر ، ثم أدخلت الذال الأولى فيها ، وهذا غير سديد ؛ لأنه يذهب بإحدى علاقته المماثلة ، وهى : العلاقة الملحوظة بين المبدل والمبدل منه ، فقد اختيرت الدال لدالاتها على مخرج التاء ، وعلى صفة الشدة فيها ، ولما فيها من الجهر الذى فى الذال .

(١) الأصول ٣ / ٢٧١ .

(٢) معانى القرآن ٣ / ١٠٧ .

(٣) الأخفش فى معانى القرآن ١ / ٣٦٦ .

وذهب بعض العلماء إلى أن التاء أبدلت دالا ، ثم قدمت على الذا ، وأدغمت فيها ، وهذا فى نص ابن السراج : « فهذا لا تعد الذا فيه بدلا ؛ لأنه قلب ، وبدل ، وإدغام » (١) .

ونقل الكرماني (٢) عن الزجاج أن « بعض العرب يقول « مذكر » بإدغام الذا فى الذا ، وهو من المقلوب ؛ لأن أصله « مُذكر » .

وقد اتفقوا جميعا على أن هذه اللغة ليست الوجه ؛ لأن الوجه عندهم : إدغام الأو فى الثانى (٣) .

ونرى أن هذا تكلف ظاهر فى التوجيه ، دعاهم إليه قانون الإدغام ، على أن الأمر يتعلق بالقانون نفسه ، وإنما يتعلق بالصوت الذى هو الذا ، وقد تغلب على الذا ، وهى الأقوى . وهذا أمر متوقف على مدى قطعية القوانين الصوتية ، وقد ثبت أنها كثيرا ما تتخلف ، فهى غير ملزمة (٤) ، وعدم اطرادها لايعنى أن نتعسف فى طرق التوجيه .

والقراءة رواية والحجة فيها السماع ، ولادخل لطرُق القياس فيها .

(١) الأصول ٣ / ٢٧١ .

(٢) شواذ القراءة ٢٣٣ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ٨٨ .

(٤) انظر دراسة الصوت اللغوى ٣١٨ ، ٣١٩ واللغة لفندرس ٩٥ ، ٩٦ .

في التبادل بين الحركات القصيرة

- قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾ (١) : « السَّلَامِ » (٢) .
- قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهَا ﴾ (٣) : « لِلسَّلَامِ » (٢) .
- قوله تعالى : ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴾ (٤) : « السَّلَامِ » (٢) .
- قوله تعالى : ﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ (٥) : « يَحْسِبُهُمُ » (٦)
- قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ (٧) : « تَحْسَبَنَّ » (٨) .

(١) سورة البقرة آية ٢٠٨ .

(٢) روى عن عبد الرحمن بن أبيزى أن النبي ﷺ قرأ « السلم » في البقرة ، والأنفال ، ومحمد بنصب السين ويخفزه . ذكره الدوري في جزئه ٧٦ ومكي في الكشف ٢٨٧/١ ولكنه قال : بالفتح في الثلاثة وكذا ذكر في الدر المنثور ٧ / ٥٠٥ .

(٣) سورة الأنفال آية ٦١ .

(٤) سورة محمد آية ٣٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٧٣ .

(٦) قال مكي في الكشف ٣١٨ / ١ : « روى أن النبي ﷺ كان يقرأ بكسر السين ، وهي لغة حجازية ، وهو الاختيار » وقال السمين الحلبي في الدر المصون ٦١٩ / ٢ : « والكسر لغة الحجاز ، وبها قرأ رسول الله ﷺ » .

(٧) سورة آل عمران آية ١٨٨ .

(٨) روى عن عاصم بن لقيط عن أبيه لقيط بن صبرة « كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث ، وقال : فقال النبي ﷺ « لَا تَحْسَبَنَّ » ولم يقل : « لَا تَحْسَبَنَّ » ذكره أبو داود في السنن حديث ٣٥/١/١٤٢ وحديث ٣٢/٤/٣٩٧٣ . وذكره أيضا الدوري في جزئه ٨١ وانظر المسند ٢١١/٤ والمستدرک ٢٣٣/٢ .

قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (١) : « أَيَحْسِبُ » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ (٣) : « أَوْ عَدَلُ » (٤) .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ (٥) : « قَالُوا نَعَمْ » (٦) .

قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾ (٧) : « وَمَنْ قَبْلَهُ » (٨) .

(١) سورة الباء آية ٥ .

(٢) روى عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن رجل من بني عامر ، قال : صليت مع النبي ﷺ صلاة العشاء ، فقرأ ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ : « أَيَحْسِبُ » مكسورة السين . ذكره الدورى فى جزئه ١٧٤ وكذا نسبه مكى ، والسمين الحلبى إلى النبي ﷺ انظر الكشف ٣١٨/١ والدر المصون ٦١٩/٢ .

(٣) سورة المائدة آية ٩٥ .

(٤) ذكره ابن خالويه فى مختصر شواذ القرآن ٣٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ٤٤ .

(٦) ذكر الدورى فى الحديث عن قتادة عن رجل من خثعم ، قال : دَفَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو يومئذ بمنى ، فقلت : أنت الذى تزعم أنك نبي الله ؟ قال : « نَعَمْ » مكسورة .

وقال أبو موسى المدينى فى المغيث ٣١٩/٣ : وهى قراءة النبي ﷺ وانظر النهاية ٨٤/٥ وحجة القراءات لأبى زرعة ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٧) سورة الحاقة آية ٩ .

(٨) ذكره الدورى فى جزئه ١٦٤ ، ١٦٥ .

بين الفتح والكسر في فاء الاسم « السلم »

﴿ السِّلْم ﴾ في سورة البقرة قرأه بالكسر : مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن أبي إسحاق ، وأبو عمرو ، وابن وثاب ، والأعمش ، والجحدري ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم في رواية أبي بكر (١) .

وقراه بالفتح : نافع ، وابن كثير ، والكسائي ، وأبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة ، وشبل (٢) .

و ﴿ لِلسِّلْمِ ﴾ في سورة الأنفال قرأه بالكسر عاصم ، وابن مجاهد عنه (٣) .
وبالفتح قرأه الباقون .

و ﴿ إِلَى السِّلْمِ ﴾ في سورة محمد قرأه بالكسر : عاصم ، وحمزة ، وخلف ، وابن مجاهد (٤) .

وبالفتح قرأه الباقون .

قرأ ابن عباس ، وطلحة بن مصرف ، والجحدري بالكسر .

(١) الحجة للفارسي ٢٩٢/٢ تح قهوجي - حويجاني ، والسبعة ١٨٠ والمبسوط ١٤٥ ، ٤٠٩ والكشف ٢٨٧/١ ، والتسير ٨٠ والإقناع ٦٠٨ / ٢ ، ٦٥٥ والبحر المحيط ١٢٠ / ٢ والدر المصون ٣٥٨ / ٢ ، ٦٣١ / ٥ .

(٢) المراجع السابقة ، وحجة أبي زرعة ٦٧٠ .

(٣) السبعة ٣٠٨ والدر المصون ٦٣١ / ٥ والمبسوط ١٤٥ والإقناع ٦٥٥ / ٢ والنشر ٢٢٧ / ٢ .

(٤) الحجة للفارسي ٢٩٢/٢ تح قهوجي - حويجاني ، والمبسوط ٤٠٩ والإقناع ٧٦٨/٢ والدر المصون ٣٥٨/٢ .

وقرأ الجمهور بالفتح (١) .

بين الفتح والكسر في عين الفعل « يحسب »

الفتح : قراءة أبي جعفر ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم ، في جميع القرآن .

والكسر : قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي ، ويعقوب ،
وخلف ، والأعشى في رواية ، وأبي بكر ، وهبيرة عن حفص عن عاصم ، في
جميع القرآن (٢) .

بين الفتح والكسر في حرف الجواب « نعم »

الكسر : قراءة الكسائي ، وابن وثاب ، والأعمش ، في كل القرآن ، وهو لغة كنانة ،
وهذيل .

والفتح : قراءة عامة أهل المدينة ، والكوفة ، والبصرة ، وعليه جمهور القراء (٣) .

ع

(١) البحر المحيط ٤ / ٢١ والدر المصون ٤ / ٤٢٦ .

(٢) التيسير ٨٤ والسبعة ١٩١ ، ١٩٢ والحجة للفارسي ٢ / ٤٠٢ تح قهوجي - حويجاني ، وحجة
القراءات لأبي زرعة ١٤٨ والعنوان في القراءات السبع ٧٦ والمبسوط ١٥٤ والكشف ١ / ٣١٧
والإقناع ٢ / ٦١٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٢٨ والدر المصون ٢ / ٦١٩ والنشر ٢ / ٢٣٦ .

(٣) السبعة ٢٨١ وتفسير الطبري ٨ / ١٨٧ وحجة الفارسي ٤ / ١٩ - ٢١ تح قهوجي ، حويجاني ، وحجة
ابن خالوية ١٥٤ ، ١٥٥ وحجة أبي زرعة ٢٨٢ ، ٢٨٣ والكشف ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ والعنوان ٩٥
وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ والنشر ٢ / ٢٦٩ والتيسير ١١٠ والإقناع ٢ / ٦٤٧ والمبسوط ٢٠٩
والبحر المحيط ٤ / ٣٠٠ والدر المصون ٥ / ٣٢٦ .

بين الفتح والكسر في الظرف

الكسر : قراءة أبي عمرو ، والكسائي ، ويعقوب ، وطلحة بن مصرف ، والحسن ، وأبي رجاء ، والجحدري ، ويؤيدها قراءة أبي « وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ »

وقراءة أبي موسى « وَمَنْ تَلَقَّاهُ » وكذلك قرأ عاصم في رواية أبان (١) .

والفتح : قراءة أبي جعفر ، وعاصم في رواية ، والأعمش ، وشيبة ، والسلمي (٢) .

التفسير الصوتي للتناوب بين الحركات القصيرة

نلاحظ أن تفاوت القراءات هنا بين الفتح والكسر لا يؤدي إلى تغيير في المعنى ، فيما عدا « وَمَنْ قَبْلَهُ » ؛ إذ يتراوح أثر التغيير فيها بين معنى الزمانية والمكانية .

وهذا يعني أن كلا من الفتحة والكسرة لا يعبر هنا إلا عن صورة فونيمية ، في كونه فتحة أو كسرة ، وأنه لا يعطى قيمة وظيفية .

وأن هذا التفاوت لا يمثل صوراً ناشئة عن ظاهرة الانسجام الصوتي بين الحركات

ونحو هذا التبادل كثير في العربية ، وقد تعددت تفسيرات اللغويين القدماء لها ، فحملها بعضهم على اختلاف اللغات ، وتباين اللهجات ، وحمله بعضهم على ما يلمح من فروق دقيقة في الدلالة .

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤١٣ والطبري ٢٩ / ٥٢ ، ٥٣ والكشاف ٤ / ١٥٠ والقرطبي ١٨ / ٢٦٢ والبحر المحيط ٨ / ٣٢١ وزاد المسير ٨ / ٣٤٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١٨٠ والكشف ٢ / ٣٣٣ والمبسوط ٤٤٤ وحجة أبي زرعة ٧١٨ وحجة ابن خالويه ٣٥١ والتيسير ٢١٣ والنشر ٢ / ٣٨٩ والإقناع ٢ / ٧٩١ .

(٢) مختصر شواذ القرآن ١٦١ ومعاني القرآن للفراء ٣ / ١٨٠ والكشف ٢ / ٣٣٣ والكشاف ٤ / ١٥٠ .

وقد تكفل علم الأصوات الأكوستيكي بتقديم تفسيرات لهذه التبادلات ، إذ يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية للأصوات أثناء انتقالها في الهواء بين المتكلم والسامع^(١) ، فهو يفسر « بعض التطورات التي تلحقها ، فالتعرف على الطبيعة الفيزيائية لهذه الأصوات ، كالوقوف على مكونات الحركات وعلى الحزم الصوتية للصوامت ، وعلى ظاهرة انتقال الصوت في الهواء ، وعلى طريقة رد فعل الأذن لهذه المثيرات ، هذا التعرف من شأنه أن يساعدنا على تفسير السبب في أن بعض الأصوات أو مجموعات منها أكثر قدرة من غيرها على البقاء والاستقرار دون تغير ، أو أن بعضا آخر أكثر ميلا من غيره إلى التغير وعدم الاستقرار »^(٢) .

والحركات قصيرة وطويلة تلازم الصوامت ، فهي كثيرة التردد في الكلام ، وطبيعتها الصوتية تجعلها ذات وضوح سمعي متميز ، وذلك لأن طاقتها الأكوستيكية أكبر من طاقة الصوامت ، والخصائص المكونة لها أكثر ظهورا وثباتا^(٣) .

وانطلاق الهواء بها دون توقف أو اعتراض في مناطق محددة ، ومماثلها تقريبا في نسبة تردد الذبذبات ، إذ تبلغ (٣٠٠ م ث)^(٤) كل هذا قوى من درجة تشابهها في السمع ، وأتاح لها من فرص التبادل والتغاير الكثير .

(١) انظر علم اللغة العام د / كمال بشر ص ١٥ - ١٩ و أسس علم اللغة / ماريوباي ٤٧ ودراسة الصوت اللغوي ٣ ، ٤ وفي الأصوات اللغوية د / غالب مطلبى ٥٣ / ٥٤ .

(٢) علم اللغة العام ١٩ ، ٢٠ .

(٣) التشكيل الصوتي ٥٠ .

(٤) السابق ٣٨ ، ٣٩ وانظر دراسة الصوت اللغوي ٢١ ، ٢٢ والأصوات اللغوية ٢٦ ، ٢٧ .

والتبادل بين الحركات ظاهرة منتشرة فى اللغات الإنسانية بعامّة ، وأكثر ما يكون بين الأصوات المتقاربة فى طبيعتها ، « ففى اللغة العربية حدث تناوب واسع النطاق بين أصوات اللين القصيرة التى يرمز إليها بالفتحة ، والكسرة ، والضمة » (١) .

وقد بدت آثار هذه الظاهرة على نطاق واسع فى اللهجات المحلية لمختلف البلدان العربية (٢) .

ومما يساعد على كثرة التغيرات بين هذه الأصوات - فيما أضافه بعض المحدثين (٣) - :

- اختلاف مرونة أعضاء النطق باختلاف البيئات والأزمنة ، بخاصة وأن لهذه الأعضاء أهمية قصوى فى تنوع أصوات المد .

- اختلاف نظام النبر بين البيئات اللغوية المختلفة ، فقد لوحظ أن تغير النبر له تأثير كبير فى الجانب الصوتي ، فقد يزيد فى طول الصوت المنبور ، وقد يقصره

- ميل بعض اللهجات إلى الإكثار من استخدام حركة بعينها ، فبعضها يؤثر الفتح ، والآخر يؤثر الكسر ، وغيرهما يؤثر الضم .

(١) علم اللغة د/ وافي ٣٠٨ ، ٣٠٩ وانظر دروس فى علم أصوات العربية ١٧٢ - ١٨١ .

(٢) السابقان .

(٣) د/ غالب مطلبى فى الأصوات اللغوية ٥٤ ، ٥٥ .

القراءات بين مقاييس المحدثين فى الظواهر اللهجية

وتبدو التفسيرات الصوتية أكثر علمية وواقعية من التفسيرات اللهجية التى يقيمها المحدثون على أساس تقسيم الجزيرة العربية إلى كتلتين ، شرقية وغربية ، أو قيمية وحجازية ، أو بدوية وحضرية .

فإنه من الصعوبة بمكان رسم حدود واضحة المعالم للبيئات اللغوية فى الجزيرة ؛ نظرا لما تتسم به طبيعتها الجغرافية والمناخية من وعورة وقسوة ، أدت إلى فقدان أهم العوامل المؤثرة فى ذلك ، وهو : الاستقرار الاجتماعى .

لقد عاشت الجماعات القبلية فى تنقل مستمر تتبع مساقط الغيث ومواقع الكلا فى مساحات شاسعة لا ترتبط فيها بزمان ولا بمكان ، إذ كان الرعى مهنتهم ومصدر معيشتهم الوحيد .

وقد تواترت الأخبار على أن القبائل العربية لم تكن تعرف حدودا فاصلة بين منازلها ، فكثيرا ما تجتمع القبائل ، على اختلافها ، يرتبعون الدهناء إذا ما أخصبت (١) ، وفى هذه الحالة تتداخل المنازل ، وتختلط اللهجات ، وتضمحل الفوارق .

وتضم منطقة واحدة محدودة بمسيرة يوم قبائل شتى ، كالرمة التى كانت تنزل أعاليها بنو كلاب ، وتحل وسطها عبس وغطفان ، تتبعهم فى منحدراتها بنو أسد (٢) .

(١) تهذيب اللغة ٢٠٩/٦ وانظر معجم البلدان ٤٣٩/٢ .

(٢) معجم البلدان ٧٢/٣ وانظر اللهجات العربية فى التراث ٣٧/١ .

كما ساعدت الهجرات المشهورة من اليمن إلى سائر مناطق الجزيرة على تداخل القبائل ، فقد تفرق اليمنيون في خيبر ، وتيماء ، ووادي القرى ، ويثرب ، والحرم ، وعمان ، والشحر ، والشام (١) . وغادرت الأزد تهامة إلى السروات ، ومكة ، والعراق (٢) .

وقد عقب بعض المحدثين (٣) بعد تفصيل في هذا الموضوع قائلا : « رأيت تداخل الحدود والتحام السكنى ؟ ثم هذا التحديد المبهم من أن الوادي شقه لقبيلة كذا ، وشقه الآخر لقبيلة كذا ! إن هذه الحدود على الرغم من تحديدها باهتة لا تشفى غلة الباحث اللغوي الذي يدرس لهجات هذه القبائل دراسة منهجية » .

ومع ذلك فقد ظلت فكرة الفصل بين معالم الكتلتين التميمية والحجازية سائدة بين القدماء ، وكثير من المحدثين ، إلى حد أن وضع بعض المحدثين قوانين عامة ومقاييس للظواهر اللغوية بناء على هذا الفصل ، فذكر في بعضها أنه « يمكن بصفة عامة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش ، والأنصار ، وثقيف ، وهوازن ، وسعد بن بكر ، وكنانة » (٤) .

والمعروف أن القراءات القرآنية من أهم المعتمدات في مصادر اللهجات العربية ، وخير مثل لظواهرها المختلفة ، ومع هذا نجد فيها ما ينقض تلك المقاييس ، ودليل ذلك ما يلي :

(١) صفة جزيرة العرب ٢٠٩ وانظر اللهجات العربية في التراث ٣٨/١ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٣٦/١ .

(٣) الدكتور علم الدين الجندي في اللهجات العربية في التراث ٣٦/١ - ٦٠ .

(٤) د/ أنيس في اللهجات العربية ٦٠ ط ٤ .

- فيما روى من القراءات بين الفتح والكسر نلاحظ :

« أن النبي ﷺ قرشى ، وكان يقرأ بالكسر إلى جانب الفتح

وقد علق الطبرى (١) على قراءة ﴿السُّلْم﴾ فى البقرة ، بأن عامة قراء أهل الحجاز بفتح السين ، وعامة الكوفيين بكسر السين .

« وأن ابن عباس القرشى قرأ : ﴿أَوْ عَدَلُّ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ بكسر العين .

« وأن مجاهداً وعكرمة المكيين قرأ ﴿السُّلْم﴾ فى البقرة بكسر السين .

« وأن ابن كثير المكى ، ونافعا المدنى قرأ « يحسب » فى جميع القرآن بكسر السين .

« وقد ذكر كل من مكى (٢) ، وأبى حيان (٣) ، والسمين الحلبى (٤) أن الكسر لغة الحجاز ، وأن الفتح لغة تميم .

وعلى العكس من ذلك نجد :

« أن الكسائى إمام القراءة بالكوفة يقرأ ﴿السُّلْم﴾ بالفتح فى البقرة ، والأنفال ، ومحمد ﷺ .

(١) فى التفسير ٣٢٣/٢ .

(٢) الكشف ٣١٧/١ .

(٣) البحر المحيط ٣٢٨/٢ .

(٤) الدر المصون ٦١٩/٢ .

« وأن حمزة ، وعاصما الكوفيين يقرآن « يحسب » بالفتح حيث وقع في القرآن
« أن عامة الكوفيين - ماعدا عاصما - يقرأون ﴿ لِلسُّلْمِ ﴾ في الأنفال بالفتح .
« وكذلك يقرأ عامة الكوفيين - ماعدا طلحة بن مصرف - ﴿ أو عدل ﴾ بفتح
العين .

« وأن أبا عمرو البصرى قرأ « السُّلْمِ » في الأنفال ، ومحمد ﷺ بالفتح .
« وأن عامة البصريين - ماعدا الجحدري - يقرأون ﴿ أو عدل ﴾ بفتح العين .
« وأيضا قرأ عامة البصريين ﴿ قالوا نَعَمْ ﴾ بفتح العين .

وقد ذكر السمين الحلبي (١) أنها بالكسر لغة كنانة ، وقال صاحب
الإتحاف (٢) : إنها بالكسر لغة صحيحة لكنانة وهذيل ، وبالفتح لغة باقى
العرب . وقال ابن دريد (٣) : هي لغة فصيحة ، وأحسبها لغة هذيل وأنشد
الطبرى (٤) عن بعضهم شاهدا على الكسر لبعض بنى كلب ، وهو :

نَعِمٌ إِذَا قَالَهَا مِنْهُ مُحَقَّقَةٌ وَلَا تَجِيءُ عَسَى مِنْهُ وَلَا قَمَنُ

وهكذا نرى مقياس الفتح والكسر يتزعزع أمام قوة القراءات المذكورة ، ويضطرب
أمام عزو مكى ، وأبى حيان ، والسمين ، الفتح لتميم ، والكسر للحجاز ، وعزو
صاحب الإتحاف الكسر لكنانة وهذيل ، وهما من القبائل الحضرية .

(١) الدر المصون ٣٢٦/٥ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ .

(٣) جمهرة اللغة ٩٥٣ تح بعلبكي .

(٤) فى التفسير ١٨٧/٨ .

أكثر القراءات غير معبر عن البيئات اللغوية للقراء

يمكننا القول بأن القراءات القرآنية لم تكن في أكثرها صدى للمظاهر اللغوية في بيئة القارىء ؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة منتقاة من بين لغات العرب ، وقد أبيع للنبي ﷺ أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف تيسيرا ، فأمر القراء من الصحابة رضوان الله عليهم بذلك ، ومن الطبيعي أن يحرص هؤلاء على حفظ القراءات المختلفة وتلاوتها ، وكان رسول الله ﷺ قدوة في ذلك ؛ إذ كان يقرأ بما يستحسن من اللغات .

وقد اشتغل الناس بالقرآن ، واهتموا به اهتماما عظيما ، وكثرت الدراسات حوله ، فزدهت الروايات الكثيرة بالقراءات المختلفة ، فاشتد حرص العلماء على تحصيلها ، واتخذت الرواية بعد ذلك طريق التعلم في مدارس البلدان المختلفة ، كمكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، وتسابق العلماء في الأخذ عن كبار القراء في تلك المدارس ، بصرف النظر عن اختلاف البيئات ، ثم أخذ العلماء في تخير قراءات خاصة بهم ، كل حسب اجتهاده ، فيروى أن أبا عمرو بن العلاء التميمي البصرى (١) تلقى القراءة في البصرة ، والكوفة ، ثم هرب من الحجاج إلى مكة ، وهناك أخذ القراءة على الأعرج ، وابن كثير ، وعكرمة وعطاء ومجاهد ، ثم رحل إلى المدينة ، فأخذ عن شيبة ، وأبي جعفر ، ونافع ، ثم عاد إلى البصرة فأخذ عن الحسن ، ونصر بن عاصم ، ويحيى البصرى ، ثم رحل إلى الكوفة فقرأ على عاصم . وكان أساتذته من الكثرة

(١) انظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء ٢٨٨/١ - ٢٩٢ ومراتب النحويين ١٣ - ٢٠ وطبقات الزبيدي ٣٥ - ٤٠ وإنباه الرواة ١٢٥/٤ ونبية الوعاة ٢٣١/٢ والبلغة ١٠١ .

بحيث لم يعلم أحد أكثر شيوخا منه . وتخير لنفسه قراءة اشتهر بها ، وكانت خلاصة ما حصله عن شيوخه في المدارس المختلفة ، فهي لذلك لاتعد معبرة عن البيئة التميمية في البصرة .

وأیضا فإن مشاهیر القراء كانوا یقرئون الناس بالروایات المختلفة ، فقد روى حفص ، قال : « قال لی عاصم : ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبی عبد الرحمن السلمی عن علی رضی الله عنه ، وما كان من القراءة التي أقرأتها أباً بكر بن عیاش فهي القراءة التي كنت أعرضها علی زر بن حبیش عن ابن مسعود (١) .

وروی أيضا عن نافع أنه كان یقرئ الناس بجميع القراءات ، فسئل عن ذلك ، فقال : « سبحان الله ! أحرم ثواب القرآن ؟ أنا أقرئ الناس بجميع القراءات ، حتی إذا كان من یطلب حرفی أقرأته به » (٢) .

والأمر فی القراءات الشواذ أبعد أثرا منه فی القراءات الصحیحة المشهورة ، فإن تعدد وجوه القراءة فی الكلمة الواحدة قد یصل أحيانا إلى ثلاثین وجها (٣) ، وإن عدداً منها لقاریء واحد لیبین أنه من الصعب الاعتماد علیها إلا فی تفسیر بعض الجزئیات اللغویة .

(١) غایة النهایة ١/٣٤٨ .

(٢) غایة النهایة ٢/٣٠٤ وفي الدراسات اللغویة د/شلبی ١٢٩ .

(٣) انظر القراءات القرآنیة فی ضوء علم اللغة الحدیث ٢٣٧ .

فقد قرىء في قوله تعالى ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١)
 تسعة أوجه (٢) : اشترك ابن عباس منها في سبعة ، هي « حَرَمٌ » ، « وَحَرِمٌ » ،
 « وَحَرَمٌ » ، « وَحَرَمٌ » ، « وَحَرَمٌ » ، « وَحَرَمٌ » .

واشترك معه قتادة البصرى في أربعة منها ، هي : « وَحَرِمٌ » ، « وَحَرَمٌ » ،
 « حَرَمٌ » ، « وَحَرَمٌ » .

واشترك معه أبو عمرو البصرى في واحدة ، هي : « حَرَمٌ » .

واشترك معه ابن مسعود ، وعلى رضى الله عنهما في واحدة ، هي : « وَحَرِمٌ » .

وإذ ثبت الأمر على هذا النحو ، وبخاصة في القراءات الشواذ ، فإنه ينبغي أن نتحرز
 في حالة الاعتماد عليها في توجيه الظواهر اللغوية ، وبخاصة اللهجيه منها ، وعلينا
 أن نتثبت من صحة أسانيدنا ، ونفرك بين المنقول منها رواية عن النبي ﷺ وبين
 المقيس على لفته الخاصة في الحديث الشريف ، وهذا يعد اجتهادا ذاتيا من
 القراء ، وقد ثبت منه الكثير ، فمثلا احتج الكسائي في قراءته « قالوا نَعِمٌ » بما
 روى في الحديث أن رجلا لقي النبي ﷺ بمبنى ، فقال : أنت الذى يزعم أنه نبي ؟
 فقال ﷺ : « نَعِمٌ » بكسر العين (٣) .

توجيه العلماء للقراءات المذكورة

« السَّلْمُ » بالفتح ، والكسر : لغتان في السَّلْمِ الذى هو الإسلام ، وفي السَّلْمِ الذى
 هو الصلح ، والمشهور في الأول الكسر ، وفي الثانى الفتح (٤) .

(١) سورة الأنبياء آية ٩٥

(٢) انظر احصاء الدكتور عبدالصبور شاهين ومصادره في القراءات القرآنية ٢٤٢ .

(٣) حجة أبى زرعة ٢٨٢ ، ٢٨٣ وانظر الدر المصون ٣٢٦/٥ ، ٣٢٧ .

(٤) انظر الصحاح واللسان (سلم) .

وقد تشكك بعضهم في كون « السُّلم » لغة في « السُّلم » بمعنى الإسلام ، وحمل الفتح على معنى الصلح ؛ وهذا بدوره يؤدي إلى الدخول في الإسلام ، وقال : « فهذا المسلك فيه أوجه من أن يكون الفتح في « السُّلم » لغة في « السُّلم » الذي يراد به الإسلام ؛ لأن أبا عبيدة ، وأبا الحسن لم يحكيا هذه اللغة ، ولم أعلمها أيضا عن غيرهما ، فإن ثبتت به رواية عن ثقة فذاك » (١) .

وأجاز بعضهم أن يكون « السُّلم » بالفتح اسما بمعنى المصدر كالعطاء والنِّبات بمعنى الإعطاء والإنبات ، ثم ذكر الأوجه المحتملة ، وقال : « وكلا القراءتين حسن » (٢) .

وأنشد أبو حيان شاهدا على الفتح ، وهو :

شرائع السُّلم قد بانت معالمها فما يرى الكفر إلا من به خبل

قال : ويطلق بالفتح والكسر على الإسلام ، قاله الكسائي ، وجماعة من أهل اللغة (٣) .

« يحسب » القياس في مستقبل « حسب » المكسور « يحسب » كفرح ، وعلم ، وحمد . . . إلخ .

ولكن حكى أبو زيد ، وسيبويه عن العرب فتح السين وكسرها في المستقبل (٤) ، وسمعت ألفاظ من هذا القبيل ، منها : نَعِمَ ينعِم ، وَيَسُّ يبيس ، وَيَسُّ يبيس ، وَيَسُّ يبيس ، وعمد يعمد (٥) .

(١) الحجة للفارسي ٢٩٣/٢ وانظر مجاز القرآن ٣٥٩،٧١/١ ومعاني الأخفش ١٦٧/١ ، ٣٢٥/٢ .

(٢) مكي في الكشف ٢٨٧/١ .

(٣) البحر المحيط ١٠٩/٢ والدر المصون ٣٥٩/٢ .

(٤) الحجة للفارسي ٤٠٢/٢ .

(٥) انظر بغية الآمال ٧٧ وليس في كلام العرب ٤ والحجة لابن خالوية ١٠٣ .

وأیضا فإن العلماء نسبوا الفتح لتميم ، والكسر للحجاز ، فقال صاحب الكشف (١) فى قراءة النبى ﷺ بكسر السين : « وهى لغة حجازية ، وهو الاختيار » وذكر أبو حیان (٢) أن الفتح لغة تميم والكسر لغة الحجاز ، وكذلك ذكر السمين الحلبي (٣) ، ثم قال : واللغتان فصيحتان فى الاستعمال ، والقارىء بلغة الكسر اثنان من كبار النحاة ، أبو عمرو ، وكفى به ، والكسائى ، وقارئا الحرمين ، نافع ، وابن كثير « والأفعال المذكورة محمولة على باب ما حسن فى السماع وشذ عن قياس النحاة (٤) ، وقد ذكر ابن خالويه فى الحجة لهذه القراءة أن العرب استعملت الكسر والفتح فى مضارع أربعة أفعال ، يحسب ، وينعم ، ويبيس ، ويبيس ، حتى صار الكسر فيهن أفصح (٥) .

« عَدَلٌ » العَدَلُ : ما عادل الشئ من غير جنسه ، والعَدَلُ : ما عادله من جنسه .

وقيل : العَدَلُ والعَدَلُ بالفتح والكسر : المثل ، من جنس الشئ أو من غير جنسه .

والأول مذهب السوفيين ، والثانى مذهب البصريين ، قال الفراء (٦) : « تقول : عندى عدلٌ غلامك ، وعدلٌ شاتك : إذا كان غلاما يعدل غلاما ، أو شاة تعدل شاة ، فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين ، وربما قال بعض العرب : عدله ، وكأنه

(١) ٣١٧/١ .

(٢) البحر المحيط ٣٢٨/٢ .

(٣) الدر المصون ٦١٩/٢ .

(٤) انظر الحجة للفارسي ٤٠٣/٢ والخصائص ٩٦/١ - ٩٩ ، والمحتسب ٣٢/١ ، ٣٣ .

(٥) الحجة فى القراءات السبع ١٠٣ .

(٦) فى المعانى ٣٢٠/١ وانظر مجاز القرآن ٥٥/١ ، ١٧٦ .

منهم غلط ؛ لتقارب معنى العَدَل من العِدَل « ولكن نقل ثعلب عن ابن الأعرابي - وهما كوفيان - أن عَدَل الشئىء وعِدَله : سواء ، أى : مثله (١) . وذكر الأخفش ، والزجاج أيضا أن العَدَل ، والعِدَل المثل ، واستحسن الأخفش الكسر فيه ، وجعله الوجه ، قال : « وقال بعضهم : « أو عِدَلٌ ذَلِكَ صِيَامًا » فكسر ، وهو الوجه ؛ لأن العِدَلِ المثل « (٢) .

ورد الزجاج مقالة الفراء ، وخطأه ؛ لأن : « العَدَل والعِدَل فى معنى المثل ، والمعنى واحد ، كان المثل من الجنس أو من غير الجنس ، كما أن المثل ما كان من جنس الشئىء ومن غير جنسه : مثلٌ ، وليس إذا أخطأ مخطئاً يوجب أن يقول : إن بعض العرب غلط (٣) .

وقراءة النبي ﷺ وابن عباس ، والجحدري ، وطلحة بن مصرف « أو عِدَلٌ ذَلِكَ صِيَامًا » بالكسر ليس من جنس الإطعام (٤) ، وهذا يؤكد مذهب البصريين .

« نَعَمٌ » القراءة بالكسر هنا محمولة على وجهين ، أولهما :

أمن اللبس ؛ إذ إن اللفظ يشكل فى حالة الفتح بلفظ « نعم » التى هى من الإبل والبقر ، وقد روى أن عمر رضى الله عنه سأل رجلاً شيئاً ، فقال : نَعَمٌ ، فقال له : قل نَعِمٌ ، إنما النعم الإبل . وقال بعض الأعراب : كان أبى إذا سمع رجلاً يقول « نَعَمٌ » يقول : « نعم » إبل وشاء ، إنما هى « نَعِمٌ » (٥) .

(١) تهذيب اللغة ٢/٢٠٩ واللسان (عدل) .

(٢) معانى القرآن ١/٢٦٥ .

(٣) معانى القرآن وإعرابه ٢/٢٠٨ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ٧/٥٧ ، ١/٢٦٩ والبحر المحيط ٤/٢١ ، ١/١٩١ والدر المصون ٤/٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ١/٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٥) حجة أبى زرعة ٢٨٣ والمجموع المغيث ٣/٣٢٠ والكشف ١/٤٦٣ والدر المصون ٥/٣٢٦ .

وثانيهما : أنها لغة في هذيل ، وكنانة ، وكلب ، يقولون في نَعَمٌ : نَعِمٌ ، وقد أنشد عليه الكسائي لبعض بني كلب (١) :

نَعِمٌ إِذَا قَالَهَا مِنْهُ مُحَقَّقَةٌ

وقد نسبها ابن هشام ، والدمياطى ، والسمن لكنانة (٢) ، ونسبها ابن دريد ، والدمياطى أيضا لهذيل (٣) . وهى لغة فصيحة كما ذكر العلماء ، وقد روى عن بعض ولد الزبير بن العوام قوله : « ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلا « نَعِمٌ » بكسر العين (٤) .

وأما « وَمَنْ قَبْلَهُ » فى قراءة النبى ﷺ بكسر القاف وفتح الباء ، وعليها قراءة عامة أهل البصرة ، والكسائي ، أيضا ، فهى على قصد المعنى ، وذلك أن المعنى فى « وَمَنْ قَبْلَهُ » بفتح القاف : من تقدمه من الأمم الكافرة . والمعنى فى « وَمَنْ قَبْلَهُ » من معه من الأتباع والأصحاب (٥) .

ويقوى هذه القراءة : ما روى أن قراءة أبى « ومن معه » وقراءة أبى موسى « ومن تلقاه » (٦) قال الفراء : « وهما شاهدان لمن كسر القاف " لأنهما كقولك : جاء فرعون وأصحابه » (٧) .

وقد استحسّن العلماء القراءتين ، ونصوا على أنهما صحيحتا المعنى معروفتان .

(١) تفسير الطبرى ١٨٧/٨ .

(٢) المغنى ٤٥١ تح مازن المبارك وحيد الله وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ والدر المصون ٣٢٦/٥ .

(٣) جمهرة اللفظة ٩٥٣ تح بعلبكي وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٤ .

(٤) المجموع المغيث ٣٢٠/٣ والنهاية ٨٤/٥ واللسان (نعم) .

(٥) الكشف ٣٣٣/٢ والمبسوط ٤٤٤ وحجة أبى زرعة ٧٨١ والتيسير ٢١٣ والاقناع ٧٩١/٢ والكشاف

١٥٠/٤ وتفسير ابن كثير ٤١٣/٤ .

(٦) معانى الفراء ١٨٠/٣ وتفسير الطبرى ٥٢/٢٩ ، ٥٣ ومختصر فى شواذ القرآن ١٦١ .

(٧) المعانى ١٨٠/٣ .

التناوب بين الحركات القصيرة في فاء الكلمة « بين الفتح والضم »

روى أن النبي ﷺ قرأ :

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ (١) : « مِنْ ضَعْفٍ » (٢)

قوله تعالى : ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً : « ضَعْفٍ »

قوله تعالى : ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴿ : « ضَعْفًا »

(١) سورة الروم آية ٥٤ .

(٢) روى عطية العوفى ، قال : « قرأت على ابن عمر (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) فقال ابن عمر : « الله الذي خلقكم من ضَعْفٍ ثم جعل من بعد ضَعْفٍ قُوَّةً ثم جعل من بعد قُوَّةٍ ضَعْفًا وشيبة » ثم قال ابن عمر : قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت على ، فأخذ على كما أخذت عليك « ذكره الدوري في جزئه ١٣٧ ، ١٣٨ وأبو داود في السنن ح ٣٩٨٧ ، ٣٩٧٩ والإمام أحمد في المسند ٥٨/٢ والترمذي في السنن ح ٢٩٣٦ والحاكم في المستدرک ٢٤٧/٢ ، والدانى في التيسير ١٧٦ ومكى في الكشف ١٨٦/٢ وأبو بكر الأصبهاني في المبسوط ٢٢٣ والزجاج في معانى القرآن وإعرابه ١٩١/٤ وروى عن حفص : « ماخالفت عاصما في شىء من القرآن إلا في هذا الحرف ؛ لما روى عن عطية العوفى أنه قال : قرأت على ابن عمر الحديث . ذكره ابن مجاهد في السبعة ٣٠٨ ، ٣٠٩ وكذلك ذكر في المراجع السابقة ، ذكر ابن دريد أن الضَعْف لغة النبي ﷺ وأن ابن عمر قرأ « ضَعْف » فقال النبي ﷺ : « ضَعْف » جمهرة اللغة ٩٠٣ ، وذكر الأزهري عن المنذرى عن عثمان بن سعيد عن سلام المدائنى عن أبي عمرو ابن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قرأ : « من ضَعْفٍ » تهذيب اللغة ٤٨٢/١ وانظر اللسان (ضعف) والحجة للفارسي ١٦١/٤ .

وقوله تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾ (١) : « شَرَبَ الْهَيْمِ » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ (٣) : « فَرُوحٌ » (٤)

ويضم الضاد في « الضُّعْفُ » قرأ ابن كثير ، ونافع وأبو عمرو ، وابن عامر ،
والكسائي والحسن ، والأعرج ، وابن القعقاع ، وقتادة ، وابن أبي إسحاق (٥) .

وأكثر أصحاب القراءات ينسبون هذه القراءة للجمهور ، ويستثنون منهم في الأنفال
﴿ وَعَلِمَ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ (٦) عاصما ، وحمزة ، وخلفا ، وفي « الروم » عاصما ،
وحمزة ، وأبا بكر ؛ فإنهم قرأوا بالفتح (٧) .

(١) سورة الواقعة آية ٥٥ .

(٢) ذكر الفراء : « حدثني الكسائي عن رجل من بني أمية يقال له يحيى بن سعيد الأموي ، قال :
سمعت ابن جريج يقرأ : « فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ » بالفتح ، قال فذكرت ذلك لجعفر بن محمد ، فقال :
أو ليست كذلك ؟ أما بلغك أن رسول الله ﷺ بعث بديل بن ورقاء الخزاعي إلى أهل منى ، فقال :
إنها أيام أكل وشرب ويعال ؟ معاني القرآن ١٢٧/٣ ، ١٢٨ . وذكره الدوري في جزئه ١٥٩ عن
الكسائي عن يحيى بن سعيد ، وانظر حجة أبي زرعة ٦٩٦ وقال مكى : روى عن ابن عمر أن النبي
ﷺ كان يقرأ « شَرَبَ » بالفتح . الكشف ٣٠٥/٢ .

(٣) سورة الواقعة آية ٨٩ .

(٤) ذكر الفراء عن حماد بن حماد بن سلمة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال « فَرُوحٌ
وَرِيحَانٌ » وقراءة الحسن كذلك معاني القرآن ١٣١/٣ وكذا ذكر أبو داود في السنن ح ٣٩٩١
والزمخشري في الكشاف ٦٠/٤ وأبو حيان في البحر المحيط ٢١٥/٨ وكذلك نسبه ابن خالويه في
مختصر الشواذ ١٥٢ والدمياطي في الاتحاف ٤٠٩ .

(٥) الحجة للفارسي ١٦١/٤ والبحر المحيط ٥١٧/٤ ، ٥١٨ ، وتفسير الطبري ٤١/١٠ .

(٦) آية ٦٦ .

(٧) انظر الكشف ٤٩٥/١ ، ١٨٦/٢ ، والتيسير ١١٧ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، والمبسوط ٢٢٢ ، ٣٥٠ وإرشاد
المبتدى ٣٤٨ ، ٤٩٤ والنشر ٢٧٧/٢ ، ٣٤٥ ، والدر المصون ٦٣٦/٥ ، ٦٣٧ ، والكامل للهدلي لوحة
١٩٧ واتحاف فضلاء البشر ٣٤٩ .

وقرأ « شَرْبَ » بفتح الشين الأعرج ، وابن المسيب ، وابن الحبحاب ، ومالك ابن دينار ، وابن جريح وأبو عمرو ، والكسائي (١) .

وأصحاب القراءات يستثنون من يقرأ بالضم ، وهم : نافع ، وأبو جعفر ، وعاصم ، وحمزة ، وينسبون الفتح للباقيين (٢) .

وقرأ « فَرُوحٌ » بضم الراء : أبو بكر الصديق ، وعائشة ، وابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، ويعقوب ، ونوح القاريء والضحاك ، والأشهب ، وشعيب بن الحبحاب ، وسليمان التيمي ، والربيع بن خيثم ، ومحمد بن علي ، وأبو عمران الجوني ، والكلبي ، وفياض ، وعبيد ، وعبد الوارث عن أبي عمرو ، ويعقوب بن صيان ، وزيد ، ورويس عنه (٣)

(١) البحر المحيط ٢١٠/٨ والكامل للهدلي لوحة ٢٤١ .

(٢) معاني القرآن للقراء ١٢٧/٣ والتيسير ١٨٣ والنشر ٣٨٣/٢ والعنوان ١٨٥ والإتحاف ٤٠٨ وزاد المسير ١٤٥/٨ وحجة أبي زرعة ٦٩٦ .

(٣) البحر المحيط ٢١٥/٨ وزاد المسير ١٥٦/٨ ، ١٥٧ ، وتفسير الطبري ٢١١/٢٧ والمبسوط ٤٢٨ وشواذ القراءة للكرمانى ٢٣٨ وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٩ .

العلاقة الصوتية بين الفتح والضم

سبق أن بينا مدى التشابه الصوتي بين الحركات القصيرة والذي يتلخص في استمرار انطلاق الهواء بها دون حدوث عوائق في المجرى ، من حبس ، أو انحراف ، أو تضيق يترتب عليه احتكاك ملموس ، وأنها تتميز بذبذبات منتظمة ، مما ساعد على وضوحها ، وتشابهها في السمع ، وسوغ كثرة التبادل بينها ، وبخاصة في الكلمات ذات الدلالات المتفقة ، كما هو الشأن في المثلثات المتفقة المعاني في العربية ، والكلمات التي يكون التغيير فيها صوتيا محضا ، ولا علاقة له بالناحية الوظيفية^(١) .

والقراءات المذكورة مما تراوح التغيير فيه بين الفتح والضم في فاء الكلمة ، دون مساس بالمعنى .

والفتحة والضمة تشتركان في تلك الطبيعة الصوتية ، غير أن الفتحة أمامية متسعة ، والضمة خلفية ضيقة ، وتتميز كل منهما عن الأخرى نوعيا بتلك الترددات الذبذبية^(٢) ، أو الحزم الصوتية ، ولكن مداهما الزمني في الانطلاق واحد ، وقد بين التحليل^(٣) « الاسبيكترجرافى » للأصوات اللغوية Spectrographic Analysis Of Data العلاقة بينهما من حيث الأمداء النسبية ، والترددات الذبذبية على النحو الآتى :

(١) انظر علم اللغة د / كما بشر ١٥٠ - ١٥٤ والأصوات اللغوية ٣١ - ٣٦ وأصوات اللغة ١٣٦ ، ١٦٢ - ١٧٤ وأصوات اللغة العربية ١٣١ - ١٤٤ ودراسة الصوت اللغوى ١٢١ - ١٣٢ وفى الأصوات اللغوية - دراسة فى أصوات المد ٢٩٧ .

(٢) دراسة الصوت اللغوى ١٦ - ٢٣ وأصوات اللغة ١٠٢ - ١١٨ .

(٣) انظر التشكيل الصوتى فى اللغة للعانى ٣٨ ، ٣٩ .

الحركة	المدى	الحزمة الأولى	الحزمة الثانية	الحزمة الثالثة
الفتحة : ٣٠٠ م / ث	٦٠٠ د / ث	١٥٠٠ د / ث	٢١٠٠ د / ث	
الضمّة : ٣٠٠ م / ث	٢٩٠ د / ث	٨٠٠ د / ث	٢١٥٠ د / ث	

ويلاحظ أن المدى النسبي للحركة في حالة النطق بها منفردة - كما هنا - يكون ضعف مداها في حالة اتصال الكلام .

هذه العلاقة بين الحركتين أوجدت وفرة من الأمثلة ، يصعب حصر ما لم ينسب منها إلى لهجة معينة ، وقد ثبت تفاوت ظاهر فيما نسب منها على قلبه .

فبينما يعزى إلى أهل الحجاز ضم الفاء في نحو « رُفِعَ » و « عُقِرَ » و « ضُعِفَ » و « سُكَّارِي » و « كُسَّالِي » (١) نجد الرواة ينسبون إليهم فتح الفاء في نحو « غَرَفَةٌ » و « شَرَبٌ » و « زَعَمٌ » و « قَرِحٌ » (٢) قد يعزى الضم لقريش خاصة ، والفتح للحجاز عامة في نحو « الشُّقَّةُ » (٣) .

(١) انظر في « الرفع » : إصلاح المنطق ١٠٣ والمصباح (رفع) . وفي « العُقْرُ » : المصباح (عقر) والغريب المصنف ٢٦١/١ تح العبيدي والأضداد لابن الأنباري ٢٣ واللسان (عقر) . وفي « ضعف » : المصباح (ضعف) والبحر المحيط ٥١٨/٤ والدر المصون ٦٣٦/٥ ، ٦٣٧ . وفي « سُكَّارِي » و « كُسَّالِي » : إصلاح المنطق ١٣٢ .

(٢) انظر في « غرقة » : المزهرة ٢٧٧/٢ . وفي « شرب » : زاد المسير ١٤٥/٨ والمزهرة ٢٧٧/٢ . وفي « زعم » : المصباح « زعم » والمزهرة ٢٧٦/٢ . وفي « قرح » : المصباح « قرح » واللغات في القرآن ٢١٠ .

(٣) انظر مجمع البيان ١٣٢/٣ .

وبينما يعزى الضم لتميم فى نحو « قُدوة » و « مُرية » و « رُضوان » و « رُفقة » و « فُواق » (١) ينسب الفتح إليهم فى نحو « السُّم » و « الشُّهد » و « غِيارى » و « رِبوة » (٢) .

الفتح والضم لغتان فصيحتان

« ضَعْف » بالضم فى قراءة النبى ﷺ أحد أربعة ألفاظ وردت فى القرآن الكريم ، ثلاثة منها مذكورة هنا ، ورابعها فى قوله تعالى : « وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا » (٣) . وأكثر اللغويين والنحاة وأصحاب القراءات ، والتفسير على أنهما لغتان بمعنى واحد ، فقد ذكر سيبويه (٤) أنهما لغتان مقولتان على سواء ، ومثلهما الأخفش (٥) بالكُره والكُره ، والقَرْح والقَرْح ، وعلق الزجاج (٦) بعد تمثيلهما بالْمَكْث والمَكْث ، والفُقْر والفُقْر بأن باب « فَعْل » و « فُعْل » بمعنى واحد فى اللغة كثير .

(١) انظر فى « قدوة » : المزهري ٢٧٧/٢ . وفى « مرية » : المزهري ٢٧٦/٢ والبحر المحيط ٢١١/٥ . وفى « رضوان » : المصباح (رضى) والبحر المحيط ٣٩٨/٢ . وفى « رفقة » : إصلاح المنطق ١٣٠ . والمصباح ، واللسان (رفق) وفى « فواق » : إتحاف فضلاء البشر ٣٧٢ .

(٢) انظر فى « السم » : تهذيب اللغة ٣١٨/١٢ واللسان (سم) . وفى « الشهد » المصباح (شهد) وتهذيب اللغة ٣١٨/١٢ . وفى « غيارى » : إصلاح المنطق ١٤٩ . وفى « ربوة » المصباح واللسان (ربو)

(٣) سورة الأنفال آية ٦٦ .

(٤) الكتاب ٣٣/٣ ، ٣٤ وانظر السيرافى النحوى ١١٣ .

(٥) معانى القرآن ١٧١ ، ٢١٥ ، ٢٩٢ .

(٦) معانى القرآن وإعرابه ٤٢٤/٢ ، ١٩١/٤ .

وذكر الأزهري (١) أنهما « عند جماعة أهل البصر بالغة لغتان جيدتان مستعملتان في ضعف البدن وضعف الرأي » وقد عقب بهذا على ما ذكره الليث من أنه قيل : الضَّعْفُ في العقل والرأي ، والضَّعْفُ في الجسد وبكونها لغتين أخذ الفارسي ، وابن جنى ، ومكى ، وصاحب الإتحاف وغيرهم (٢) .

فقد علق الفارسي على رأى سيبويه السابق قائلا : « فعلمنا بذلك أن كل واحد من الضَّعْفِ والضَّعْفِ لغة ، كما كان الفَقْرُ والفُقْرُ كذلك » وقال الطبرى (٣) : « وهما لغتان مشهورتان فصيحتان بمعنى واحد » .

وكل من ذكر ذلك لم ينسب واحدا منهما إلى لهجة معينة ، مما يؤكد أن الطبيعة الصوتية للحركتين تجعلهما أكثر قابلية للتبادل في اللغة الواحدة بله في اللهجة الواحدة أيضا ، فقد نسب ضم الحاء وفتحها في « الحوب » إلى الحجاز ، كما نسب كذلك إلى تميم (٤) ، والاختلاف في نسبة « الوتر » بالفتح والكسر مشهور في ذلك (٥) .

(١) تهذيب اللغة ٤٨٢/١ .

(٢) انظر الحجة للفارسي ١٦٢/٤ والمحتسب ٢٨٠/١ والكشف ٤٩٥/١ ، ١٨٦/٢ والإتحاف ٣٤٩ والحجة لأبى زرعة ٥٦٢ .

(٣) التفسير ٤١/١٠ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ٢٧٠/٥ والبحر ١٦١/٣ والدر المصون ٥٥٧/٣ والمصباح واللسان (حوب) والإتحاف ١٨٦ .

(٥) انظر إصلاح المنطق ٣٥ وأمالى القالى ١٣/١ ، ٢٣٤ والمزهر ٢٧٧/٢ والبحر المحيط ٤٦٧/٨ والإتحاف ٤٣٨ والمصباح ، واللسان (وتر) واللهجات العربية في التراث ٢٥٦/١ - ٢٦٠ .

مظهرها اللهجي

نسب أبو عمرو بن العلاء الضم لأهل الحجاز ، والفتح لتميم ، ذكره النحاس ، وأبو حيان ، والسمين الحلبي (١) ، وذكر الفيومي (٢) أن الفتح لغة تميم والضم لغة قريش وذكر ابن دريد (٣) أن الضم لغة النبي ﷺ .

وهذه النسبة تبين أن اللهجة الحجازية أو القرشية خاصة قد مالت إلى الحركة الخلفية الضيقة ، مما يتناقض وما ذكره بعض المحدثين (٤) من ميل « القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضممة ؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ... » .

والحقيقة أن مثل هذا الإطلاق يفتقر إلى كثير من الدراسات الاستقصائية المتنوعة ، حتى يمكن تفسير بعض الظواهر اللهجية على ضوءه ، ويؤكد ما ذكر في القراءة السابقة ، وما يذكر في القراءة التالية :

« شَرِبَ الْهَيْمِ »

فقد نقل الفراء (٥) أن العرب تقول : شَرِبْتُهُ شُرْباً ، وأن أكثر أهل نجد يقولون : « شُرْباً » بالفتح ، وأن عامتهم ينشدون عليه :

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذِإِنْ أَلَمَّ بِهَا
مِنَ الشُّوَاءِ وَيَكْفِي شَرِبَهُ الْغُمْرُ

(١) البحر المحيط ٥١٨/٤ والدر المصون ٦٣٦/٥ ، ٦٣٧ .

(٢) المصباح (ضعف) .

(٣) جمهرة اللفظة ٩٠٣ تح بعلبكي .

(٤) د/ أنيس في اللهجات العربية ٩١ .

(٥) عن زاد المسير ١٤٥/٨ .

وفى مقابل هذه الرواية يذكر اليزيدى (١) أن « أهل الحجاز يقولون : شَرِبْتُ الماء شَرِبًا ، وأن تميمًا تقول : شربت الماء شُرْبًا .

ويروى الكسائي أن قوما من بنى سعد بن تميم يقولون : « شَرِبَ الهِيم » بالكسر (٢) .

وهذا يعنى أن « الشرب » مثلث الفاء في معنى واحد ، وهو المصدر من شَرِبَ أو الاسم لما يُشْرَب (٣) .

ويعنى أيضا أن ثمة تناقضا فى الروايات المذكورة ؛ فإنه إذا أطلق لفظ « تميم » يكون المقصود به القبائل النجدية من قيس وأسد وقيم ، وغيرها من القبائل المجاورة لها ، وكذلك الشأن فى إطلاق لفظ « نجد » فهما مترادفان فى استعمال العلماء ، ويؤيد هذا كثير من النصوص المذكورة فى مصنفات اللغة ، والقراءات ، والتفسير ، والنحو (٤) ، وغيرها .

وعلى هذا تكون الروايات المذكورة على النحو الآتى :

- أكثر أهل نجد يفتحون الشين .

- أهل الحجاز يفتحون الشين .

- تميم تضم الشين .

- بنو سعد بن تميم تكسر الشين .

(١) عن المزهري ٢/٢٧٧ .

(٢) زاد المسير ٨/١٤٥ .

(٣) انظر إكمال الإعلام ١/٣٣٠ وتهذيب اللغة ١١/٣٥٢ - ٣٥٦ .

(٤) انظر المذكر والمؤنث للفراء ٨٧ ، ١٠١ ومعانى القرآن له ٢/٣٩٤ والأصول ٣/١٦١ ، ١٦٢ والبحر المحيط ٢/٣٢٨ وإبراز المعانى ١٢٥ والنشر ٢/٣٠ وشرح الشافية ٣/٤ ، ٢٥٥ وشرح المفصل ٩/٥٤ ، وجمهرة اللغة ٩/٢١٩ وغيرها ، وهو كثير .

وفى هذا من التناقض ما لا يخفى ، ولا يمكن الطعن فى تلك الروايات ، كما أنه لا يمكن التوفيق بينها ؛ لأن المحاولة ستكون ضرباً من التعسف ، ومثله ظاهر فى قول بعض المحدثين : « ولا نرى تناقضاً بين القولين ، وإنما هذا يعنى أن معظم النجديين كانوا يشاركون الحجازيين فى نطقهم بالفتح ، وأن الضم كان لتميم ، وشذ بعضهم فكسر اللفظ بدلاً من أن يضمه » (١) .

وما نرى هذا إلا محاولة منه لإثبات الضم لتميم ، والفتح لأهل الحجاز ، وقد استدل بقراءة نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والحسن ، والأعمش بالضم على لغة تميم .

على أن القراء مختلفون أيضاً فى قراءتها على النحو الآتى :

« قرأ » « شَرِبَ الهِيم » بالفتح كقراءة النبي ﷺ : الكسائى الكوفى ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر الدمشقى ، وابن كثير المكى ، وهؤلاء من السبعة ، ومن غيرهم : مالك بن دينار البصرى ، وابن جريج المكى ، والأعرج المدنى ، وابن الحجاب البغدادى .

« وقرأ » « شَرِبَ الهِيم » بالضم : نافع المدنى ، وعاصم ، وحمزة الكوفيان ، ومن غيرهم : أبو جعفر المدنى ، والحسن البصرى ، والأعمش الكوفى (٢) .

« وقرأ » « شَرِبَ الهِيم » بالكسر : طلحة بن مصرف الكوفى ، ومجاهد المكى (٣) .

(١) لغة تميم ٢١٨ ، ٢٣٩ .

(٢) انظر التيسير ٢٠٧ والنشر ٣٨٣/٢ والإتحاف ٤٠٨ والكامل للهدلى لوحة ٢٤١ والبحر المحيط ٢١٠/٨ .

(٣) انظر الكامل للهدلى لوحة ٢٤١ وشواذ القراءة ٢٣٧ والبحر المحيط ٢١٠/٨ .

وهكذا تتداخل القراءات بين المكيين ، والمدنيين ، والكوفيين ، والبصريين ،
والشاميين ، وإن كان لهذا التداخل ما يبرره من كون القراءة تكتسب بطريق التعلم ،
أو تختار من قبل القارىء ، على ما ذكرناه سابقا .

إن قراءة النبي ﷺ تؤثر الفتح هنا ، كما تؤثر الضم هنالك فى « ضُعْف »
وكلاهما إضافة إلى القراءتين الأوليين - ضم الشين فى « شُرْب » وفتح الضاد
فى « ضُعْف » - المرويين عنه ﷺ أيضا ، كلتاهما من قبيل التوسعة فى حدود
ما أتىح له ﷺ من إقراء الناس على سبعة أحرف .

فمن شاء نسبة الضم إلى أهل الحجاز احتج بـ « شُرْب » و « ضُعْف » ومن أراد
إثبات الفتح لهم احتج بـ « شُرْب » و « ضُعْف » .

ومن يحتج إلى غلبة الضم فى تميم ، وشيوع الفتح فى الحجاز له فى ذلك أيضا
فسحة ، فإذا ما عارضته رواية تكلف ما لا يطاق .

وقد أنصف بعض المحدثين فى قوله (١) : « وليس القول بأن هذه القبيلة تؤثر الضم
مثلا ، وأن أخرى تؤثر الكسر بالأمر السهل ، بل لا بد لذلك من قوانين صوتية غالبية
تسير عليها كثيرا ، وتشذ عنها قليلا كما سنرى ، وكما رأينا ؛ لأنه كثيرا ما يعترض
بحثنا روايات مضطربة متنافرة فى كثير من الأحوال ، ويجد الإنسان صعوبات جمّة
فى استخلاص الحقيقة » .

(١) الدكتور علم الدين الجندى فى اللهجات العربية فى التراث ٢٥٦/١ .

توجيه القدماء لهذه القراءة .

حملها كل من الفراء ، والأخفش ، والزجاج (١) على المصدر من شرب ، ونبه الفراء على أن أكثر القراء على الضم ، خلافا لما نصت عليه كتب القراءات ، فقد استثنت نافعا ، وعاصما ، وحمزة ، وأبا جعفر ، وهم الذين قرأوا بالضم من جمهرة من قرأ بالفتح (٢) .

وكذلك احتج ابن خالويه ، ومكي (٣) لمن قرأ بالفتح بإرادة المصدر ، وأضاف ابن خالوية القول بأنهما لغتان ، وعلق الهذلي (٤) بأن الفتح هو الاختيار على المصدر .

وهو مصدر مقيس في الثلاثي المتعدى كالأكل والضرب ، غير أن رواية اليزيدي بأن الضم لتميم ، ورواية الكسائي بأن الكسر لبني سعد يؤكد أن الاختلاف في حركة الفاء ناشىء عن الاختلاف بين المتكلمين في اختيار الحركة ، وقد ذكر الفراء (٥) أن العرب قالت : آخرها أقلها شربا ، وشربا ، وشربا .

فالتثنية ثابتة في فاء الكلمة التي تدل على معنى واحد ، والتثنية يعنى أن العرب نطقت هذه الكلمة بالحركات المختلفة ، وأن اختلاف الحركات لم يكن ذا قيمة وظيفية .

(١) معانى القرآن للفراء ١٢٧/٣ ، ١٢٨ ، وللأخفش ٤٩٢/٢ وللزجاج ١١٣/٥ .

(٢) التيسير ٢٠٧ والنشر ٣٨٣/٢ والكشف ٣٠٥/٢ والكامل للهذلي لوحة ٢٤١ والبحر المحيط ٢١٠/٨ والإتحاف ٤٠٨ .

(٣) الحجة في القراءات السبع ٣٤١ والكشف ٣٠٥/٢ .

(٤) الكامل لوحة ٢٤١ .

(٥) في المعانى ٢٨٢/٢ .

أما قراءة النبي ﷺ : « فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ » فإن اختيار الضمة فيها ناشىء عن تقدير المعنى المراد ، أى أن الحركة هنا تمثل قيمة وظيفية إلى جانب قيمتها الصوتية بتمثيلها معنى معيناً .

وذلك أن الرُّوحَ بضم الراء ذات دلالتين ، الأولى : الحياة ، والمعنى فى الآية : فحياة دائمة لاموت بعدها (١) والثانية : الرحمة ، والمعنى فى الآية : فرحمة من الله تعالى ، وريحان يُتَلَقَّى به عند الموت ، ذكره قتادة (٢) .

والروح بالفتح ذات دلالات كثيرة ، منها : الفرح ، والراحة ، والمغفرة والرحمة ، والجنة ، والطيب والنسيم فى القبر ، والروح من الغم فى الدنيا (٣) .

(١) معانى القرآن للفراء ١٣١/٣ ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ١١٧/٥ وتفسير الطبرى ٢١١/٢٧ .
٢١٢ وزاد المسير ٨ / ١٥٦ ، ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ١٥٧/١٧ والبحر المحيط ٢١٥/٨ ، ١١٦ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٧ / ٢١٢ وزاد المسير ٨ / ١٥٧ .

(٣) المراجع السابقة ومعانى الأخفش ٤٩٣/٢ .

بين زيادة الحركة وحذفها « التثقيل والتخفيف »

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ :

قوله تعالى : ﴿ مِنْ لَدُنِّي عُدْرًا ﴾ (١) : « عُدْرًا » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ (٣) : « عُدْرًا » (٢) .

قوله تعالى : ﴿ عَلَى رَقْرِفٍ خُضْرٍ ﴾ (٤) : « خُضْرٍ » (٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَالشُّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ (٦) : « وَالْوَتْرِ » (٧) .

(١) سورة الكهف آية ٧٦ .

(٢) ذكره الكرماني في شواذ القراءة ١٤٣ ونصه : « وعن النبي ﷺ وابن عباس ، وعلى بن الحسين ، وسلام ، والأعمش « عذرا » بضمتين » .

(٣) سورة المرسلات آية ٦ .

(٤) سورة الرحمن آية ٧٦ .

(٥) ذكره الكرماني في شواذ القراءة ٢٣٦ ونصه : « عن النبي ﷺ وعثمان بن عفان ، ونصر بن عاصم والجحدري ، ومالك بن دينار ، وابن محيصن ، وزهير الفرقبي . . ضم الضاد من خضر . . » .

(٦) سورة الفجر آية ٣ .

(٧) ذكره الكرماني في شواذ القراءة ٢٦٤ ولم أجده لغيره .

وقراءة النبي ﷺ «عُذْرًا» قرأ بها زيد بن ثابت ، وطلحة ، وابن خارجه ، وأبو جعفر ، وأبو حيوة ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو ، وروح ، والحسن ، والأعشى ، وأبو بكر ، وعاصم ، والزعفراني وابن مقسم ، وحمصي ، والبرجمي ، وابن عتبة ، والمنهال (١) .

وقراءته ﷺ «خُضْرٍ» قرأ بها : عثمان بن عفان ، ونصر بن عاصم ، والجحدري ، ومالك بن دينار ، والأعرج ، وابن محيصن ، وزهير الفرقي ، وابن هرمز (٢) .
أما قراءة «الْوَتْرِ» بتحريك الواو والتاء ، فلم أقف عليها لأحد غير مانسبه الكرمانى للنبي ﷺ .

التوجيه الصوتي

تشكل هاتان القراءتان صوتياً على النحو الآتي :

- ﴿عُذْرًا﴾ ص ح ص + ص ح ص — «عُذْرًا» ص ح + ص ح + ص ح ص .
- ﴿خُضْرٍ﴾ ص ح ص + ص ح ص — «خُضْرٍ» ص ح + ص ح + ص ح ص .
- ﴿وَالْوَتْرِ﴾ ص ح ص + ص ح — «وَالْوَتْرِ» ص ح + ص ح + ص ح ص .

(١) انظر الكامل في القراءات الخمسين للهدلي لوحة ٢٤٧ ومعاني القراء ٢٢٢/٣ ومعاني الأخفش ١٠٣/١ وتفسير الطبري ٢٣٣/٢٩ والبحر المحيط ١٥١/٦ ، ٤٠٥/٨ والدر المصون ٥٣٢/٧ وإرشاد المبتدى ٦١٥ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٣ ، ٤٣٠ وحجة أبي زرعة ٧٤٢ وشواذ الكرمانى ٢٥٦ والمبسوط ٤٥٦ .

(٢) انظر مختصر شواذ القرآن ١٥٠ والبحر المحيط ١٩٩/٨ وشواذ القراء للكرمانى ٢٣٦ .

فالقراءة الأولى مكونة من مقطعين متوسطين مغلقين ، ماعدا الأخيرة ، فإنها مكونة من مقطع متوسط مغلق ، ومقطع قصير مفتوح .

والثانية مركبة من ثلاثة مقاطع الأول والثاني منها قصيران مفتوحان ، والثالث متوسط مغلق ماعدا الأخيرة ، فهي مركبة من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة .

وكلا التتابعين سائغ في نسيج أبنية العربية ، ولكن التركيب يستمد تأليفه من طبيعة الناطقين ، فمن العرب من يؤثر التؤدة في الأداء ، فيشبع الحروف ، ويبين المقاطع ، فتبدو معالم البنية كاملة .

ومن الطبيعي أن يكون تتابع ثلاثة مقاطع في المثال المذكور ممثلاً للغة هؤلاء .

ومنهم من يجنح إلى السرعة في الأداء ، فيحذف بعض الحركات ، أو يماثل بينها ، أو يحذف بعض أصوات الكلمة ، لجوءاً إلى التخفيف ، وأكثر ما يكون ذلك إذا اجتمع في التركيب ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، أو ثالثها متوسط مغلق ، فإنها تلجأ إلى اختصارها في مقطعين متوسطين مغلقين .

وقد وصف مثل هذه الحالة في كلام العرب كثير من الرواة ، منهم عيسى بن عمر ، روى عنه الأخفش ، قال : « وزعم عيسى بن عمر أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ، فمن العرب من يثقله ، ومنهم ، ومنهم من يخففه ، نحو : اليسر ، والعُسر ، والرُّحم » قال الأخفش : وهذه اللغة التي ذكرها عيسى بن عمر يتحرك أيضاً ثانيه بالضم .

أى الصيغتين أصل في الأخرى ؟

من الصعوبة بمكان حسم الإجابة على هذا السؤال ؛ لأننا نفتقد حلقات كثيرة في الأطوار التي مرت بها العربية ، وتبدو آثار هذه الصعوبة في تباين آراء اللغويين الواضح بصدده هذه الظاهرة ، كما سنبينه فيما يلي .

شاع في فروع السامية تحقيق حركات البنية وتخفيفها ، ويبدو أن التخفيف فيها هو الأصل ، فإن أكثر ما هو على « فَعَلَ » من الأسماء يكون أيضا على « فَعُلَ » نحو « أذُن » و « أذُن » .

وهي في الأكديّة Uznu وفي العبرية Ozen مكتملة الحركات ، والأصل : Uzn « فنرى من ذلك أن « أذُن » بالذال الساكنة هي الأصل ، وأن « أذُن » المتحركة مقلوبة منها » (١) وقد روى أن « عُدْرًا » الساكنة أصل في « عُدْرًا » وأن الذال تحركت بالضم إتباعا للضمة التي قبلها ، قال صاحب الإتحاف (٢) : « وقيل الأصل السكون وأتبع » .

كما رُوِيَ أيضا أن التحريك هو الأصل ، وأن التسكين تفرع منه لأجل التخفيف ، قال مكى (٣) : « الضم الأصل ، والإسكان للتخفيف » .

وبعض من يعتبر التحريك أصلا يحتج بأنه جمع « عذير » (٤) فالضم على أصله في الجمع ؛ لأن فعلا يجمع على « فَعُلَ » كسرير وسرر ، وقضيب ونُضِب ، ونذير ونُذِر ومنه قوله تعالى : « فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ » (٥) .

وأنشدوا عليه قول حاتم الطائي :

أماوى قد طال التجنبُ والهجر وقد عذرتنى فى طلابكم العُدوُ

(١) التطور النحوى - برجستراسر ٦٩ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر ١٤٣ .

(٣) الكشف ٣٥٧/٢ .

(٤) الحجة لابن خالويه ٣٦٠ والحجة لأبى زرعة ٧٤٢ والبحر المحيط ٤٠٥/٨ .

(٥) سورة القمر آية ٥ .

أصلها : « العُذْر » فخفف (١) .

وقد ذكر ابن خالويه ، وأبو زرعة في الاحتجاج لمن ضم أنه أراد جمع « عذير »
ودليله : « فَمَا تُغْنِي النُّذْرُ » .

وذهب بعضهم إلى أن « عُدْرًا » مصدر بمعنى الإعذار ، وأن التحريك والإسكان فيه
سواء ، ذكر ذلك الفراء (٢) ، والزجاج (٣) ، والطبري (٤) ، وغيرهم (٥) .

مظهرها اللهجى

يكاد الإجماع ينعقد على أن « عُدْرًا » مكتملة الحركات هي الأصل ، والحجة في
ذلك أنها لغة أهل الحجاز ، وهي الأصل ، كما ذكر سيبويه (٦) ، وقد بين السيرافى
(٧) وابن سيده (٨) سبب ذلك بأن العربية أصلها إسماعيل عليه السلام ، وكان
مسكنه مكة .

٤

(١) الصحاح واللسان (عذر) .

(٢) فى المعانى ٢٢٢/٣ .

(٣) فى معانى القرآن وإعرابه ٢٦٦/٥ .

(٤) فى التفسير ٢٣٣/٢٩ .

(٥) البحر المحيط ٤٠٥/٨ .

(٦) الكتاب ١١١/٤ .

(٧) السيرافى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه ٢٩٢ .

(٨) المخصص ٢١٧/١٤ .

وأكد الفراء هذه النسبة في قوله : « أهل الحجاز ، والحسن يثقلون ﴿ عذراً أو نذراً ﴾ وهو مصدر ، مخففاً كان أو مثقلاً » (١) وكذا ذكر في الجمعة « (٢) .

وأيضاً ذكر ابن جنى أن التثقيب أفصح ؛ لأنه لغة الحجاز (٣) وكذلك ذكر أبو حيان (٤) ، وأصحاب القراءات (٥) .

وفي مقابل هذا ينسبون التخفيف إلى تميم ومن جاورهم من قيس ، وأسد ، وبكر ابن وائل ، فيذكر سيبويه أن بكر بن وائل ، وناساً كثيراً من تميم يخففون إذا تتابعت الضمتان (٦) .

وينقل أبو حيان عن الفراء نسبة التخفيف إلى تميم (٧) . وكذلك يذكر ابن جنى أن التخفيف في نحو ذلك لتمييم (٨) . وذكر صاحباً النشر واللاتحاف أن إسكان الباب كله لغة تميم ، وأسد ، وعامة قيس (٩) .

(١) في المعاني ٣ / ٢٢٢ .

(٢) السابق ٣ / ١٥٦ .

(٣) المحتسب ١ / ٢٥٥ .

(٤) البحر المحيط ٣ / ٢٤٧ .

(٥) النشر ٢ / ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، واللاتحاف ١٤٣ .

(٦) الكتاب ٤ / ١١٤ .

(٧) البحر المحيط ٣ / ٢٤٧ .

(٨) المحتسب ١ / ٢٠٥ ، ٢٥٥ ، ٢٨٧ / ٢ .

(٩) النشر ٢ / ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، واللاتحاف ١٤٣ .

وعزو التثقيب لأهل الحجاز يتناسب وخصائص لهجتهم ، فهم يحققون الحروف ، ويحتفظون بالصيغ دون حذف أو تغيير .

وقد أجمع الرواة على أن أهل الحجاز يفخمون الكلام كله ، بمعنى أنهم لا يفرعون ولا يغيرون كتميم ومن جاورهم من القبائل النجدية ، فقد ذكر أبو عبيدة « أن أهل الحجاز يفخمون الكلام كله » وورد في الخبر « نزل القرآن بالتفخيم » وفسر بعضهم التفخيم بأنه : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها (١) .

وهذا كله يرج أن قراءة النبي ﷺ « عُدْرًا » مكتملة الحركات مسايرة لطبيعة أهل الحجاز في التحقيق ، وأن هذه القراءة هي الأصل ؛ لأن الانتقال من حركة إلى حركة ، أو إيثار النطق بثلاثة مقاطع متتابعة ، أصعب من تسكين الحرف الثاني ، أو غلق المقطع ، واختصار المقطع الثالث ، وهذه طريقة من التخفيف تتسم بها لهجة أهل البداوة ، نتيجة لسرعة الأداء التي تلجئهم إلى حذف بعض الحركات ، والميل إلى المقاطع المغلقة ، وغير ذلك من التفريعات والتغييرات التي يقصد بها تحقيق الانسجام النطقى بين الحركات .

وأما قراءته ﷺ « خُضْرٍ » فيبدو أنها من قبيل المماثلة بين الحركات وهو ما يعرف بإتباع الحركة مثلها ، وهذه ظاهرة شائعة في لهجة تميم وما حولها من أهل نجد ، وقد توجد في بعض أهل الحجاز .

والذى جعلنا نرجح ذلك أنها جمع « خضراء » مؤنث « أخضر » والقياس المطرد فى نحو هذا : إسكان العين ، كُحْمَر ، وشُقْر ، وصُفْر إلخ .

(١) انظر الإتقان ٩٥/١ واللهاجات العربية فى التراث ٢٤٦/١ ، ٢٤٧ .

ولا تحرك العين إلا في ضرورة شعر كما ذكر النحاة (١) ، وأنشدوا عليه قول طرفه :

أيها الفتيان في مجلسنا جردوا منها وِراداً وشُقِر

فعلى هذا الاعتبار تكون القراءة شاهداً على جواز ضم عين « فُعَل » في النثر أيضاً .

كما أنها تدل على أن هذه الظاهرة كانت مستعملة في القبائل الحجازية ، ولم تكن وقفاً على القبائل النجدية ، وقد نص بعضهم على أن ضمة العين إتياع أو إشباع لضمة الفاء ، قال الهذلي (٢) فيما هو نحو ذلك : « وهو الاختيار ؛ لأنه أشبع » وقال صاحب الإتحاف (٣) : « وقيل : الأصل السكون وأتبع » .

والقراءة على أي اعتبار تبين حرص الحجازيين على تمكين الحركة وتحقيقها في التلاوة .

وأما ما ذكره الكرمانى من نسبة القراءة « والشفع والوتر » بفتح الواو والتاء إلى النبي ﷺ فهو نادر ، وإن وردت قراءات على هذا النحو ، منها : قراءة ابن عباس ، والأعرج ، وطلحة ، وعيسى وسهل النهدي ، ويعقوب ، وحميد : « جَهْرَةً » (٤) و « زَهْرَةً » (٥) بفتح الفاء والعين (٦) .

-
- (١) انظر شرح الشافية ١٧٠/٢ وشرح الكافية ١٨٣٠ وشرح المفصل ٦٢/٥ والبحر المحيط ١٩٩/٨ .
(٢) الكامل في القراءات الخمسين لوحة ٢٤٧ .
(٣) إتحاف فضلاء البشر ١٤٣ .
(٤) في قوله تعالى ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ سورة البقرة آية ٥٥ .
(٥) في قوله تعالى ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ سورة طه آية ١٣١ .
(٦) انظر مختصر شواذ القرآن ٥ والبحر المحيط ٢١١/١ والدر المصون ٣٦٨/١ وشواذ القراءة ٢٥ ، ١٥٦ .

وقراءة أبي السمال ، وابن السميع « قَرَحٌ » (١) بفتح القاف والراء (٢) .

ويلاحظ في الأولى والثانية وجود الهاء في موقع العين ، وفي الثالثة وجود الحاء في موقع اللام ، وأن الفاء مفتوحة قبلها في الجميع .

وهي عند البصريين لغات مشروطة بالسمع ، سواء أكانت العين حرفا حلقيا أم غير حلقى ، نحو الشُعْر والشَعْر ، والصخْر والصَخْر ، والدهر والدهر ، والحلب والحَلْب ، والطرْد والطرْد إلخ .

والكوفيون يجيزون الفتح إتباعا لحركة الفاء ، في كل ماكانت عينه حرفا حلقيا ساكنا وقبله مفتوح ، سمع أو لم يسمع ، فهو عندهم قياس في الحلقى العين ، سماع فيما عداه (٣) .

وقد مال إليه ابن جنى (٤) ؛ لأنه سمع عامة عقيل تقول ذلك ، ولكنه عاد فأجاز اعتبار الوجهين ، ثم رأى بعد أن الاختيار كون الفتح لغة .

وقراءة النبي ﷺ « والوترِ » ليست من الحلقى العين ، فهي إذن لغة في « والوترِ » عند البصريين والكوفيين وتُرْجَح أن يكون التحريك لغة أهل الحجاز ؛ لأنه يتناسب مع ميلهم إلى تمكين الحروف بتحريكها .

.....

(١) في قوله تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ) سورة آل عمران آية ١٤٠ .

(٢) انظر مختصر شواذ القرآن ٢٢ والبحر المحيط ٦٢/٣ والدر المصون ٤٠٢/٣ وشواذ القراءة ٥٣ .

(٣) انظر الخصائص ١٠/٢ والمحتسب ٨٤/١ ، ٨٥ ، والبحر المحيط ١٥٥/١ والدر المصون ٢٨١/١ ، ٣٦٨ .

(٤) المحتسب ٨٥/١ ، ١٦٧ ، والخصائص ١٠/٢ .

في ظاهرة التخفيف والتشديد

روى أن النبي ﷺ قرأ

- قوله تعالى : ﴿ إِنِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ (١) : « فَارَقُوا » (٢)
 وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ (٣) : « فَارَقُوا » (٢)
 وقوله تعالى : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٤) : « لَتَّخَذْتَ » (٥)
 وقوله تعالى : ﴿ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٦) : « فَكَرِهْتُمُوهُ » (٧)

- (١) سورة الأنعام آية ١٥٩ .
 (٢) روى طاووس عن أبي هريرة ، قال : « سمعت النبي ﷺ يقرأ : « من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا » بالألف » ذكره الدوري في جزئه ٩٦ ، ٩٧ وقال مكى : وقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ كان يقرأ « فارقوا » بألف . الكشف ٤٥٨/١ .
 (٣) سورة الروم آية ٣٢ .
 (٤) سورة الكهف آية ٧٧ .
 (٥) ذكره الدوري في جزئه ١٢٣ بإسناده إلى ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قرأ « لَتَّخَذْتَ » يعني مخففة . ورواية مسلم في الصحيح « لَتَّخَذْتَ » ١٠٥/٧ « فضائل الخضر » . وانظر المستدرک ٢٤٣/٢ .
 (٦) سورة الحجرات آية ١٢ .
 (٧) ذكره ابن خالويه في مختصره ١٤٣ والدوري في جزئه ١٥٠ ، والكرمانى في شواذه ٢٢٧ . وأبو حيان في البحر ١١٥/٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (١) : « وَفَى » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ قَوَّارِبْرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (٣) : « قَدَّرُوهَا » (٤)

(١) سورة النجم آية ٣٧ .

(٢) ذكره ابن جنى فى المحتسب ٢٩٤/٢ ، قال : ومن ذلك قراءة النبى ﷺ : « الذى وفى » خفيفة ، واختلف عنه وكذا ذكر الكرمانى فى شواذ القراءة ٢٣١ قال : وعن النبى ﷺ وأبى أمامة ، واليمانى « الذى وفى » بتخفيف الفاء . وقال ابن خالويه : « الذى وفى » بالتخفيف : سعيد بن جبير ، واليمانى ، وقال النبى ﷺ : أتعلمون ما « وفى » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنه عمل أربع ركعات كان يصلها من أول النهار مختصر شواذ القرآن ١٤٧ وذكر الدورى فى جزئه ١٥٤ بسنده عن أبى أمامة عن النبى ﷺ أنه قرأ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ مثقلة ، قال : تعلمون بما وفى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : وفى أربع ركعات كان يصلهن فى أول النهار . ولعل قوله « مثقلة » سهو ؛ لإجماع الرواة على التخفيف بالنص عليه ، أو أنه رواية أخرى ؛ لما ألمح إليه ابن جنى فى قوله : « مختلف عنه » . وانظر تفسير الطبرى ٧٤/٢٧ والكشاف ٣٣/٤ والبحر المحيط ١٦٧/٨ وزاد المسير ٧٩/٨ .

(٣) سورة الإنسان آية ١٦ .

(٤) ذكره الكرمانى فى الشواذ ٢٥٥ قال : وعن النبى ﷺ وعلى ، وابن عباس ، وابن عمير ، والضحاك ، وقتادة ، ويعقوب ، وأبان عن عاصم ، وعبد الله بن عمير « قَدَّرُوهَا » بفتحيتين وتخفيف الدال .

وهذا النص صريح فى نسبة القراءة إلى النبى ﷺ . أما نص ابن خالويه فمشكل ؛ لأنه نسب إلى النبى ص « قدروها تقديرا » وهذا يعنى أن « قدر » مشدد ، ونسب « قدروها » بالتخفيف إلى عبد الله بن عبيد ، فى حين أن ابن الجزرى نص فى ترجمة ابن عبيد أنه قرأ « قَدَّرُوهَا » بضم القاف . ونسب إليه الكرمانى فتحها وتخفيف الدال ، ولعلهما قراءتان للنبى ﷺ ولعبد الله بن عبيد . انظر مختصر الشواذ ١٦٦ وغاية النهاية ٤٣١/١ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴾ (١) : « بِالْخُنُوسِ .
الْكُنُوسِ » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ (٣) : « فَعَدَلَكَ » (٤)

وقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ (٥) : « وَدَّعَكَ » (٦)

(١) سورة التكوير الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٢) ذكره الكرمانى فى شواذ القراءة ٢٦٠ قال : وعن النبى ﷺ « بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ » بسكون النون
فيهما ، ولم أقف عليه لغيره .

(٣) سورة الانفطار آية ٧ .

(٤) ذكر مكى أن التشديد مروى عن النبى ﷺ الكشف ٢٤٤/٢ وروى الدورى فى جزئه ٧٠ ، ٧١ بسنده
عن عبد الله بن حرملة عن سعيد بن المسيب : « كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال (أو نظر إلى
الهلال) قال : الحمد لله الذى خلقك فسواك فعدلك » مثقلة . وأخرجه الحاكم بسنده إلى سعيد ابن
المسيب عن أبى هريرة ، وصححه انظر المستدرک ٢٥٢/٢ .

(٥) سورة الضحى آية ٣ .

(٦) ذكره ابن خالويه فى مختصر الشواذ ١٧٥ والكرمانى فى شواذ القراءة ٢٦٦ ونصا على التخفيف .

بين فَعَلَ وافتعل

قراءة النبي ﷺ « لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا »

قرأ بها ابن عباس ، وابن مسعود ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن كثير ، وأبو عمرو ،
واليزيدي ، ويعقوب ، والحسن ، وابن محيصن (١) .

التوجيه اللغوي للقراءة

المعنى فى « تَخَذْتُ » و « اتَّخَذْتُ » واحد ، يقال : اتَّخَذَ فلان مالا يتَّخِذُه اتَّخَاذاً ،
وتَخَذَ يتَّخِذُ تَخْذاً : بمعناه ، وتَخَذْتُ مالا : كَسَبْتُهُ (٢) .

وأنشدوا عليه قول الممزق العبدى (٣) :

وقد تَخَذْتُ رجلي إلى جنب غرْزها نسيفاً كأفحوص القطة المطرَّق

وأنشد الفراء (٤) عن القناني :

* تَخَذَهَا سُرِيَّةً تُقَعِّدُهُ *

(١) معانى القرآن للفراء ١٥٦/٢ والسبعة ٣٩٦ والتيسير ١٤٥ وحجة أبى زرعة ٤٢٥ والمبسوط ٢٨١
والكشف ٧٠/٢ والإقناع ٦٩١/٢ والنشر ٣١٤/٢ وإرشاد المبتدى ٤٢٠ وزاد المسير ١٧٧/٥ والبحر
المحيط ١٥٢/٦ والدر المصون ٥٣٥/٧ والإتحاف ٢٩٤ وتهذيب اللغة ٥٣٠/٧ ومجالس العلماء ٢٥٥

(٢) انظر العين ٢٩٨/٤ وتهذيب اللغة ٥٣٠/٧ والصحاح واللسان (أخذ) .

(٣) فعل وأفعل للأصمى ٤٩٤ مجلة مركز البحث العلمى ، ومجالس العلماء ٢٥٥ ومجاز القرآن
٤١١/١ وجمهرة اللغة ٣٨٨ تح بعلبكي ، والخصائص ٢٨٧/٢ .

(٤) فى المعانى ١٥٦/٢ وانظر تهذيب اللغة ٥٣٠/٧ وما ذكره الكوفيون من الإدغام ٧٣ .

وقد نعت العلماء هذه اللغة بالفصاحة ، فيُروى أن أبا عمرو بن العلاء أجاب حين سئل عنها بأنها « لغة فصيحة » (١) وأكد ذلك ابن دريد حيث ذكر أن « اتَّخَذَ » ، و « تَخَذَ » لغتان فصيحتان (٢) .

وأجمعوا أيضا على أنهما لغتان بمعنى واحد ، وقد رُوِيَ هذا عن أبي عمرو (٣) ، وغيره (٤) ، وقال أبو عبيدة : « لَتَخَذْتَ » الخاء مكسورة ، ومعناها معنى « أخذت » فكان مخرجها مخرج فَعَلْتِ تَفَعَّلَ » (٥) و صوب الطبرى القراءة بهما ؛ لأنهما « لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد » (٦) .

إذن فنحن أمام صيغتين مختلفتين شكلا ، متحدتين معنى ، ونظائرهما كثير فى الكلام ، من نحو : تَبِعَ وَاتَّبَعَ ، وَتَجَّهَ وَاتَّجَهَ ، وَتَقَى وَاتَّقَى (٧) .

ومن الواضح أن الصيغة الأولى خفيفة ، والثانية ثقيلة بسبب الزيادة والتضعيف ، وقد جرى الاستعمال بكلتا اللغتين ، غير أن الثقيلة كانت أكثر وأشهر ، ولهذا كانت قراءة الجمهور .

(١) مجالس العلماء ٢٥٥ وانظر مجاز القرآن ٤١١/١ والأشباه والنظائر ١١٣/٣ .

(٢) جمهرة اللغة ٣٨٨ .

(٣) مجالس العلماء ٢٥٥ والأشباه والنظائر ١١٣/٣ .

(٤) فعل وأفعال للأصمى ٤٩٤ مجلة مركز البحث العلمى ، ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٦/٣ .

(٥) مجاز القرآن ٤١١/١ .

(٦) فى التفسير ٢٩١/١٥ .

(٧) حكى أبو زيد قولهم : تَجَّهَ يَتَجَّهُ بمعنى اتَّجَهَ . النوادر ١٥١ وانظر الخصائص ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

وقد احتدم الخلاف حول أصل اللغتين ، والعلاقة الاشتقاقية بينهما ، خاصة وقد ثبت استعمال « تَخَذَ يَتَخَذُ » ونحوه مما ذكرنا .

- فذهب فريق من العلماء إلى أن « تَخَذَ » أصل قائم بذاته ، التاء فيه فاء الكلمة ، غير زائدة ولا مبدلة ، وأن « اتَّخَذَ » افتعل منه . ومن هؤلاء : سيبويه (١) ، وأبو علي الفارسي (٢) ، والزمخشري (٣) ، وعبارة الأخير صريحة في ذلك ؛ إذ يقول : « والتاء في « تَخَذَ » أصل كما في تبع ، و « اتَّخَذَ » افتعل منه كاتَّبِعَ من تَبِعَ ، وليس من الأخذ في شيء » وقد وافقه أبو حيان (٤) ، وأخذ به أصحاب الاحتجاج للقراءات ، كابن خالويه ، وأبي زرعة ، ومكي (٥) بالإضافة إلى أبي علي .

- وذهب فريق آخر إلى أن « تَخَذَ » و « اتَّخَذَ » مشتقان من الأخذ ، ومن هؤلاء : الخليل (٦) ، والفراء (٧) ، والزجاج (٨) .

(١) شرح الشافية ٢٩٣/٣ وانظر الكشف ٧٠/٢ والمخصص ٢٧٢/١٢ ، ٢٧٣ .

(٢) الحجة ٧١/٢ تح قهوجي ، وجويجاتي . والمخصص ٢٧٢/١٢ .

(٣) الكشف ٤٩٥/٢ وانظر النهاية ١٨٣/١ واللسان « تخذ »

(٤) البحر المحيط ١٥٢/٦ .

(٥) انظر الحجة لابن خالويه ٢٢٨ ، ٢٢٩ والحجة لأبي زرعة ٤٢٥ ، ٤٢٦ والكشف ٧٠/٢ .

(٦) في العين ٢٩٨/٤ : « ويقال الاتخاذ من تَخَذَ يَتَخَذُ تَخَذًا ألزمت التاء كأنها أصلية ، والأصل من الأخذ إن شاء الله تعالى .

(٧) نقل السيرافي في مذكره الكوفيون من الإدغام ٧٣ قول الفراء : « أصلها من الأخذ ، وكثر بها تاء الافتعال ، فصارت بمنزلة « اتقيت » حتى توهموا بالتاء أنها أصل ، ووجدوا الهمز مقاربا للواو ، فاحتملوا ذلك ، وقالوا فيه لما كثر : * تَخَذَهَا سُرِيَّةٌ تَقَعْدُهُ * فكسر الخاء ، فصارت كأنها فَعَلْتُ » وانظر معاني القرآن ١٥٦/٢ . ويلاحظ صلة ما بين كلامه وكلام الخليل من توهم أصالة التاء ، وقد قال به الجوهري ، فرده ابن الأثير في النهاية ١٨٣/١ .

(٨) في معاني القرآن وإعرابه ٣٠٦/٣ ، ٣٠٧ .

وقد بين السيرافى الصلة بين « أخذ » و « تَخَذَ » بأن التاء « إما أن تكون منقلبة من فاء الفعل ، وإما من الهمزة ، وإما قلبت الهمزة واوا ، ثم قلبت الواو تاء ، وصرف منها « فَعِلَ يَفْعَلُ » (١) .

ولكن الفارسي ردّه بأن الهمزة لم تبدل من التاء ، ولا التاء أبدلت منها (٢) .

ولذا التمس ابن جنى (٣) ، مذهبا آخر فى توجيه « تَخَذَ » بأن جعل الأصل فيها « اتَّخَذَ » ثم حذفت الهمزة وبقيت تاء افتعل عوضا عنها ، وذهبت ألف الوصل مع ذهاب الهمزة الساكنة .

وهذا يعنى أن التاء فى « تَخَذَ » ليست أصلا ، وإنما هى بدل من الأصل الذى هو الهمزة ، وأن هذه الصيغة صورة مخففة من صيغة « افتعل » وهذا لم يسلم له ؛ لأنه افتراض عقلى خاص .

وثمة خلاف كثير فى أصل « تَخَذَ » وهذا الخلاف يدل على أنها أصل قائم بذاته ، وأن « اتَّخَذَ » افتعل منه ، كما قرر الفارسي فى قوله : « اتَّخَذَ : افتعل ، وفَعِلْتُ منه : تَخَذْتُ ومن زعم أن « تَخَذْتُ » أصله من أخذت لم يكن هذا القول بمستقيم ولا قريب منه ، ولو قلب ذلك عليه لم يجد فصلا ... » (٤) .

مظهرها اللهجى

ثبت من العرض السابق أن « تَخَذَ » و « اتَّخَذَ » لغتان بمعنى واحد ، وأن الأولى

(١) مذكوره الكوفيون من الإدغام ٧٥ .

(٢) الحجة ٧١/٢ والمخصص ٢٧٢/١٢ .

(٣) انظر الخصائص ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .

(٤) الحجة ٧٠/٢ ، ٧١ وانظر المخصص ٢٧٢/١٢ .

خفيفة ، والثانية ثقيلة ، وقد نشأ ثقلها من إدغام التاء الأصلية فيها في تاء
افتعل ، وإضافة ألف الوصل .

واستعمال الصيغة المخففة من نحو تَخَذَ يَتَّخِذُ ، وَتَقَى يَتَّقَى ، ظاهرة شائعة في لهجة
متميزة من لهجات العرب ، وهي لهجة هذيل (١) ، وقد وردت آثارها في أشعارهم ،
ومنها قول أبي جندب الهذلي (٢) :

تَخَذْتُ غَرَازَ إِثْرِهِمْ دَلِيلًا
وفروا في الحجاز لِيُعْجِزُونِي
وقول ساعدة الهذلي (٣) :

يَتَّقَى بِهِ نَفْيَانَ كُلِّ عَشِيَّةٍ
فالماء فوق مُتُونِهِ يَتَصَبَّبُ

وقد خرج الطبري قراءة « لَتَخَذْتَ » على هذه اللغة ، قال : « تَخَذَ فلان كذا يَتَّخِذُهُ
تَخَذًا ، وهي لغة فيما ذكر لهذيل » (٤) .

ونقل عن أبي عبيد أيضا أنه حملها على هذه اللهجة ، ذكره صاحب إبراز المعاني (٥)
وهذا يؤكد أن « تَخَذَ يَتَّخِذُ » أصل مستقل ؛ لأنه علي لهجة ذات مكانة بين
لهجات العرب ، وأن القراءة عليه أصل أيضا ، كما أن القراءة بالتشديد أصل
مؤسس على استعمال سائر العرب للصيغة المشددة .

(١) انظر اللهجات العربية في التراث ٦٨٥/٢ ، ٦٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين ٩٠/٣ واللهمجات العربية في التراث ٦٨٦/٢ .

(٣) ديوان الهذليين ٦٩/١ واللهمجات العربية في التراث ٦٨٥/٢ .

(٤) التفسير ٢٩١/١٥ .

(٥) إبراز المعاني ٣٨٥ واللهمجات العربية في التراث ٦٨٦/٢ .

بين « فَعَلَ » و « فَعَّلَ »

قراءته ﷺ : « وَفَى »

قرأ بها : أبو أمامة ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك الغفاري ، وابن السميعة ، وزيد
ابن علي ، وابن محيصن ، وابن عمران الجوني (١) . وقرأ الباكون ﴿ وَفَى ﴾
بالتشديد .

التوجيه اللغوي للقراءة :

وفى ، ووفى ، وأوفى : لغات تؤول استعمالاتها المختلفة إلى معنى واحد ، فيقال :
وَفَيْتُ بِالْعَهْدِ وَوَفَيْتُ بِهِ ، وَأَوْفَيْتُ ، وَمَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ (٢) و
﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ (٣) و ﴿ فَوَفَاهُ حِسَابَهُ ﴾ (٤) و ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى ﴾ (٥)
ويلاحظ أن « وَفَى » و « أَوْفَى » وردا متعديين ، ولازمين ، وقد حكى أبو زيد (٦)
عن العرب : « وَفَى نَذْرَهُ ، وَأَوْفَاهُ » فجعل الرباعي يتعدى بنفسه .

(١) مختصر شواذ القرآن ١٤٧ والمحتسب ٢٩٤/٢ وشواذ القراءة ٢٣١ والبحر المحيط ١٦٧/٨ وزاد المسير
٧٩/٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٣ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣٤ .

(٣) سورة الشعراء آية ١٨١ .

(٤) سورة النور آية ٣٩ .

(٥) سورة النجم آية ٣٧ .

(٦) اللسان (وفى) .

ونقل أبو عبيد (١) عن أبي عبيدة ، والكسائي : « وَفَيْتُ بِالْعَهْدِ ، وَأَوْفَيْتُ » فَوْفَى
هنا بمعنى أوفى التى هى بمعنى وفى المشددة ، وقد نص كثير من اللغويين على أن
« وَفَى » و « وَفَى » و « أوفى » بمعنى (٢) .

وأكثر ما يكون « وَفَى » المخفف لازما بمعنى تَمَّ ، قال أبو حاتم : « وَفَتْ ذِمَّتُهُ ،
أى : تمت ، ووفى شبابه ، ووفى الغلام : إذا تم ، ووفى الدرهم ، وهو وافٍ » (٣) .
ونقل الأزهري عن شمر مثله (٤) .

وكونه بمعنى « وَفَى » و « أوفى » يقتضى أن يكون مثلهما فى التعدية ، ويبدو أنه
كذلك ، فقد ذكر ابن دريد (٥) : وَفَيْتُ الْكَيْلَ وَأَوْفَيْتُ .

وأزهد عن أبي عبيدة لدريد بن الصمة : (٦) .

وَفَاءٌ مَّا مُعِيَّةٌ مِنْ أَبِيَّةٍ
لِمَنْ أَوْفَى بِعَهْدٍ أَوْ بَعْدٍ

محتجا لكون « وَفَى » و « أوفى » بمعنى ، وقال : هما لغتان فصيحتان (٧) .

(١) الغريب المصنف ٥٨٥/٢ وتهذيب اللغة ٥٨٥/١٥ .

(٢) انظر المصباح واللسان (وفى) .

(٣) فعل وأفعل ٤٩٧ مجلة مركز البحث العلمى .

(٤) تهذيب اللغة ٥٨٥/١٥ .

(٥) جمهرة اللغة ١٢٦٤ تح بعلبكي .

(٦) السابق ٢٤٤ ، ٩٧٣ ، ١٢٥٧ .

(٧) نفسه و ص ١٠٨٢ .

وأنشد أبو حاتم (١) لطفيل الغنوى :

أما ابنُ طوق فقد أوفى بدمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

وقال : وإن شئت « فقد وفى بدمته » .

فنحن إذن أمام ثلاث صيغ متفاوتة فى الشكل بين الخفيفة بالتجريد ،
والمزيدة بالثقل ، والمزيدة بحرف ، والذي يعنينا منها : المخففة والمثقلة ؛ لورود
القراءة بهما .

والمعنى فى القراءتين واحد ، إذ أن مختلف التأويلات فيه قريب بعضها من بعض ،
وتنحصر فى أن إبراهيم عليه السلام قد وفى عمله بالعبادة ، والطاعة ، وتبليغ ما
كلفه الله به (٢) .

ومادامت الصيغتان بمعنى ، فإنهما لغتان ، وقد نص العلماء على فصاحتهما ، كما
ذكر ابن دريد (٣) . وكذلك هما قراءتان صحيحتان قرىء بهما بناء على اختيار قوم
قراءة « وفى » المخففة ، واختيار آخرين قراءة « وفى » المثقلة ، وقد يقرأ
بهما معا ، كما روى عن النبي ﷺ فقد روى الدورى عن أبى أمامة أيضا أن
النبي ﷺ قرأها (وفى) مثقلة (٤) .

(١) فعل وأفعل ٤٩٧ مجلة مركز البحث العلمى .

(٢) انظر تفسير الطبرى ٧١/٢٧ - ٧٣ وزاد المسير ٧٩/٨ ، ٨٠ ومعانى الفراء ١٠١/٣ ومعانى الزجاج
٧٥/٥ .

(٣) جمهرة اللغة ٩٧٣ ، ١٠٨٢ .

(٤) ذكره فى جزئه ١٥٤ .

على هذا فإن قول الزجاج (١) ، ومن تابعه (٢) : « وقيل : ﴿ وقى ﴾ وهى أبلغ من « وقى » لأن الذى امتحن به من أعظم المحن « غير سديد ؛ لأنهما لغتان على سواء .

وبعضد هذا أن العلماء ينسبون الصيغة المشددة لتميم ، والمخففة لأهل الحجاز فى الأمثلة المناظرة لهذه (٣) .

قراءة « قَدْرُوهَا »

فى قوله تعالى : ﴿ قَدْرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ ثلاث قراءات : هذه ، وهى قراءة الجمهور (٤) ؛ و « قُدْرُوهَا » وفى نسبة هذه خلاف ، فقد عزاها ابن خالويه (٥) إلى النبى ﷺ غير أنه لم يقيد بها ، وذكر المحقق أنها مشكولة بالفتح فى النسختين ، وأنه يعتقد أن الصواب « قُدْرُوهَا » ومما يؤكد هذا أنه قيد القراءة الثالثة « قَدْرُوهَا » بالتخفيف ، ونسبها إلى عبد الله بن عبيد .

وفىها أيضا أنه نسبها إلى : على رضى الله عنه ، وابن عباس ، والسلمى ، والشعبى ، وجماعة .

(١) معانى القرآن وإعرابه ٧٥/٥ .

(٢) انظر تهذيب اللغة ٥٨٦/١٥ والكشاف ٣٣/٤ وزاد المسير ٧٩/٨ والكشف ١١٧/٢ .

(٣) انظر اللهجات العربية فى التراث ٦٦٤/٢ - ٦٦٧ ولغة تميم ٣٨٠ - ٣٨٣ .

(٤) البحر المحيط ٣٩٧/٨ وتفسير الطبرى ٢١٧/٢٩ .

(٥) مختصر الشواذ ١٦٦ .

ويؤيد هذه النسبة أن أبا حيان ^(١) عزاها إليهم ، وأضاف : ابن أبزى ، وقتادة ، وزيد ابن علي ، والجحدري ، وعبدالله بن عبيد ، وأبا حيوة ، وعباساً عن أبان ، والأصمعي عن أبي عمرو ، وابن عبدالمخالق عن يعقوب وقيدها بأنها « قُدَّروها » بالبناء للمفعول .

وفيها أيضاً أن الفراء ، والزجاج ، والطبري ، وابن جنى ^(٢) اقتصروا على ذكر القراءتين المشددتين ، ونسب الفراء المبنية للمفعول إلى الشعبي ، وقال الطبري : « الشعبي وغيره من المتقدمين » .

وكذلك نسبها الجوزي ^(٣) إلى السلمى ، وأبي عمران ، والجحدري ، وابن يعمر .

وكل ذلك يؤكد أن قراءة « قُدَّروها » بالبناء للمفعول في كتاب ابن خالويه ، والتي نسبها إلى النبي ﷺ هي المقصودة .

والقراءة الثالثة ، وهي : « قَدَّروها » بالتخفيف ، وقده قيدها ابن الجوزي ^(٤) ، والكرمانى ^(٥) بفتح القاف ، والبدال وتخفيفها ، ونسبها الكرمانى إلى النبي ﷺ ، وعلى ، وابن عباس ، وابن عمير ، والضحاك ، وقتادة ويعقوب ، وأبان عن عاصم ،

(١) في البحر ٣٩٧/٨ .

(٢) انظر معانى القرآن ٢١٧/٣ ومعانى الزجاج ٢٦٠/٥ وتفسير الطبرى ٢١٧/٢٩ والمحتسب ١١٧/٢ .

(٣) زاد المسير ٤٣٧/٨ .

(٤) السابق .

(٥) شواذ القراءة ٢٥٥ .

وعبدالله بن عمير ، ونسبها ابن الجوزي ^(١) إلى حميد ، وعمرو بن دينار ، ونسبها ابن خالويه ^(٢) إلى عبدالله بن عبيد « ابن عمير » . فهذه القراءة ثابتة ، ولكن حدث تداخل بينها وبين قراءة « قَدَّرُوها » في النسبة إلى القراء على ما سبق .

ولا نستطيع دفع أية رواية منها ، ولكن يمكننا القول بأن القارئ الواحد كان يقرأ بأكثر من وجه ، ومن ثم فإنه يحتمل أن يكون مَنْ نسبت إليهم قراءة « قَدَّرُوها » قد قرأوا أيضا « قَدَّرُوها » بالتخفيف .

التوجيه اللغوي

قَدَّرُ كل شيء ومقداره : مقياسه ، ويقال : قَدَّرُ الشيء بالشيء يقدره قَدْرًا ، وقدره : قاسه . ويقال : قَدَّرْتُ الأمرَ أَقْدَرُهُ وَأَقْدِرُهُ : إذا نظرت فيه ودبَّرتَه ^(٣) . وفي الحديث « فإن غم عليكم فاقدروا له » أي : قَدَّرُوا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوما ^(٤) .

ومن الواضح أن « قَدَرَ » و « قَدَّرَ » بمعنى ، وقد صرح بذلك الفيومي ^(٥) قال : قَدَّرْتُ الشيء قدرا من بابي ضرب وقتل ، وقَدَّرْتَه تقديرا : بمعنى « .

(١) زاد المسير ٤٣٧/٨ .

(٢) مختصر الشواذ ١٦٦ .

(٣) انظر تهذيب اللغة ٢٢/٩ واللسان (قدر) .

(٤) النهاية ٢٣/٤ .

(٥) المصباح (قدر) .

بل إن استعمال « قَدَرَ » فى معنى التقدير هو الأكثر ، بدليل الحديث السابق ،
وحديث عائشة رضى الله عنها « فاقْدُرُوا قَدْرَ الجارية الحديثة السن المشتبهة
للنظر » (١) .

ومعنى التقدير فى الآية على اختلاف القراءة هو ما فى « قَدَرَ » فقد ذكر الفراء (٢)
وغيره (٣) أنهم « قُدُّوا الكأس على رِيٍّ أحدهم لافضل فيه ولاعجز عن ربه ، وهو
أذ الشراب » وذكر فى قراءة « قُدُّوها » أن « المعنى واحد : قُدُّت لهم وقُدُّوا لها
سواء » .

فالقراءتان بمعنى على اللغتين الثابتتين ، وسواء فى ذلك قراءة النبي ﷺ ، وغيره
من الصحابة . والتابعين ، وكبار القراء ، رضوان الله عليهم أجمعين .

قراءة النبي ﷺ « فَعَدَّلَكَ »

تلتقى مشتقات مادة « ع د ل » فى معنى الاستقامة والاستواء ، يقال : عدلتُ
الشيءَ فاعتدل ، أى : سويته وأقمته فاستوى واستقام ، وكل ما تناسب فقد اعتدل ،
وكل ما أقمته فقد عدلته وفى حديث عمر رضى الله عنه : « الحمد لله الذى جعلنى
فى قوم إذا ملت عدكونى كما يعدل السهم فى الثُّقاف » أى : قومونى ، وكل مثقف
معتدل ، وقال :

صَبَحْتُ بِهَا القومَ حتى امتسَكَتُ
تُ بالأرض أعدلُها أن تميلاً (٤)

(١) غريب الحديث لأبى عبيد ٣٣١/٤ .

(٢) معانى القرآن ٢١٧/٣ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٢١٧/٢٩ ، ٢١٨ ، والكشاف ١٩٨/٤ وزاد المسير ٤٣٧/٨ والبحر المحيط

٣٩٧/٨ .

(٤) انظر تهذيب اللغة ١١٠/٢ واللسان (عدل) .

وَعَدْلُهُ مِثْلُ عَدْلِهِ ، يُقَالُ : عَدَّلْتُ أُمَّتَةَ الْبَيْتِ : إِذَا جَعَلْتَهَا أَعْدَالًا مُسْتَوِيَةً ، وَعَدَّلَ الْقِسَامَ الْأَنْصِبَاءَ : سَوَاهَا عَلَى الْقِيَمِ (١) .

وكذلك المعنى فى قراءتى التشديد والتخفيف ، فقد ذكر الأخفش (٢) أن « من ثقل » عَدْلَكَ « فإنما يقول : عدل خلقك ، و « عَدْلَكَ » أى : عدل بعضك ببعض فجعلك مستويا معتدلا ، وهو فى معنى « عَدْلَكَ » . وإلى ذلك أيضا ذهب المبرد (٣) ، والزجاج (٤) ، وقد جمع الزجاج القراءتين على معنى « خلقك فى أحسن تقويم » .

وذكر الزمخشري (٥) فى توجيه قراءة التخفيف وجهين ، أحدهما : أنها بمعنى المشددة ، وكذا ذكره أبو حيان (٦) وفسره على معنى : « عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت » .

وذهب بعضهم إلى التفرقة بين القراءتين فى المعنى ، فقد جعل الفراء (٧) « فَعَدَّلَكَ » المخففة بمعنى الصرف ، و « فَعَدَّلَكَ » المشددة بمعنى التسوية والاستقامة ، وعبارته : « فمن قرأها بالتخفيف ، فوجهه : فصرفك إلى أى صورة شاء ، إما حسن أو قبيح ، أو طويل ، أو قصير . ومن قرأ « فَعَدَّلَكَ » فإنه أراد : جعلك معتدلا مُعَدَّلَ الْخَلْقِ » .

(١) انظر تهذيب اللغة ١١٠/٢ واللسان (عدل) .

(٢) معانى القرآن ٥٣١/٢ .

(٣) حجة القراءات لأبى زرع ٧٥٣ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه ٢٩٥/٥ .

(٥) الكشاف ٢٢٨/٤ .

(٦) البحر المحيط ٤٣٧/٨ .

(٧) معانى القرآن ٤٤/٣ وانظر تهذيب اللغة ٢١١/٢ واللسان (عدل) .

وتابعه على ذلك كثير ، منهم الطبرى (١) ، وأبو حيان (٢) ، وغيرهما ، وذكره بعضهم على أنه وجه من أوجه تعليل قراءة التخفيف (٣) .

ونرى أن « عدل » و « عدل » تؤولان إلى معنى واحد ؛ لما ذكرنا فى اشتقاقات المادة ، ولأن الفراء ، ومن تابعه جعلوا حرف الجر ﴿ فى ﴾ متعلقا بـ ﴿ ركبك ﴾ وليس بمتعين ؛ لأنه قد يكون متعلقا بمحذوف تقديره : ركبك حاصل فى بعض الصور ، أو يكون المعنى قصد بك إلى الاستواء ، والصلة محذوفة على حد قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٤) كما ذكر المبرد (٥) ، أو يكون متعلقا بعدلك أى : عدلك فى صورة عجيبة ، كما ذكر الزمخشري (٦) ، على أن كل هذه الاحتمالات ترجع إلى معنى واحد أيضا .

وبذلك نخلص إلى أن عدل و عدل بمعنى ، أى أنهما لغتان مستعملتان فى كلام العرب ، ينطق بهذه قوم ، وبتلك آخرون .

(١) فى التفسير ٨٧/٣٠ .

(٢) فى البحر المحيط ٤٣٧/٨ .

(٣) الكشف ٣٦٤/٢ .

(٤) سورة المطففين آية ٣ .

(٥) انظر حجة القراءات لأبى زرع ٧٥٣ .

(٦) الكشف ٢٢٨/٤ .

تعليق على نسبتها اللهجية

تنسب قوانين المحدثين الصيغة المخففة فيما هو على هذا النحو إلى القبائل الحضرية ،
والصيغة المشددة إلى القبائل البدوية ، والأمر في هاتين القراءتين على خلاف ذلك ،
فقد قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، والأعمش وطلحة ، وهم الكوفيون ، وخلف
البغدادي ، والحسن البصري ، وعيسى الثقفي ، وأبو جعفر المدني « فَعَدَّكَ »
بالتخفيف (١) .

وقرأ ابن كثير المكي ، ونافع المدني ، وابن عامر الشامي ، وأبو عمرو ، ويعقوب
البصريان « فَعَدَّكَ » بالتشديد (٢) .

وقد نسب الفراء التشديد لأهل الحجاز (٣) ، وعمم الطبري (٤) ، فقال : « قرأته
عامة قراء المدينة ، ومكة ، والشام والبصرة (فَعَدَّكَ) بتشديد الدال ، وقرأ ذلك
عامة قراء الكوفة بتخفيفها » .

فإذا اعتبرنا القراء ممثلين لبيئاتهم اللغوية ، فهذا واقع الحال في تداخل القراءات ، وإذا
أخذنا بقول بعض المحدثين (٥) : « إن التشديد مالت إليه القبائل البدوية ،
كتميم ، وسفلى قيس ، بينما لهجة قريش والحجاز قد آثرت التخفيف » وبقول
آخر (٦) : « نستطيع أن نقرر بهد هذا أنه إذا وردت الصيغتان « فَعَلَّ » و « فَعَلَّ »
بدلالة واحدة دون نسبة إلى بيئة معينة ، نرجح أن الثقيلة تيمية ... » إذا أخذنا بهذا
فإن هاتين القراءتين تقفان حائلا دون الاعتداد به .

(١) انظر المبسوط ٤٦٥ والتيسير ٢٢٠ والسبعة ٦٤٧ والكامل في القراءات الخمسين ٢٤٨ والغنوان ٢٠٤ .

(٢) المراجع السابقة ، والبحر المحيط ٤٣٧/٨ .

(٣) في المعاني ٤٤/٣ .

(٤) في التفسير ٣ . ٨٧/٢ .

(٥) اللهجات العربية في التراث ٦٥٩/٢ .

(٦) لغم تميم ٣٨٣ .

قراءة النبي ﷺ « مَيْتًا فَكَّرَهُتْمُوهُ » .

قرأ بها أبو سعيد الخدري رضى الله عنه وهو الذى رواها عن النبي ﷺ وقرأ بها الضحاک ، وعاصم الجحدري ، وأبو حيوة (١) .

وبين هذه القراءة ، والقراءة المشهورة « فَكَّرَهُتْمُوهُ » اتفاق فى المادة ، واختلاف فى الصيغة ناشئ عن اختلاف المعنى المراد .

وذلك أن القراءة المشهورة « فَكَّرَهُتْمُوهُ » على البناء للفاعل من الفعل الخفيف « كَرِهَ » والقراءة الثانية على البناء للمفعول من مضعف هذا الفعل ، وهو « كَرِهَ » .

ولكل من الصيغتين وظيفة معنوية تختص بها ، فالمخففة تؤدى معنى الكره باعتباره واقعا من المخاطبين ، والمشددة تفيد معنى وقوعه عليهم من الله تعالى .

وفى إسناد الفعل - على القراءة الخفيفة - من أسرار الإعجاز ما يطول المقام بذكره ، وقد تكفل أهل التفسير بتفصيله (٢) ، والذى يعيننا منه هنا أن إسناد الفعل للمخاطبين كان بعد تقريرهم بما يوجبه عليهن ، وفيه يقول الفراء ، وهو أفضل ما قيل فى هذا الموضع : « قال لهم النبي ﷺ : أكان أحدكم آكلا لحم أخيه بعد موته ؟ قالوا لا ، قال : فإن الغيبة أكل لحمه فكَّرَهُتْمُوهُ ، أى : فقد كَرِهْتُمُوهُ ، فلا تفعلوه » (٣) .

(١) انظر مختصر شواذ القرآن ١٤٣ وجزء الدورى ١٥٠ وزاد المسير ٤٧٢/٧ وشواذ القراءة ٢٢٧ والبحر المحيط ١١٥/٨ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٣٧/٢٦ ، ١٣٨ ، والكشاف ٥٦٨/٣ والبحر المحيط ١١٤/٨ ، ١١٥ وعناية القاضى ٧٧/٨ .

(٣) فى المعانى ٧٣/٣ .

ويقال من المخفف : كره الشيء كرها : ضد أحبه (١) ، فهو واقع على الشيء المكروه ، وهو أكل لحم الأخ جيفة .

وقراءة التشديد أيضا قوية من وجوه :

الأول : أن بناءها للمفعول يفيد إسناد الفعل لغير المخاطبين ، ووقوعه عليهم ، والمعنى فيها : جبلكم الله تعالى على كره ذلك .

والثاني : أن تضعيف عين الفعل يفيد هذا أيضا ؛ يقال كرهه إليه الأمر ، أى : صيره كريها لديه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (٢) .

والثالث : وقوع الفعل على شيئين : المخاطبين ، وأكل لحم الميت ، وهذا مقتضى القياس فى تضعيفه ، ولكنه عدى بالى فى الآية المذكورة ؛ ليفيد معنى البغض ، وهذا يعدى بالى ، يقول الزمخشري : « وقرىء « فَكُرِّهْتُمُوهُ » أى : جبلتم على كراهته والقياس تعديه بنفسه ؛ لأنه ذو مفعول واحد قبل تثقيب حشوه فإذا ثقل استدعى زيادة مفعول ، وأما تعديه بالى فتأول وإجراء لكره مجرى بغض ؛ لأن بغض منقول من بغض إليه الشيء فهو بغيض إليه » (٣) .

الرابع : أنه بالإضافة إلى ما فيها من إفادات ، فإنها تؤدى المعنى المراد كما تؤديه القراءة الخفيفة ، وقد عدهما الفراء بمعنى واحد ، إذا يقول : « ومن قرأ « فَكُرِّهْتُمُوهُ » يقول : قد بغض إليكم والمعنى - والله أعلم - واحد ، وهو بمنزلة قولك : مات الرجل وأميت » (٤) .

ويجدر التنبيه هنا إلى أن نسبة هذه القراءة إلى النبي ﷺ وقراءته بها تجعل قوانين المحدثين اللهجية محل نظر .

(١) اللسان والمصباح (كره) .

(٢) سورة الحجرات آية ٨ .

(٣) الكشاف ٥٦٨/٣ .

(٤) معانى القرآن ٧٣/٣ .

قراءة النبي ﷺ ﴿ مَاوَدَعَكَ ﴾

قرأ بها عمر بن الخطاب ، وأنس ، وعروة بن الزبير ، وابنه هشام بن عروة ، ومجاهد ، ومقاتل ، ويزيد النحوي ، وأبو حاتم عن يعقوب ، وأبو حيوة ، وأبو العالية ، وابن يعمر ، وابن أبي عبله ، وأبو بحرية ، وحمصي (١) .

التوجيه اللغوي للقراءة

العلاقة هنا بين « وَدَعَ » المشدد ، و « وَدَعَّ » المخفف والجمهور على قراءة التشديد .

والاستعمال له كبير الأثر في شيوع كلمة دون أخرى ، وقد اطرده بالصيغة المشددة ، وندر بالمخففة ، حتى عدها بعض اللغويين شاذة .

فقد ذكر في العين (٢) أن « العرب لاتقول : وَدَعْتَهُ فَأَنَا وَاَدِعُّ ، في معنى تركته فأنا تارك ، ولكنهم يقولون في الغابر : لم يَدَعُّ ، وفي الأمر : دَعَّهُ ، وفي النهي : لاتدعه ، إلا أن يضطر الشاعر ، كما قال :

وكان ماقدّموا لأنفسهم
أكثر نفعاً من الذي ودّعوا

وذكر هذا أيضا ابن دريد (٣) ، وقال : زعموا أنه قرىء « ماودعك » (٤) .

(١) انظر المحتسب ٣٦٤/٢ وتهذيب اللغة ١٣٦/٣ وزاد المسير ١٥٧/٩ والكامل للهدلي لوحة ٢٤٩ وشواذ القراءة ٢٦٦ والبحر المحيط ٤٨٥/٨ .

(٢) ٢٢٤/٢ ، وانظر الكتاب ١٠٩/٤ .

(٣) جمهرة اللغة ١٢٥٩ تح بعلبكي .

(٤) السابق ٦٦٧ .

كما ذكره الأزهري (١) ، ونقل عن الحراني عن ابن السكيت أنه لا يقال : ودَعْتَه ، ولكن : تركته . وعلى هذا كثير من أهل اللغة والعربية ، غير أن تتبع اشتقاقات هذه المادة ، وما تدور عليه من معانٍ ، يدل على خلاف ما ذهبوا إليه ، فإن الواو والداو والعين هي المادة الأصلية التي تتولد عنها مختلف التفرعات ، ومنها صيغة « فَعَل » المشددة العين ، فالأصل المادى واحد .

وكذلك تؤول دلالات مختلف التفرعات إلى معانٍ متقاربة إلى حد كبير ، فهي تنتهي إلى معنى الترك والتخلية في سكون وخفض من العيش (٢) ، ويبدو هذا في الدُّعَةِ ، والوديع ، وفي قولهم : عليك بالمودوع ، أى : بالسكينة والوقار ، وفي توديع المسافر أهله ، أى : تركه إياهم خافضين وادعين ، وهم يودِّعون تفاؤلاً بالدُّعة التي يصير إليها إذا قفل ، والموادعة : المصالحة (٣) . وهكذا تتلاقى المعاني على هذا الأصل .

وليس الأمر كما زعم القائلون بعدم استعمال العرب « ودَعَّ » فقد حكى الكسائي (٤) أن بعض العرب يقول : ودَعَّه .

(١) تهذيب اللغة ٣/١٣٦ .

(٢) انظر المقاييس ٦/٩٦ .

(٣) انظر الصحاح ، واللسان (ودع) .

(٤) المشرف المعلم ٢/٨٢١ .

وأنشد الأصمعي لأنس بن زئيم الليثي (١) :

ليت شعري عن أميري ما الذي غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَعَهُ
لايكن برقك برقا خلباً إن خير البرق ما الغيث معه

وأنشد الزمخشري وأبو حيان (٢) عليه :

وئثم ودعنا آل عمرو وعمرو فرائس أطراف المثقفة السمر

والشواهد من الشعر على هذا كثيرة .

والنبي ﷺ أفصح العرب ، وقد روى ابن عباس أنه ﷺ قال : « لِيَنْتَهَيْنَ
أَقْوَامٌ عَنْ وَدَعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لِيَخْتَمُنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » (٣) فهذا خير شاهد على
استعمال المصدر من « ودع » .

وقد علق شمر بن حمدويه فيما نقله الأزهرى (٤) عنه : زعمت النحوية أن العرب
أما تواتر مصدر « يدع » و « يذر » واعتمدوا على الترك والنبي ﷺ
أفصح العرب ، وقد رويت عنه هذه الكلمة .

(١) تهذيب اللغة ١٣٦/٣ واللسان (ودع) وينسب أيضا لأبي الأسود الدؤلى ، كما سيأتى .

(٢) الكشف ٢٦٣/٤ والبحر المحيط ٤٨٥/٨ .

(٣) النهاية ١٦٦/٥ وتهذيب اللغة ١٣٨/٣ ، ١٣٩ ، والمصباح ، واللسان (ودع) .

(٤) تهذيب اللغة ١٣٩/٣ وانظر المصباح (ودع) والنهاية ١٦٦/٥

وأیضا، فإن المفعول مستعمل منه ، وهو فی قول خفاف بن ندبة :

إذا ما استَحَمْتُ أرضه من سَمَائِهِ جری وهو مَوْدُوعٌ وواعد مَصْدَقٍ

ومنه قولهم : عليك بالمودوع ، أى بالسكينة والوقار

فقد ثبت إذن استعمال العرب « وَدَعَّ » المخفف فى الماضى ، والمصدر ، والمفعول ، ومن ثم فإن الزعم بأنهم لا يقولونه ، أو أنهم أماتوا ماضيه ومصدره : غير سديد ، نعم قد يكون قليل الاستعمال بسبب اشتهاه مرادفه « ترك » ولكن هذا لا يسوغ إطلاق الحكم بأنه ممت ، وما روى عن العرب قُلُّ من كُثْرٍ ، وليس فى مقدور احد أن يدعى الإحاطة بما قالوه ، أو بما لم يقولوه ، وهذا سيد الخلق وأفصحهم قد قرأ « مَا وَدَعَكَ » ورواه عنه الأئمة الثقات ، ومع ذلك يقول ابن دريد (١) : « وزعموا أنه قرىء « مَا وَدَعَكَ » ! وأنى لهم بعد ذلك من إحاطة ؟

ولذلك يتساءل الفيومى : كيف يكون إماتة ؟ ثم يقول : وم' هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال ولا يجوز القول بالإماتة « (٢) .

ويقرب من لفظ « الإماتة » مصطلح الشذوذ عند من قال به ، كالفارسى ، وابن جنى (٣) ، وغيرهما ، وإن كان المراد به التفرد ، لما ذكرناه من قصور الرواية ، ولما قد توحى به دلالته لدى العامة من معنى الخروج عن حد كلام العرب ، ولا يقال بهذا فى قراءة وردت عن النبى ﷺ .

(١) جمهرة اللغة ٦٦٧ .

(٢) انظر الخصائص ٩٦/١ - ٩٩ ، والمنصف ٢٧٨/١ ، ٢٧٩ .

(٣) المحتسب ٣٦٤/٢ .

ولهذا كان تعبير ابن جنى أكثر توفيقا ولياقة فى مقام تخرىج هذه القراءة ، إذ قال (١) : « هذه قليلة الاستعمال ، وعلى أنها قد جاءت فى شعر أبى الأسود ، وأنشدناه أبو على :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا لَذِي غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَعَهُ

والقراءة بالتخفيف على معناها بالتشديد ، أى أن « فَعَلَ » و « فَعُلَ » هنا بمعنى ، ووظيفة التثقيب : إفادة المبالغة فى الفعل ، وقد ذكرنا آنفا أن التَّوْدِيعَ دعاء بترك المودع والمودع فى خفض ودعة ، وهو إفراط فى الترك : « لأن من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك » (٢) .

وقد صرح الأزهري بأن المعنى فيهما واحد ، وهو : الترك .

وكلام العرب على هذا ، إذا أرادوا المبالغة أو التكثير ، يقولون : قطع وقطع ، وذبح وذبح ، وجرح وجرح ، وولد وولد إلخ (٣) .

والتخفيف فى نحو هذا هو الأصل ، والزيادة طارئة عليه ، وكذلك القراءة بالتخفيف أصل ، كما دل عليه الاشتقاق ، غير أن جريان الاستعمال بالمشدد من « ودع » كان أكثر ، فترك أثره فى كثرة القراءة به .

(١) الكشاف ٢٦٣/٤ ، والبحر المحيط ٤٨٥/٨ .

(٢) تهذيب اللغة ١٣٦/٣ .

(٣) انظر الخصائص ١٥٥/٢ والمحتسب ٢١٠/٢ والمخصص ١٧٣/١٤ ، ١٧٤ .

بين التشديد والتخفيف في عين الاسم

قراءة النبي ﷺ « فَلَ أُقْسِمُ بِالْحُنْسِ الْجَوَارِ الْكُنْسِ »

هذه القراءة نسبتها الكرمانى إلى النبي ﷺ ولم أقف على مصدر آخر يؤكدها ،
أو قراءة تدعمها .

على أن لها وجهها مع القراءة ﴿ فَلَ أُقْسِمُ بِالْحُنْسِ الْجَوَارِ الْكُنْسِ ﴾ .

وذلك أن القراءة المخففة على صيغة في الجمع تخالف الصيغة التي عليها القراءة
المشهورة ، غير أن المعنى فيهما قريب بعضه من بعض .

- وبيان ذلك : أن الحنْس في اللغة : الانقباض والاستخفاء والتأخر ، يقال : حنَس
الرجل : إذا توارى وغاب ، وحنَس من بين أصحابه : انقبض وتأخر ، وقد حكى
الأصمعي أنه سمع عقيليا يقول لخادم له : لم حنست عني ؟ أى : لم غبت
وتخلفت وتواريت ؟ . وهو خانس ، وهى خانسة ، والجمع : حُنْس (١) .

وكذلك الكنوس من قولهم : كَنَسَتَ الطِّبَاءُ والبقر تكَنَس : إذا دخلت في
الكناس ، وهو : موضع فى الشجر تكئن فيه وتستتر ، فالظبي كانس ،
وكانسة ، والجمع : كُنُس .

ويقولون من هذا المعنى : حَنَسَتِ النجوم ، وكَنَسَت : إذا غابت فى مجاريها
أثناء النهار ، وهى خانسة ، وكانسة ، وجمعها : حُنْس ، وكُنُس أيضا (٢) .

(١) انظر العين ١٩٩/٤ وتهذيب اللغة ١٧٣/٧ - ١٧٦ والصحاح ، واللسان (حنس) .

(٢) العين ٣١٢/٥ وتهذيب اللغة ٦٣/١٠ ، ٦٤ ومعانى الفراء ٢٤٢/٣ ومجاز القرآن ٢٨٧/٢

ومعانى الزجاج ٢٩١/٥ وغريب القرآن وتفسيره لابن البيزى ٢٠٠ والصحاح ، واللسان (كنس) .

وعلى هذا القراءة المشهورة في « الحُنْسِ » و « الكُنْسِ » بالتشديد ، فقد روى عن علي رضي الله عنه ومجاهد ، وقتادة ، والحسن أن المقصود بها في الآية : النجوم الدراري الخمسة ؛ لأنها تخنِس في مجراها فترجع ، وتكنِس فتستتر في بيوتها كما تكنس الظباء في المغار (١) . وعلى هذا أكثر أهل اللغة (٢) .

- ويقرب من هذا المعنى الحُنْس في البقر والظباء ، وهو : لصوق القصبية بالوجنة وضخم الأرنبيه ، وفي هذا غياب للألف ، وأصل ذلك في البقر والظباء ، والوصف منه أخنس وخنساء ، والجمع : حُنْس كأحمر وحُمُر (٣) .

وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وأبي الشعثاء جابر بن زيد ، وإبراهيم النخعي ، أن المقصود في الآية : بقر الوحش ، وذكر النخعي أنهم كذبوا على علي رضي الله عنه في نقلهم عنه أنها النجوم .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والضحاك ، وسعيد بن جبير : أن المقصود بها الظباء (٤) .

(١) تفسير الطبري ٧٤/٣ - ٧٧ والكشاف ٢٢٣/٤ ، ٢٢٤ والبحر المحيط ٤٣٤/٨ وزاد المسير ٤٢/٩ .

(٢) انظر معاني الفراء ٢٤٢/٣ ومجاز القرآن ٢٨٧/٢ وجمهرة اللغة ٥٩٩ تح بعلبكي ومعاني الزجاج ٢٩١/٥ .

(٣) اللسان ، والصحاح (خنس) .

(٤) تفسير الطبري ٧٥/٣ - ٧٧ والبحر المحيط ٤٣٤/٨ وزاد المسير ٤٢/٩ .

ومن ثم فإن « الحُنس » فى القراءة الثانية جمع أخنس وخنساء على هذا المعنى ويكون « الكُنس » هنا جمعا أيضا نحو : بازل وِبُرْل ، وعائد وعُوذ (١) .

وقد ذكر الزجاج نحوا من هذا ، وإن كان توجيهه منصبا على قراءة التشديد ، ونصه : « وقيل « الحُنس » ههنا يعنى بقر الوحش ، وظباء الوحش ، ومعنى « حُنس » جمع خانس ، والظباء حُنس ، والبقر حُنس ، والحُنس : قصر الأنف وتأخره عن الفم ، وإذا كان للبقر ، أو كان للظباء فمعنى « الكنس » التى تكنس ، أى : تدخل الكناس ، وهو الغصن من أغصان الشجر » (٢) .

(١) انظر شرح الكافية ١٨٣٠ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه ٢٩٢/٥ .

قراءة النبي ﷺ : « فَاَرَقُوا دِينَهُمْ »

قرأ بها علي رضي الله عنه ، والكسائي ، وحمزة ، والحسن (١) . وقرأ سائر السبعة : ﴿ فَرَّقُوا ﴾ (٢) .

التوجيه اللغوي

القراءتان هنا من الأصل « ف ر ق » إحداهما - وهي قراءة الجمهور - : علي « فَعَلَ » والثانية : علي « فاعَلَ » ولكل من القراءتين دلالة تخالف الأخرى ؛ فإن فَرَّقَ من التفريق ، يقال : فَرَّقْتُ الشَّيْءَ تَفْرِيقًا وَتَفْرِيقَةً فَانْفَرَقَ وَانْفَرَقَ وَتَفَرَّقَ (٣) ، والمعنى علي هذا في قراءة التشديد : أن دين الله واحد ، وهو دين إبراهيم عليه السلام ، الحنيفية المسلمة ، وقد فَرَّقَهُ اليهود والنصارى ، فتهود قوم ، وتنصر آخرون ، فجعلوه شيعة متفرقة .

وهذا ماتأوله ابن مسعود رضي الله عنه ، محتجا بقوله تعالى بعده : ﴿ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ ويقوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٤) .

(١) السبعة ٢٧٤ والتيسير ١٠٨ ومعاني الفراء ٣٦٦/١ وتفسير الطبري ١٠٤/٨ وحجة أبي زرعة ٢٧٨ ، والكشف ٤٥٨/١ والبحر المحيط ٢٦٠/٤ والدر المصون ٢٣٥/٥ والمبسوط ٢٠٥ وإرشاد المبتدى ٣٢٤ ، والنشر ٢٦٦/٢ والإتحاف ٢٢٠ .

(٢) المراجع السابقة ، والحجة للفراسي ٤٣٨ /٣ تح قهوجي وجويجاتي .

(٣) الصحاح ، واللسان (فرق) .

(٤) سورة المؤمنون آية ٥٣ وانظر تفسير الطبري ١٠٤/٨ - ١٠٧ وانظر معاني الفراء ٣٢٥/٢ وحجة ابن خالوية ١٥٢ وحجة الفراسي ٤٣٨/٣ وحجة أبي زرعة ٢٧٨ والكشف ٤٥٨/١ .

وأما « فارقوا » فهو من الفراق ، يقال : فارقتُه مُفارقةً وفِراقاً : باينته وزايلته ،
والاسم الفرقة ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضاً ، وفارق الرجل امرأته مُفارقةً
وفِراقاً : باينها (١) .

والمعنى على قراءة النبي ﷺ : ترك اليهود والنصارى دينهم ، فارتدوا عنه
وفارقوه . وقد روى أن رجلاً قرأ عند عليّ رضي الله عنه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ ﴾ فقال عليّ : « لا والله ما فرقوه ولكن فارقوه » ثم قرأ « إِنَّ الَّذِينَ
فَارَقُوا دِينَهُمْ » أي : تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتباعه ودعاهم إليه (٢) .

والظاهر من التأويلين السابقين أن « فعل » و « فاعل » من الأصل « ف ر ق »
على اختلاف معنى ، وأن كل قراءة من القراءتين المذكورتين قد تَخَيَّرتُ منهما
البناء الذي يؤدي المعنى المراد .

ولاشك في أن اختلاف صورة البناء يؤدي إلى فروق معنوية ، غير أنه يلاحظ
تقارب بين معاني التفريعات المتفقة الأصول ، وأقوى ما يكون هذا التقارب في
الاشتقاق الصغير ، وذلك لاتحاد الأصول ، وترتيبها بين المأخوذ والمأخوذ منه ،
كما هو واضح بين « فرق » و « فارق » .

وقد ترد الصيغتان متفتى الدلالة ، كما في قولهم : ضاعف الشيء ، وضعفه ،
وصاعر خده وصعره ، وعاقدت وعقدت إلا أننا لا نعدم فرقا بين دلالات
تلك الصيغ ، حين نعد إلى تلمسه ، مهما كان هذا الفرق دقيقاً .

(١) جمهرة اللغة ٧٨٥ والمصباح واللسان (فرق) .

(٢) انظر تفسير الطبري ١٠٤/٨ ، ١٠٥ وحجة أبي زرعة ٢٧٨ والكشف ٤٥٨/١ وزاد المسير

١٥٨/٣ والبحر المحيط ٢٦٠/٤ .

والدلالة بين القراءتين هنا تكاد تكون متقاربة في أصل المعنى ، وهو :
التمايز والتزايل بين شيئين (١) ، وذلك أن دين الله واحد ، ففرقته الأحزاب إلى
يهودية ، ونصرانية ، ومجوسية ، وغيرها وذلك هو التفريق بعينه ، وهم بهذا
الفعل أيضا مفارقون للدين القيم الذي ارتضاه الله لعباده ، إذن فهم مفارقون
ومفارقون (٢) .

وقد عبرت القراءتان عن هذا المعنى على سواء ، ومن ثم كانت كل منهما وجهها
صحيحا في القراءة ، كما أقر الفراء (٣) ، وفي نص الطبري : « قَرَأْتُ بِكُلِّ
وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أُمَّةٌ مِنَ الْقُرَاءِ فَبَأَى ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِءُ فَهُوَ لِلْحَقِّ
مَصِيبٌ » (٤) .

ويؤكد ما ذهبت إليه قول الفارسي (٥) : « ومن قرأ « فارقوه » فالمعنى : باينوه ؛
وخرجوا عنه ، وإلى معنى « فرقوا » يؤول ؛ ألا ترى أنهم لما آمنوا ببعضه ،
وكفروا ببعضه فارقوه كله ، فخرجوا عنه ولم يتبعوه ؟ » .

وهكذا تتلاقى القراءتان في أصول المباني والمعاني ، وتجتمعان على دقة الأداء .

(١) انظر المقاييس ٤٩٣/٤ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١٠٤/٨ والبحر المحيط ٢٦٠/٤١ والإتحاف ٢٢٠ .

(٣) في المعاني ٣٦٦/١ .

(٤) في التفسير ١٠٤/٨ .

(٥) في الحجة ٤٣٨/٣ .

بين الهمز والتسهيل

روى أن النبي ﷺ قرأ :

قوله تعالى : ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (١) : « وَجِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ » (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٣) : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٥) « فِي عَيْنٍ حَمِيَةٍ » (٦)

وقوله تعالى : ﴿ وَالزُّجَّاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (٧) « دُرِّيٌّ » و « دَرِيٌّ » (٨)

(١) سورة البقرة آية ٩٨ .

(٢) روى أبو داود بسنده إلى أبي سعيد الخدري ، قال : حدث رسول الله ﷺ حديثاً ذكر فيه جبريل وميكال ، فقرأ : « جبرائيل وميكايل » وروى أيضاً في حديث بعده أنه ذكر عند الأعمش : كيف قراءة « جبرائيل وميكايل » ؟ فحدث بسنده إلى أبي سعيد الخدري أنه قال ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور ، فقال : « عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكايل » السنن ٣٦/٤ ، ٣٧ ح ٣٩٩٨ ، ٣٩٩٩ .

(٣) سورة يوسف آية ٢٣ .

(٤) ذكر الطبري في جامع البيان ١٨١/١٢ أنها قراءة النبي ﷺ ، وروى الفراء بسنده إلى الشعبي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : « أقرأني رسول الله ﷺ ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ المعاني ٤٠/٢ وكذلك رواه البخاري ، والدوري في جزئه ١١٤ وأبو داود في السنن ٣٨/٤ ح ٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥ ، وصححه الحاكم ، والذهبي . انظر فتح الباري ٣٦٣/٨ ، ٣٦٤ والمستدرک ٣٤٦/٢ وكذلك ذكره مكى في الكشف ٩/٢ .

(٥) سورة الكهف آية ٨٦ . =

.....

(٦) = ذكره الدورى فى جزئه ١٢٤ ، ١٢٥ بسنده إلى أبى يحيى مصدع عن ابن عباس قال : « أقرأنى أبى كما أقرأه رسول الله ﷺ » *تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَةٍ* « كذا من غير تقييد ، وذكره كذلك الطبرى بلفظ « حَمِيَةٍ » دون تقييد . جامع البيان ١٢/١٦ ولكن أبا داود ذكر الحديث وقيده القراءة بأنها « مخففة » السنن ٣٤/٤ ح ٣٩٨٦ ويناقض هذا أن مكيا ذكر نفس الحديث وقيده القراءة بأنها « بالهمز » . الكشف ٧٤/٢ وما ذكره الطبرى ، والزمخشرى ، وأبو حيان ، والسمين الحلبى يدل على أن القراءة مهموزة . وانظر الكشاف ٤٩٧/٢ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤١/٧ ولا نستطيع دفع رواية التخفيف ؛ لاحتمال أن تكون قراءة ثانية للنبي ﷺ من طريق أبى بن كعب رضى الله عنه .

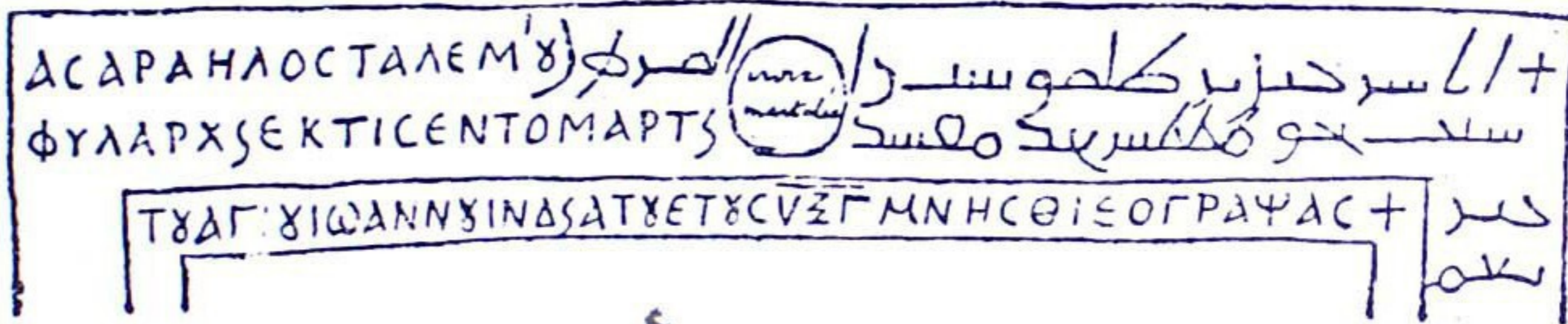
(٧) سورة النور آية ٣٥ .

(٨) ذكره ابن خالويه فى مختصر الشواذ ١٠٢ وعبارته : « *دَرِيٌّ* » بالتخفيف قتادة ، وأبان عن عاصم ، والنبي ﷺ وروى أبو داود فى السنن ٣٤/٤ ح ٣٩٨٧ بسنده إلى أبى سعيد الخدرى حديثا فيه قول النبي ﷺ « كأنها كوكب *دُرِّيٌّ* » وقال أبو داود : وهكذا جاء الحديث « *دُرِّيٌّ* » مرفوعة الدال . تهتمز .

في الهمز والتسهيل

العلاقة بين الهمزة ، والألف والواو والياء

الهمز والتسهيل ظاهرة سامية قديمة ، وقد ثبت من خلال المقارنات بين فروع السامية أن الهمزة مرحلة نطقية أكثر تقدما من مرحلة التسهيل (١) ، وأن للهمزة وجودا مستقلا صوتيا في أول قائمة الصوامت السامية . غير أنها تبدو مرتبطة شكلا بالحركة الطويلة « الألف » وتصورها الأشكال الآتية « 𐤀 » في الكنعانية ، والعبرية القديمة ، والآرامية و « 𐤁 » في السريانية و « 𐤂 » في العبرية الحديثة ، « 𐤃 » في السبئية ، و « 𐤄 » في الثمودية ، و « 𐤅 » في الصفورية و « / » في العربية القديمة ، وتظهر في أول نقش حران (٢) الآتى :



وهذا يعنى أن صورة الألف كانت ولا زالت تؤدي وظيفتين ، الأولى : صوت الهمزة ، والثانية : الحركة الطويلة ، وقد نقل الداني (٣) قول بعضهم : « إنما تقدمت الألف سائر الحروف ؛ لأجل أنها صورة للهمزة المتقدمة في الكلام ، وللألف اللينة ،

(١) فقه اللغات السامية ٤١ .

(٢) كشف بحران في المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، وتاريخ كتابته (٥٦٨ ب . م) وترجمته : أنا شرحيل بن ظلمو « ظالم » بنيت ذا المرطول سنت « سنة » ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم « بعام » . تاريخ اللغات السامية ١٩٢ . وفي الأصوات اللغوية ١٤٣ .

(٣) انظر المحكم في نقط المصاحف للداني ٩ وكتاب الكتاب لابن درستويه ١١٤ .

ولسائر الهمزات أحيانا ، فلما انفردت بأن تكون صورة الهمزة المتقدمة فى الكلام ،
وشاركت الواو والياء فى أن تكون مرة صورة لنفسها ، ومرة صورة للهمزة المتوسطة
والتأخرة قدمت « (١) .

ولكن استقلال كل من الهمزة ، والحركة الطويلة فونيميا حتم وجود صورتين مستقلتين
لهما ، ومن ثم وضع الخليل صورة الهمزة فى الشكل المعروف « ء » وهو رأس
العين ، وكان أول من صنف فى النقط والشكل وعُله (٢) .

ولكن لعله ماظلت هذه الصورة مرتبطة بالألف فى شكل مزدوج ذى وظيفتين ، على
غير ما عهد من استقلال الحروف فونيميا. ومن الغريب أن يظل الشعور متعلقا بهذا
الترباط ، فرغم وضع الخليل صورة مستقلة للهمزة إلا أنها لم تعتمد منفصلة عن
الألف ، فيذكر ابن درستويه « أن الخليل زاد فى حروف المعجم صورة الهمز ، فلم
يعتمد عليها الناس ، وجعلوها شكلة لها » (٣) .

بل أوجب بعض اللغويين فى تلك الهمزة ، إذا ما حقت ، ووقعت أولا ، أن تكتب
ألفا على كل حال ، مفتوحة ، أو مكسورة ، أو مضمومة ، وقد عقب ابن جنى على
رفض المبرد (٤) استقلال الهمزة قائلا : « اعلم أن الألف التى فى أول حروف المعجم
هى صورة الهمزة فى الحقيقة ، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة ، وياء أخرى ، على
مذهب أهل الحجاز فى التخفيف ، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفا على
كل حال » (٥) .

(١) المحكم فى نقط المصحف ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر المحكم ٩ وكتاب الكتاب لابن درستويه ١١٤ .

(٣) كتاب الكتاب ١١٤ .

(٤) فى المقتضب ١/٣٢٨ ، ٣٣٠ .

(٥) سر الصناعة ١/٤١ ، ٤٢ .

وقد يتحول نبر الطول إلى نبر توتر ، فتبدل الألف همزة ، يقولون : « شَابَّة » و « دَابَّة » و « مَادَّة » و « زَامُّهَا » و « اشْعَالُ » (١) وقرئ على هذا : « ولا الضالين » (٢) و « وَلَا جَانُ » (٣) .

وأيضاً فإنه في حالة الوقف على الحركة الطويلة « الفتحة » نجد بعض العرب يبدلها همزة ، فقد حكى الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلاً ، وهذه حبلاً . وكذلك ذكر سيبويه أنه سمعهم يقولون : هو يضربها (٤) ويقولون في قولاً وقولوا : قولاً وقولوا (٥) .

إن هذا التلازم لم يكن وقفاً على الألف ، بل كان كذلك مع الواو والياء في نحو « بئر » و « لؤم » و « أئمة » وكان له جذور ضاربة في القدم ، فقد وجد في الأجاريتية ثلاثة أشكال صوتية للهمزة المحققة ، وهي : « أ - ي - و » (٦) .

والتبادلات المشهورة بين الهمزة من جهة ، والألف والواو والياء من جهة أخرى ، في نحو « وجوه - أجوه » ، « وعاء - إعاء » ، « ألل - يلل » ، « عباية - عباءة » ، « راس - رأس » ، « بايع - بائع » ، « قائل - قائل » نحو هذا يؤكد أن ثمة علاقة بين الهمزة وهذه الحروف ، سواء أكانت صوائت أم أنصاف صوائت .

(١) سر الصناعة ٧٢/١ والمحتسب ٤٦/١ - ٤٨ .

(٢) المحتسب ٤٦/١ ومختصر الشواذ ١ .

(٣) المحتسب ٤٧/١ ومختصر الشواذ ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٤) الكتاب ١٧٦/٤ ، ١٧٧ وسر الصناعة ٧٤/١ .

(٥) الخصائص ١٧/٢ ، ١٢٩/٣ .

(٦) تاريخ علم اللغة ٧٦ .

والهمزة صوت صامت consonant أى : يشارك الصوامت فى خواصها ، ومن أهمها : أنه محدد المخرج ، إذ يتلاحم الوتران الصوتيان ، فيغلقان فتحة المزمار ، ويحبسان الهواء خلفهما فترة ، ثم ينفرجان ، فينطلق الهواء محدثا صوتا يشبه الانفجار ، ولذا يطلق عليها المحدثون : « وقفة حنجرية » glottal stop وهى أيضا انفجارية plosive كالصوامت الشديدة (١) وهذه الصفة الانفجارية فى الصوامت على النقيض من صفة الاستمرارية فى الصوائت ، وأنصاف الصوائت .

وقد دارت تساؤلات كثيرة حول وصف القدماء للهمزة بالجهر ، ولم يجد المحدثون تعليلا لهذا الوصف ؛ وذلك أن الأوتار الصوتية فى حالة إنتاج الهمزة تكون فى وضع لا يسمح لها بالتذبذب الذى ينتج عنه الجهر (٢) ، ولهذا وصفها بعضهم بأنها مهموسة (٣) . وبعضهم بأنها « لا مهموسة ولا مجهورة » (٤) وخطأ بعضهم القدماء صراحة فى ذلك (٥) ، وحاول آخرون تلمس تفسير له ، فوجه الوصف إلى حركة الهمزة « إذ الحركات كلها مجهورة » واحتمل من وجه آخر أن يكون وصفهم ذلك للهمزة المسهلة (٦) .

(١) انظر علم اللغة العام « الأصوات » ١١١ ، ١١٢ ودراسات فى علم اللغة ٩١ ، ٩٢ والأصوات اللغوية ٨٩ ، ٩٠ ط ٦ وأصوات اللغة العربية ٨٢ - ٩٦ وأصوات اللغة ١٨٣ ومناهج البحث فى اللغة ١٢٥ وعلم اللغة للسعوان ١٨٣ .

(٢) أصوات اللغة ١٨٣ .

(٣) مناهج البحث فى اللغة ١٢٥ وأصوات اللغة ١٨٣ ودروس فى علم أصوات العربية ٣٥ ، ١٢٣ .

(٤) انظر دراسات فى علم اللغة ٩٢ - ٩٣ والأصوات اللغوية ٨٩ ، ٩٠ ط ٦ .

(٥) الدكتور تمام حسان فى قوله : « ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدوا هذا الصوت مجهورا ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية مادامت الأوتار الصوتية مقفلة فى اثناء نطقه . مناهج البحث فى اللغة ١٢٥ .

(٦) دراسات فى علم اللغة ٩٢ ، ٩٣ ، وعلم اللغة العام « الأصوات » ١١٢ - ١١٥ وانظر مناهج البحث فى اللغة ١٢٥ .

وهذه مجرد اجتهادات واحتمالات لا تنتهى إلى حل حاسم فى سبب إجماع القدماء على وصفها بالجهر ؛ لأنهم كانوا يتذوقون الحروف وهى ساكنة لا متحركة ؛ ولأن بعض المحدثين يذهبون إلى أن همزة بين بين ليست سوى حركة ، وأن الهمزة أو الحبسة الحنجرية ليس لها إلا صورة واحدة ، فإذا تغير أداؤها حالت إلى صوت آخر (١) .

ونرى أن السر فى ذلك يرجع إلى العلاقة بين الهمزة ، والهمز ، والنبر ، من جهة ، وبين الهمزة وأصوات المد ، من جهة أخرى .

العلاقة بين الهمز والنبر

الهمز والنبر بمعنى واحد فى اللغة ، فالهمز : الضغط ، ومنه الهمز فى الكلام ؛ لأنه يضغط . والنبر : الهمز ، وهو ارتفاع الصوت ، ورجل نَبَّار : صياح ، والنَّبْرُ : صيحة الفزع ، ورجل نبار : فصيح الكلام ، ونبر الحرف ينبره نبرا : همزه (٢) .

إذن فالهمز والنبر فى اللنة متطابق مع تعريف المحدثين للنبر ، إذ يعنى فى اصطلاح التشكيل الصوتى : ضغط على صوت أو مقطع معين فى الكلمة بحيث يصبح أقوى تصويتا وأكثر وضوحا فى السمع (٣) .

وعلى هذا فإن النبر يعترى أى صوت أو مقطع يراد إشباعه ، وليس مقصورا على الهمزة ، فقد يقع النبر عليها فى نحو « أخذ » وقد لا يقع فى نحو « قرأ » .

(١) انظر الأصوات اللغوية ٩١ ط ٦ وأسس علم اللغة ١٥٠ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥ .

(٢) الصحاح واللسان « نبر - همز » والعين ١٧/٤ وتهذيب اللغة ٢١٤/١٥ .

(٣) التشكيل الصوتى فى اللغة العربية للعانى ١٣١ - ١٣٤ ودروس فى علم أصوات العربية ١٩٤ وأبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ١٥٧ ، ١٥٨ ، وأصوات اللغة ١٥٠ ، ١٥١ والأصوات اللغوية ١٦٩ ، ١٧٠ ط ٦ ومناهج البحث فى اللغة ١٩٤ .

فالهزّه صوت مستقل والهمز بمعنى النبر وظيفه .
وتظهر العلاقة بينهما فى التوتر الذى يحدث فى مخرجها من حبس وضغط وانفجار ،
ومن ثم أطلق القدماء عليها نبرة ؛ يقول سيبويه : « ولأنها نبرة تُخرج باجتهاد ،
وهى أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك ؛ لأنه كالتهوع » (١) .

وقد وردت على هذا المعنى فى قوله ﷺ « إنا معشر قريش لا نُنبر » (٢) أى :
لأنهمز ، وفى حكاية أبى زيد المشهورة : « أهل الحجاز ، وهذيل ، وأهل مكة والمدينة
لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم
أصحاب النبر ، وأهل الحجاز ، إذا اضطروا نبروا » (٣) أى : همزوا .

وسماها المحدثون « حبسة حنجرية » فهى صوت صامت ذو طبيعة
مخرجية متميزة ، وكثيرا ما يقع النبر عليها ، وحينئذ تصبح ذات وظيفة مزدوجة ،
من حيث الطبيعة الصوتية ، ووظيفة النبر بمعناه التشكيلى .

وقد لمس القدماء العلاقة بين الهمزة كوقفة حنجرية ، وبين النبر بمعنى
الضغط ، وعرفوا أنه يقتضى تمكينا خاصا من أعضاء النطق عند إخراج الصوت
المنبور أيا كان .

وأشكال النبر الثلاثة فى العربية - نبر التوتر « الهمز » ونبر الطول ، ونبر التضعيف
- تهدف كلها إلى إشباع الصوت وتمكينه وإظهاره من بين سائر أصوات الكلمة (٤) .

(١) الكتاب ٥٤٨/٣ .

(٢) النهاية ٧/٥ .

(٣) اللسان ٢٢/١ .

(٤) انظر دروس فى علم أصوات العربية ١٩٤ والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٣ - ٢٩ .

العلاقة بين الهمزة وأصوات المد

الحركات أقوى الأصوات إسماعا ، وكلها مجهورة ، وكذلك أنصاف الحركات ، وقد ثبتت علاقة قديمة بين الهمزة وهذه الأصوات ، وقد ذكرنا أنها كانت ومازالت مرتبطة بالألف في فروع السامية ، وأنها كانت تظهر في ثلاث صور تبعا للحركات الثلاثة « أ - ي - و » .

وقد ثبت أيضا وقوع تبادلات بين الهمزة وأنصاف الحركات في بعض لهجات العربية القديمة ، إذ ورد في أحد نقوش الصفوية صيغة « سائر » بالهمز اسما للفاعل من « سار » (١) .

واحتفظت العربية بصورتى التبادل بين الهمزة وأنصاف المد في نحو : إشاح ووشاح ، وإعاء ووعاء ، ويكلمم و ألممم ، وألمعى ويلمعى ، ويكندد وأندد ، وألنجوج ويكنجوج وبين الهمزة وأصوات المد في نحو راس ورأس ، وذيب وذئب ، ولوم ولؤم .

ء

وهذه التبادلات ، بالإضافة إلى أشكالها المطردة ، تدل على علاقة قوية بين الهمزة والحركات ، وأنصافها ، فعلى الرغم من تميز كل صوت منها بفونيم خاص ، فإنها تتبادل دون أدنى تأثير في المعنى .

وقد لاحظ الخليل هذه العلاقة ، فوضع الهمزة مع الألف والواو والياء في مجموعة واحدة « و - ا - ي - ء » (٢) وجعلها معتلات ، وفسر اعتلالها بتغيرها من حال إلى حال ، ودخول بعضها على بعض ، واستخلاف بعضها من بعض .

(١) في الأصوات اللغوية ٢٧٢ والعرب في سوريا ٨٨ .

(٢) انظر العين ٦٥/١ وتهذيب اللغة ٤٨/١ ، ٥٠ .

وَرَبَّطَ بين الهمزة والألف في أن الهمزة لاهجاء لها ، ولذا فهي تكتب مرة ألفا ، ومرة واوا ، ومرة ياء ، وأن الألف لا حركة لها ، وأنها إذا تحركت أبدلت همزة أو واوا أو ياء « فالهمزة التي في العصائب هي الألف التي في العصابة ، والواو التي في الكواهل هي التي في الكاهل ، جاءت خلفا منها ، والياء التي في السُّعليات خلف من الألف التي في السُّعلاة ... فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة ، والهمزة أقواها متنا ، ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين » (١) .

وقد أكدت القياسات الطيفية الحديثة لصوت الهمزة صحة ما ذهب إليه القدماء من علاقتها بأصوات المد ، فيقول العاني : « وفي الحقيقة إن الهمزة تبدو غير ثابتة ولا تشكل نمطا محددًا Definite Pattern (٢) إنها بهذا تشبه أصوات المد في كثرة تغيرها .

وإذا كانت تُرَدُّ إلى الحركات الطويلة في كثير من الأحيان ، فإن هذه تُرَدُّ إليها أيضا في نحو قولاً ، وقولياً ، وقولئاً . وحُبلاً ، وفي هذا يقول الخليل : « وأصلهن من عند الهمزة - يعنى الألف والواو والياء - ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن فإنما يهمزن في تلك اللغة ؛ لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة » (٣) وفي نحو دأبة ، وشأبة ، ومأدة ، وعليه قراءة « ولا الضائلين » (٤) و « ولاجان » (٥) . وغير هذا كثير .

(١) تهذيب اللغة ٥١/١ .

(٢) التشكيل الصوتي في اللغة العربية ٩٥ وانظر دروس في علم أصوات العربية ١٢١ - ١٣٦ ودراسة الصوت اللغوي ٢٩٧ وفي الأصوات العربية ٢٧٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٥١/١ وانظر الكتاب ١٧٦/٤ ، ١٧٧ ، والخصائص ١٤٧/١ ، ١٤٨ وسر الصناعة ٧٤/١ .

(٤) المحتسب ٤٦/١ .

(٥) السابق ٤٦/١ ، ٤٧ ومختصر شواذ القرآن ١٤٩ ، ١٥٠ .

ونلاحظ أن نبر الطول هنا قد تحول إلى نبر توتر ، وأن كلا منهما وسيلة تهدف إلى منح الصوت أو المقطع قدرة أكبر على التصويت مما يؤدي إلى بروزه ووضوحه السمعي .

ومن المؤكد أن القدماء ربطوا بين الهمزة باعتبارها وقفة حنجرية "Glottal Stop" وبين الهمز « النبر التوتري » وبين نبر الطول « الحركات الطويلة » من حيث الوضوح في السمع ، والمدة الزمنية التي تستغرقها ، فوصفوها لذلك بالجهر .

مناقشة الثقل والخفة بين الهمز والتسهيل

الهمز : وظيفة صوتية بحتة ، وإمكانية طبيعية من إمكانات جهاز النطق الوفيرة ، فهي ظاهرة طبيعية عامة في اللغات الإنسانية قديمها وحديثها ، ولا تستطيع مظاهر التطور في أية لغة أن تلغيها من نظامها الصوتي .

ولكل صوت طبيعته ومذاقه ووظيفته الخاصة ، والهمزة تؤدي دورها في النظام الصوتي المحدد لها ، كأى صوت آخر ، ويجري عليها من القوانين الصوتية ما يجري على نظائرها ، من مختلف مظاهر التفاعل الصوتي ، كالتماثل ، والإبدال ، والقلب ، والتخفيف ، والحذف ، وغيرها .

وكون الصوت ثقيلًا أو خفيفًا ، بسبب من طبيعة مخرجه ، أو من توفر صفات القوة أو الضعف فيه ، لا يقلل من أهميته ، ولا ينقص من دوره الأدائي ؛ فإن طبيعة النسيج اللغوي قائمة على أساس هذا التفاوت ، فلكل صوت منزلته في التركيب ، وإيقاعه المهم في الأداء .

ومن ثم ، فإنه لا ينبغي التعويل على طبيعة الصوت وحدها في تعليل حسن التركيب

أو قبحة ، ولامعنى لقول القائل (١) : « الهمزة على انفرادها حرف بعيد المخرج جلد صعب على الالفاظ به ، بخلاف سائر الحروف ، مع ما فيها من الجهر والقوة » ولقول الآخر (٢) : « الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق ، إذ كان أدخل الحروف فى الحلق ، فاستثقل النطق به ، إذ كان إخراجها كالتهوع ... » .

إنهم فى ذلك يتابعون سبويه فى قوله : « لأنه بعد مخرجها ؛ ولأنها نبرة فى الصدر تُخرج باجتهاد ، وهى أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك ؛ لأنه كالتهوع » (٣) .

وهذا وصف لطبيعة الصوت وهو منفرد ، ولا يقدر فيه أن يكون كذلك ، لأنه طبع على تلك الصفة ، وقد اختارته الفصحى فى التركيب ، وحافظت عليه كظاهرة مستحبة فى أرقى نموذج لها ، وهو القرآن الكريم .

إن ثقل الصوت لا يُستمد فقط من طبيعته المخرجية والوصفية ، وإلا لكانت الباء ، واللام ، والراء خفيفة فى نحو بية ، وألل ، وبررة ، وهى مستثقلة هنا ؛ لتتابعها ، على أنها من أخف الأصوات وهى منفردة ، وإنما يُستمد بالإضافة إلى ذلك . من خلال موقعه فى التركيب ، فصحة الحكم بالثقل أو الخفة مرهونة بعاملين : عامل ذاتى فى الحرف ، وعامل خارجى فى نسيج التركيب المحيط بهذا الحرف .

وينبغى إعادة النظر فى العلة التى يتكىء عليها - دائما - اللغويون والنحاة ومن تابعهم ، فى أن تسهيل الهمزة إنما هو التماس للخفة (٤) ، أو توفير للجهد ؛

(١) مكى فى الكشف ٧٢/١ .

(٢) ابن يعيش فى شرح المفصل ١٠٧/٩ وانظر قول الرضى فى شرح الشافية ٣١/٣ .

(٣) الكتاب ٥٤٨/٣ .

(٤) انظر الخصائص ٤٨/١ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٣ .

لأنه لو كان الأمر كذلك لخلت اللغة العربية في عصرنا الحاضر من الهمزات ، ومن كل ما يستثقل ، ولذا فقد رفض بعض العلماء (١) التسليم بهذه العلة ، وعدّها من العلل الشوانى ، ويقول ماريوباي (٢) : « ولاتتفق نظرية الاقتصاد في الجهد ، أو ميل المتحدثين باللغة إلى اتباع أسهل الطرق في الحديث ، مع الحقائق المعروفة ؛ فلو صحت هذه النظرية لكانت كل اللغات الحديثة أسهل في نطقها من اللغات التي تفرعت عنها ، إنها تخضع لعوامل أخرى أكثر تعقيدا بكثير من مجرد رغبة المتحدثين بها إلى بذل مجهود أقل » .

وقد ذهب كثير من المتحدثين إلى أن السهولة والعسر أمر نسبي ، وأن المسألة ليست مسألة خفة أو ثقل ، وإنما تنفرد كل لغة بطريقة خاصة في أنماطها الصوتية ، وأن البعض الذي سمح به لم يسمح به لآخر ، ولم يحرمه البعض الذي حرمه لثقله ، بل الأمر أمر الاختيار العرفي الاعتباري فحسب (٣) .

ونُطِقَ الهمزة محققة لغة أكثر العرب من القبائل النجدية التي تغلب عليها صفة البداوة ، ومنهم : تميم ، وقيس ، وأسد وعقيل ، وتيمم الرباب ، وغنى ، وعكل (٤) .

(١) ابن مضاء في الرد على النحاة ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) في لغات البشر ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) انظر اللغة والتطور ٣٢ ، ٣٣ واللغة بين المعيارية والوصفية ٤٧ - ٤٩ .

(٤) الكتاب ٥٤٢/٣ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ وجمهرة اللغة ١١٠٨ وتهذيب اللغة ٦٩٢/١٥ والمخصص ٥٤٠/٥ وشرح الشافية ٣١/٣ وشرح شواهد ٣٣٦/٤ والبحر المحيط ٢٣٦/٣ ، ٣٩٧ ، ٨٥/٦ ، ٢١١/٧ والمزهر ٢٧٦/٢ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ ومقدمتان في علوم القرآن ٢٨٢ واللسان ٢٢/١ واللهجات العربية في التراث ٣١٧/١ - ٣٤٥ .

والتحقيق هو الأصل كما قرر كثير من العلماء ، والتخفيف تفريع عليه (١) ، وهو لغة أهل الحجاز ، ومنهم : قریش ، وهذيل وأهل المدينة والأنصار ، وكنانة ، وسعد ابن بكر (٢) ، وهؤلاء أهل حضارة .

التفسير الصوتي للهمز والتسهيل

لقد مالت لهجات القبائل البدوية إلى النبر ، وكان خاصة صوتية طبيعية ، ويبدو أنها كانت صفة مستحسنة في نطق البدوى ؛ إذ كان يهتم بإبراز مواطن النبر ، بل كان يبالغ في ذلك ، فيهمز غير المهموز كالعالم ، والخاتم ، والمؤقد ، مؤسى ، وبأز ، وحلات ، ورثأت ، ولبأ إلخ (٣) .

وقد يذهب في المبالغة إلى أكثر من ذلك ، فيقلب الهمزة عينا ، كقولهم فى أن : عن ، وفى أسلم : عَسَلْم وفى إِذْن : عِذْن ، وفى كَأَص : كَعَص ، بمعنى أكل ، وفى خُبَاة : خُبَعَة ، وفى خِباؤنا : خِباَعْنَا إلخ (٤) .

(١) قال الرضى : « والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف ، والتخفيف استحسان » شرح الشافية ٣٢/٣ وانظر فقه اللغات السامية ٤١ .

(٢) المراجع السابقة فى تعليق (٤) من الصفحة السابقة .

(٣) روى أن العجاج كان يهمز العالم والخاتم ، وهو فى قوله * فَخِنْدِفُ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمُ * وحكى اللحيانى قولهم : بأز فى باز . سر الصناعة ٩٠/١ وشرح المفصل ١٣/١٠ ، وقال الفراء : وربما غلظت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز ، سمعت امرأة من طيى تقول : رثأت زوجى بأبيات ، ويقولون : لبأت بالحج ، وحلات السويق فيغلطون . معانى القرآن ٤٥٩/١ ، ٢١٦/٢ .

(٤) ابن دريد : كَعَصْنَا عند فلان ماشتنا ، وكأصنا ، أى : أكلنا ، قال أبو حاتم : هى همزة قلبت عينا ؛ لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عينا ، وذلك قولهم : عَنَّى فى معنى أنى وتقول بنو تميم : هذه خِباَعْنَا ، يريدون : خِباؤنا ، ويقولون : جارية خُبَعَة طُلَعَة ، أى : تختبئ مرة وتطلع أخرى . جمهرة اللغة ٢٩٢ ، ٨٨٦ تح بعلبكي . وانظر تهذيب اللغة ١١١/١ ، ١١٢ ، ٣/٣ (أنف) ونوادر أبى زيد ٢٨ ، ٢٩ ، والصاحبى ٢٤ والمزهر ٢٢١/١ ، ٢٢٢ .

وعلى العكس من ذلك مالت اللهجات الحضرية إلى التخلص من الهمز بطرق مختلفة منها التسهيل ، والحذف ، والإبدال .

وفى اختلاف هذه الطرق - وهى مبسطة فى مصنفات النحو والصرف والقراءات - مايدل على أنه أخذ طريقا منطقيا ، وليس اعتباطيا ، ومما يؤكد هذا أنهم كانوا يحققون الهمزة فى بعض المواطن ، قال سيبويه : « وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة ... » (١) . ورؤى أنهم يقولون : ذأى البقلُ يذأى ، بتحقيق الهمز (٢) .

وقد بينت القوانين الصوتية أنه فى حالة وقوع الصامت - وبخاصة الشديد أو الانفجارى - بين صوتى مد ، فإنه غالبا مايبضعف ، أو ينحرف عن مخرجه ، أو يتحول إلى صوت آخر ، وهذا مايعرف بقانون الموقعية بين علتين intervocalic Position . (٣) وفى قياسات العانى (٤) على جهاز «الاسبيكتروجراف» أنه عندما تكون الهمزة متوسطة عدا كونها بين حركتين ، فإنها تظهر فجوة سكون يتراوح مداها بين ٨٠ - ١٠٠ م - ث ويشمل هذا المدى الفرقعة التى يبلغ طولها ١٥ م - ث ، ولاتظهر الهمزة التى بين حركتين فجوة ، بل تظهر انزلاقا شبيها بالحركة ، ويظهر الانزلاق فى صور «الاسبيكتروجراف» على هيئة رباط يصل معالم الحركات الثلاث ببعضها ، ويكون متقدما عليها وتاليا لها .

(١) الكتاب ٥٥٥/٣ ، وروى أبو عبيدة مثل ذلك عن يونس ، وأضاف « الذرية » وأضاف ابن سيده « الخابية » وانظر إصلاح المنطق ١٥٩ والمخصص ٨/١٤ ، ١٧ / ١٥٣ والنهاية ١٢٠/٤ واللهجات العربية فى التراث ١ / ٣٣٨ - ٣٤١ .

(٢) المزهر ١ / ٢١٥ ، ٤٦٣ والأمالى للقالى ١٦٦/٢ ، ١٦٧ واللهجات العربية فى التراث ١ / ٣٤١ .

(٣) أسس علم اللغة ١٤٣ وانظر علم اللغة د/ وافي ٣٠٦ ، ٣٠٧ واللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٢ وفى الأصوات اللغوية ٥٣ ، ١٨٠ .

(٤) التشكيل الصوتى ٩٧ .

وفي هذا دليل على صحة ما ذهب إليه الخليل ، وسيبويه ، والقدماء بعامية (١) من أن همزة بَيْنَ بَيْنَ حركة ، وليست لنا خالصة . وفيه أيضا أن هذا التغير الذي يطرأ على صوت الهمزة ليؤكد عمل أجهزة النطق بصورة طبيعية على إحداث حركة توازن صوتي ، فالهمزة صوت صامت وقفي والحركات صوائت استمرارية ، فهما متناقضان ، ومن ثم تضعف الهمزة بين الحركتين لتم عملية التوازن الصوتي ، وأضعف ما يكون الصوت إذا كان وسطا بين حركتين (٢) .

وقد سبق في بيان العلاقة بين الهمزة وأصوات المد : أن الهمزة تحل محل الحركة قصيرة أو طويلة في لغة بعض العرب ، سواء في أول الكلمة ، نحو : إشاح في وشاح ، وأَقَّتَتْ في وَقَّتَتْ ، وإِعاء في وَعَاء إلخ أو في حشوها ، نحو : جَانَّ في جانَّ ، وعالَم في عالم ، وبأز في باز ، ومؤسى في موسى إلخ . أو في آخرها ، نحو : حُبلاً ، وقولاً وقولِيءٌ ، وقولُؤ في قولاً ، وقولِي ، وقولوا ، وقد وردت القراءات بالوجهين ، فقريء « مِنْ إِعاءِ أَخِيهِ » (٣) و « أَجُوهُهُم مُسَوِّدَةٌ » (٤) و « وَلَا جَانُّ » (٥) و « عَلَى سُوْقِهِ » (٦) و « اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ » (٧) و « كَوَكَّبُ دَرِيءٌ » (٨) .

(١) انظر الكتاب ٥٤١/٣ - ٥٤٣ وسر الصناعة ٤٨/١ ، ٤٩ والحجة للفارسي ٢٨٥/١ - ٢٩٠ وانظر دروس في علم أصوات العربية ١٢٤ .

(٢) انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٢ وفي الأصوات اللغوية ١٨٠ .

(٣) سورة يوسف آية ٧٦ وانظر مختصر الشواذ ٦٥ والمحتسب ٨٤٨/١ والبحر المحيط ٣٣٢/٥ .

(٤) سورة الزمر آية ٦٠ وانظر مختصر الشواذ ١٣١ والبحر المحيط ٤٣٧/٧ .

(٥) سورة الرحمن آية ٣٩ وانظر مختصر الشواذ ١٤٩ ، ١٥٠ والمحتسب ٤٦/١ ، ٤٧ ، ٣٠٥/٢ .

(٦) سورة الفتح آية ٢٩ وانظر البحر المحيط ١٠٣/٨ .

(٧) سورة البقرة آية ١٦ انظر مختصر الشواذ ٢ والمحتسب ٥٥/١ .

(٨) سورة النور آية ٣٥ انظر مختصر الشواذ ١٠٢ والمحتسب ١٥٦/١ .

ونلاحظ في هذا ونحوه : أن الهمزة تناوبت مع نصف المد الواقع في أول الكلمة من نحو « وعاء » و « وشاح » وهو ظاهرة سامية قديمة (١) ، بقيت آثارها في العربية ، فاحتفظ بعض العرب بنصف المد ، وأثر بعضهم إبداله بصوت صامت قريب منه ، وهو الهمزة ، وقد مالت إلى هذا القبائل البدوية ، وبعض القبائل الحضرية كهذيل (٢) .

كما نلاحظ أيضا أن إشار طائفة من العرب الهمز وطائفة أخرى التسهيل خاضع أولا إلى قانون الوقوع بين علتين intervocalic Position السابق ، وقد وضع أثره في إضعاف الهمزة في نطق الحجازيين ، وهم أهل التسهيل ، ولكنه لم يكن ذا فاعلية في نطق التميميين ومن جاورهم من القبائل النجدية ، ولعل هذا من أثر اعتزازهم بصفة النبر المستحسنة لديهم .

وأنه خاضع - ثانيا - إلى اختلاف طبيعة الإيقاع الصوتي ، فبينما تجنح القبائل الحجازية إلى تأليف مقطعي متتابع الحركات تبدو فيه استمرارية انطلاق الهواء بالصوت ، ووضوحه ، واتساع مداه ، تميل القبائل البدوية إلى المقاطع المغلقة فرارا من تتابع الحركات ، وكلتا الحالتين سائغة الأداء في العربية ؛ ومقصدهما واحد ، وهو : تحقيق صوت أو مقطع من بين أصوات أو مقاطع الكلمة ، غير أن الوسيلة مختلفة ، فطبيعة البدوي تؤثر نبر التوتر ، وطبيعة الحضري تؤثر نبر الطول ، والهمز في حالات وقوع النبر عليها - وهي غالبية - تؤدي تلك الغاية بالإضافة إلي ما يصاحبها من حبس وتوتر في الحنجرة وانفجار .

(١) فقد اللغات السامية ٥٢ وفي الأصوات اللغوية ٢٤ ، ١٨٢ .

(٢) انظر جمهرة اللغة ٥٤٠ وديوان الهذليين ٨٣/٢ ، ٤٩/٣ واللهاجات العربية في التراث ٣٤٣/١ .

قراءة النبي ﷺ : « وَجِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ »

لم يحسم الرواة ضبط هذه القراءة فيما روى عن النبي ﷺ على أنه في « جبريل »
خمس عشرة قراءة ، وفي « ميكال » تسع قراءات (١) .

ورواية حفص عن عاصم ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ (٢) وهي القراءة المشهورة .

ورواية أبي داود بسنده إلى أبي سعيد الخدري أن قراءة النبي ﷺ « جبرائيل
وميكائيل » هكذا غير مشكولة ، وقد ذكر أبو داود بعد هذا قول خلف : « منذ
أربعين سنة لم أرفع القلم عن كتابة الحروف ما أعينى شياً ما أعينى جبرائيل
وميكائيل » (٣) ، و « جبرائيل » بزنة جبراعيل : قراءة الحسن بن علي رضي الله
عنهما ، وعكرمة ، ونافع ، وفياض بن غزوان (٤) .

و « ميكائيل » بزنة ميكايل : قراءة نافع ، وأبي جعفر ، وقنبل من طريق ابن
شبوذ (٥) ، وفي رواية - ذكرها الفارسي ب نده إلى شبل بن عباد - عن ابن كثير (٦)
ونسبها بعضهم إلى قراء أهل المدينة بعامية (٧) .

(١) انظر زاد المسير ١١٧/١ - ١١٩ والبحر المحيط ٣١٧/١ ، ٣١٨ والدر المصون ١٩/٢ ، ٢٠ والقراءات
القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٢) المبسوط ١٣٣ والكشف ٢٥٤/١ ، ٢٥٥ والتيسير ٧٥ وإرشاد المبتدى ٢٢٩ ، ٢٣٠ والنشر ٢١٩/٢

(٣) سنن أبي داود ٣٦/٤ ، ٣٧ ح ٣٩٩٨ ، ٣٩٩٩ والتيسير ٧٥ .

(٤) المختصر في شواذ القرآن ٨ وحجة الفارسي ١٦٣/٢ والكشف ٢٥٥/١ والدر المصون ٢٠/٢ والإقناع
٦٠١/٢ .

(٥) الحجة للفارسي ١٦٣/٢ والكشف ٢٥٥/١ والمبسوط ١٣٣ وحجة أبي زرعة ١٠٨ والتيسير ٧٥
والإقناع ٦٠١/٢ وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ .

(٦) حجة الفارسي ١٦٣/٢ .

(٧) إرشاد المبتدى ٢٢٩ وانظر جامع البيان ٤٣٦/١ ، ٤٣٧ .

وهذه القراءات متطابقة مع رواية أبي داود ، والأعمش ، وقد بينت تقييدها ،
 ودلت نسبتها إلي قرائها على أنها - في الغالب - مدنية ، مما يؤكد صحة نسبتها إلي
 النبي ﷺ ، وعليه فيكون النبي ﷺ والمدنيون قد قرأوا بالهمز في « جبريل » و
 « ميكال » كما قرأ به في « جبريل » فياض بن غزوان الكوفي ، وفي « ميكال »
 ابن كثير المكي .

وثمة رواية أخرى ذكرها الزجاج تدل على أن النبي ﷺ قرأ « جبرئيل » و
 « ميكائيل » قال : « أجود اللغات « جبرئيل » بفتح الجيم ، والهمز ؛ لأن الذي
 يروى عن النبي ﷺ في صاحب الصور : « جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره »
 هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث ، ويقال جبريل بفتح الجيم وكسرهما » (١) .

ولا يسعنا إلا التسليم بهذه الرواية أيضا ، فقد نص الزجاج (٢) على أن أكثر ما يرويه
 من القراءة في كتابه عن أبي عبيد ، من طريق إسماعيل بن إسحاق عن أبي عبد
 الرحمن عن أبي عبيد ؛ ولاحتمال تعدد وجوه هذه القراءة عن النبي ﷺ . وهي أيضا
 مهموزة قراءة حمزة ، وخلف ، والكسائي ، وأبي بكر في رواية العليمي ، وعاصم
 برواية أبان ، والأعمش (٣) وجعلها بعضهم عامة في قراءة أهل الكوفة (٤) .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٩/١ .

(٢) السابق ١٨٠/١ ، ١٨١ .

(٣) السبعة ١٦٦ ، ١٦٧ وحجة الفارسي ١٦٤/٢ والتيسير ٧٥ والمبسوط ١٣٣ ، ١٣٤ والكشف
 ٢٥٤/١ ، ٢٥٥ والنشر ٢١٩/٢ والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٩/٢ ، ٢٠ وإتحاف فضلاء
 البشر ١٤٤ .

(٤) جامع البيان ٤٣٦/١ وإعراب القرآن للنحاس ٢٥٠/١ .

وذكر الرواة عن ابن كثير قراءة أخرى قال فيها « رأيت النبي ﷺ في المنام ، وهو يقرأ : « جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ » فلا أقرؤهما أبدا إلا هكذا » كذا ذكرها الفارسي (١) ، ونقلها السمين الحلبي « وجبريل وميكائيل » (٢) وهي الصحيحة .

وقد أجمع الرواة على نسبة هذه القراءة لابن كثير ، وهي أيضا قراءة الحسن البصري ، وابن محيصة (٣) . ونقلوا أن الفراء قال : لأحبها ؛ لأنه ليس في الكلام « فَعْلِيل » بفتح الفاء . وردُّ بهذه القراءة ، وبأن فيه « سَمُوِيل » وهو في قول الربيع بن زياد ، أو الربيع الكامل أحد أخوال لبيد بن ربيعة :

بحيث لو وُزِنَتْ لَخُمُّ بِأَجْمَعِهَا لَمْ يَعدِلُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمُوِيلًا (٤)

وعلي ذلك نكون بصدد ثلاث قراءات - غير القراءة المشهورة - فيما نسبت قراءته إلى النبي ﷺ خاصة :

الأولى : « وجبرائيل وميكائيل » على زنة جبراعل وميكاعل .

والثانية : « وجبرئيل وميكائيل » على زنة جبرعيل وميكاعيل .

والثالثة : « وجبريل وميكائيل » وتروى « وجبريل وميكال » .

والمشهوره : « وجبريل وميكال »

(١) في الحجة ١٦٣/٢ ونسب إليه أيضا قراءة « ميكائيل » و « ميكائيل » .

(٢) في الدر المصون ١٩/٢ ، ويوافقه رواية ابن مهران في المبسوط ١٣٣ .

(٣) جامع البيان ٤٣٦/١ والكشف ٢٥٤/١ وإعراب النحاس ٢٥٠/١ وزاد المسير ١١٧/١ والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٩/٢ والإتحاف ١٤٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٣٦/١ وإعراب النحاس ٢٥٠/١ والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٩/٢ واللسان (سمل) وسمويل اسم طائر .

ويلاحظ أن الأولى والثانية بالهمز ، وأن « جبريل » في الثالثة بغير همز ، و « ميكائيل » فيها بالهمز ، وقد يكون بغير همز ، كما في رواية الفارسي ، وأن القراءة المشهورة من غير همز في الاثنين .

مصدرها اللهجي

نسبت القراءة المشهورة « جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ » من غير همز بالإجماع إلى لغة أهل الحجاز (١) ، وهم أصحاب التسهيل . ونسبت القراءة الثانية : « جَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ » بالهمز إلى لغة تميم ، وقيس ، وأكثر أهل نجد ، وهم أصحاب التحقيق .

قال الطبري « وأما جبريل فإن للعرب فيه لغات ، فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون : جبريل وميكال بغير همز ، بكسر الجيم والراء من جبريل ، وبالتخفيف ، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، أما تميم وقيس وبعض نجد ، فيقولون : جَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ على مثل جبرعيل وميكاعيل ، بفتح الجيم والراء ، وبهمز ، وزيادة ياء بعد الهمزة ، وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة ، كما قال جرير بن عطية :

عَبَدُوا الصُّلَيْبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ
وَجَبْرَيْلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالاً (٢)

ولم تنسب القراءة الأولى ، ولا الثالثة ، ولعل هذه لتركبها من اللغتين ، لغة التسهيل في « جبريل » ولغة التحقيق « ميكائيل » .

(١) وانظر إعراب القرآن للنحاس ٢٥٠/١ ، ٢٥١ ، وتفسير الطبري ٤٣٦/١ ، ٤٣٧ ، والبحر المحيط ٣١٨/١ والدر المصون ١٨/٢ ، ١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٤٤ .

(٢) جامع البيان ٤٣٦/١ والحجة للفارسي ١٦٧/٢ وديوان جرير ٤٥٠ .

وقراءة النبي ﷺ « جِبْرَائِلَ وَمِيكَائِيلَ » بالهمز ، وكذلك قراءة الحسن بن علي ،
وعكرمة ، ونافع ، وهم قرشيون ، ومدنيون ، يجعلنا في شك من قول القائل : « إننا
نستطيع أن نرجع جميع صور التخفيف ، أو الحذف مع التعويض أو بدونه إلى أهل
الحجاز إجمالاً ، وبقية الصور المحققة إلى تميم وقيس » (١) .

كما أن قراءة الحسن وهو بصرى - « جَبْرِيْلَ » بغير همز ، وقراءة ابن كثير (٢) ، وابن
محيصن - وهما مكيان « مِيكَائِيلَ » و « مِيكَائِيلَ » تزعزان هذا الحكم .

وقد احتج أصحاب تعليل القراءات لتعدد الوجوه في « جِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيلَ » بأنهما
علمان أعجميان ، وأن العرب إذا أعربت اسماً من غير لغتها ، أو بنته اتسعت في
لفظه ؛ لجهل الاشتقاق فيه (٣) « من حيث كان الأعجمي يُتَلَعَّبُ فيه بالحروف
تَلَعُّباً » (٤) وعن الكسائي : « أنها أسماء أعجمية لم تكن العرب تعرفها ، فلما
جاءتها أعربت فلفظت بها بألفاظ مختلفة » (٥) .

وقد ورد استعمال العرب لهذين العلمين على وجوه مختلفة في بيئات متباينة ، فقد
ورد في شعر حسان (٦) :

وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وَجِبْرِيْلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا

(١) د/عبد الصبور شاهين في القراءات القرآنية في أضواء علم اللغات الحديثة ٣٩٣ .

(٢) انظر حجة الفارسي ٦٣/٢ .

(٣) الحجة في القراءات السبع لابن خالوية ٨٦ والمحتسب ٩٧/١ ، ٩٨ ، والخصائص ٢١/٢ وإعراب النحاس

٢٥٠/١ ، ٢٥١ ، وانظر الحجة للفارسي ١٦٤/٢ - ١٦٨ .

(٤) المحتسب ٦٨/١ .

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة ١٠٨ .

(٦) ديوانه ٧٥ وحجة الفارسي ١٦٨/٢ وحجة أبي زرعة ١٠٧ والبحر المحيط ٣١٨/١ .

وفى شعر كعب بن مالك (١) :

شَهْدَنَا فَمَا تُلْقَى لَنَا مِنْ كَتِيبَةٍ
يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا جَبْرَيْلُ أَمَامُهَا

وفى شعره أيضا (٢) :

وَيَوْمَ بَدَّرَ لَقِينَاهُمْ لَنَا مَدَدٌ
فِيهِ لَدَى النَّصْرِ مِيكَالٌ

وسبق فى شعر جرير « جَبْرَيْلُ »

وهكذا يرد فى شعر حسان أو كعب بن مالك « جَبْرَيْلُ - جَبْرَيْلُ - مِيكَالُ » وهما مدنيان ، وإن ورد فى شعر جرير ، وهو تيمى « جَبْرَيْلُ » إلا أن للشعر ضرورات ، ولو اضطر واحد منهم إلى وضع أحد الاسمين موضع الآخر لفعل . ولذا لا يجوز أن نأخذ بقول من قال (٣) : قرىء كذا ؛ لقول الشاعر كذا .

وليس من المقبول أيضا احتجاج بعضهم (٤) بأن « من كسر الجيم أتى به على مثال كلام العرب ومن فتح أتى به على خلاف كلام العرب ؛ ليعلم أنه ليس من كلام العرب ، وأنه أعجمى ، وكذلك فعل من همز ، ومن أثبت ياء بعد الهمزة أتى به على

(١) نسب هذا أيضا إلى حسان ، وهو فى ديوانه ٣٩٦ وكذا نسبه إليه أبو حيان فى البحر المحيط ٣١٨/١ وتابعه السمين فى الدر المصون ١٩/٢ ونسب فى الخزانة ١٩٩/١ ، ٣٧٤ إلى كعب بن مالك ، وكذا فى إعراب القرآن المنسوب خطأ للزجاج ٤٥٠/٢ وهو فى اللسان ، والتاج (جبر) لكعب .

(٢) السيرة لابن هشام ١٤٧/١ وحجة الفارسي ١٦٨/٢ . ونسب إلى حسان فى اللسان (مكا) وهو فى ديوانه ٣٩٤ .

(٣) أبو زرعة فى حجة القراءات ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) مكى فى الكشف ٢٥٥/١ .

خلاف كلام العرب ؛ ليعلم أنه أعجمى ، ليس من أبنية كلام العرب » وكذلك ذكر في ميكال ؛ لأن القراءة في المقام الأول رواية وتلق وسنة متبعة ، والأعلام الأعجمية ليست في حاجة إلى هذا التمييز لشهرتها ، والتوقف على هذا يدخل القراءات كلها في باب الصنعة .

والأوفق هنا : الاحتجاج بقراءات النبي ﷺ ولله در الزجاج حين قال : « فأجود اللغات » جبرئيل « لأن الذي يروى عن النبي ﷺ » جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره « وحين قال في بيت كعب : « وهذا البيت على لفظ مافى الحديث ، وما عليه كثير من القراء » (١) .

والنبي ﷺ يقرئ الناس على حروف مختلفة تألفا لهم ، وتيسيراً عليهم ، وهذه خاصة له وحده ، ومن ثم لا يخضع اختياره ﷺ لتعليل ، وهو أفصح العرب قاطبة ، وأعلم الخلق بما أنزل عليه ، ثم الأمر بعد ذلك في تحقيق الهمز أو تسهيله على ما بيناه سابقا .

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٧٩/١ ، ١٨٠ .

قراءة النبي ﷺ ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾

وهذه هي القراءة المشهورة ، وقرأ بها : ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو الأسود ، وابن أبي إسحاق وأبو عمرو ، وعيسى البصرة ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم ، ويعقوب ، وخلف ، والحسن ، وابن محيصن (١) وأطلق بعضهم أهل العراق (٢) ، وبعضهم الكوفيين والبصريين (٣) ، وأكثرهم يستثنى أصحاب القراءات المختلفة ثم يقول : وقرأ الباكون (٤) .

ومعنى ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ هلم لك ، وادن وتقرب وتعال ، تدعوه إلى نفسها (٥) ، وأنشد أبو عمرو على هذا المعنى قول بعض أهل العراق يدعو علياً رضي الله عنه :

أبلغ أمير المؤمنين

نَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا

أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ

عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا (٦)

ع

(١) انظر البحر المحيط ٢٩٤/٥ والمبسوط ٢٤٥ والسبعة ٣٤٧ والتيسير ١٢٨ والكشف ٨/٢ والعنوان ١١٠ وإرشاد المبتدى ٣٨٠ ، والنشر ٢٩٣/٢ وحجة أبي زرعة ٣٥٧ وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

(٢) إرشاد المبتدى ٣٨٠ وحجة أبي زرعة ٣٥٧ .

(٣) البحر المحيط ٢٩٤/٥ وجامع البيان ١٧٩/١٢ .

(٤) المراجع السابقة .

(٥) انظر مجاز القرآن ٣٠٥/١ وجامع البيان ١٧٩/١٢ ، ١٨٠ .

(٦) السابقان ، والعين ٨١/٤ وجمهرة اللغة ٢٥١ ، ٤١٣ تح بعلبكي ، ومعاني الفراء ٤٠/٢ ومعاني الزجاج ١٠٠/٣ والمحتسب ٣٣٧/١ والخصائص ٢٧٩/١ والمخصص ٤٨/١٧ والصحاح ، واللسان ، والتاج « هيت » وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

وقد استجادهما الزجاج (١) ، قال : « وأجودها وأكثرها « هَيْتَ » فهو أكثر كلام العرب » وأنشد البيتين السابقين . وكلام أبي عمرو ، والفراء ، والزجاج يشير إلى أنها عربية ، ولكن نقل عن ابن عباس أنها بالخورانية ، وعن السدي أنها بالقبطية ، وعن الحسن أنها بالسريانية (٢) ، وعنه أيضا أنها بالعبرية « هَيْتَلَخ » أو « تَابَحْ » (٣) ، وذكر أبو عبيدة أن الكسائي كان يحكيها ، ويقول : هي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، ومعناها : تعال . وعن أبي عبيد : سألت شيخا عالما من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها (٤) .

وروى عن مجاهد أنها عربية ، وعن ابن الأنباري : قيل إنها من كلام قريش ، إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخرا ، فأتى الله به ؛ لأن أصله من كلامهم (٥) . وقد رجح الدكتور السيد يعقوب بكر هذا (٦) بناء على الشعر المذكور ، والاشتقاق في قولهم : « هَيْتَ بِالرَّجُلِ وَهَوْتُ بِهِ : صَاح » .

وقرئت على أوجه منها : « هَيْتُ لَكَ » ، و « هَيْتَ لَكَ » بكسر الهاء وهمزة ساكنة ، وضم التاء وفتحها ، وهاتان من الهيئة ، أي : تهيأت لك ، على ضم التاء ، من

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠٠/٣ .

(٢) معاني الفراء ٤٠/٢ وانظر جامع البيان ١٧٩/١٢ ، ١٨٠ وزاد المسير ٢٠٢/٤ ، ٢٠٣ والبحر المحيط

٢٩٣/٥ والدر المصون ٤٦٣/٦ والاتقان ٣٨/١ والمهذب ٢٢٦ ودراسات مقارنة في المعجم العربي

١٤٢ ونصوص في فقه اللغة العربية ٣٢/٢ ومن تراث لغوى مفقود ١٣٥ .

(٣) المختصر في شواذ القراءة ٦٣ .

(٤) جامع البيان ١٨٠/١٢ وانظر معاني الفراء ٤٠/٢ وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

(٥) انظر الدر المصون ٤٦٣/٦ وزاد المسير ٢٠٢/٤ ، ٢٠٣ .

(٦) انظر نصوص في فقه اللغة العربية ٣٢/٢ .

قولهم : هَيْتُ لِلأمر أهْيِيءُ هَيْئَةً^(١) ، وهى قراءةٌ لعلّى ، وابن عباس ، وأبى الدرداء
والسلمى ، وعكرمة ، وقتادة ، ومجاهد ، وطلحة وأبى وائل وأبى رجاء ، ويحيى
وفى رواية عن هشام ، وفى رواية عن أبى عمرو ، وفى رواية عن ابن عامر^(٢) .
وهذه أنكرها الكسائى ، وأبو عمرو ، ذكره أبو عبيدة ، والطبرى^(٣) ، غير أن
القراءة ثابتة .

وعلى فتح التاء مع كسر الهاء ، وبالهمز : تكون بمعنى تَهَيَّأُ أمرُك لى أو حَسُنْتَ
هَيَّأْتُكَ . وهذه القراءات مشهورة عن هشام^(٤) وقد حمل عليه جماعة فخطأه
الفارسى ، ومكى ، وتابعهما جماعة ، وردَّ عليهم بأن الرواية ثابتة عن هشام ،
وأنها أيضا رواية الوليد بن مسلم عن ابن عامر ، وأن المعنى : تَهَيَّأُ أمرُك لى ؛ لأنها
ما كانت تقدر على الخلوة به فى كل وقت أو : حسنت هَيَّأْتُكَ ، و « لك » على
الوجهين : بيان ، أى : لك أقول^(٥) .

ويتصل بتلك القراءات :

قراءة « هَيْتُ لَكَ » : بفتح الهاء ، وضم التاء ، وهى مشهورة عن ابن كثير ، وأهل
مكة^(٦) .

(١) انظر معانى الزجاج ١٠٠/١ ومعانى الفراء ٤٠/٢ وجامع البيان ١٨٠/١٢ ، ١٨١ والكشاف
٣١٠/٢ .

(٢) السابقة ، والمحتسب ٣٣٧/١ وشواذ الكرماني ١١٧ وابن خالويه ٦٣ والنشر ٢٩٤/٢ والبحر المحيط
٢٩٤/٥ .

(٣) مجاز القرآن ٣٠٥/١ ، ٣٠٦ وجامع البيان ١٨١/١٢ .

(٤) التيسير ١٢٨ وحجة الفارسي ٤١٥/٤ والكشف ٨/٢ والسبعة ٣٤٧ والنشر ٢٩٤/٢ والعنوان ١١٠
والإقناع ٦٧٠/٢ والبحر المحيط ٢٩٤/٥ وزاد المسير ٢٠١/٤ والدر المصون ٤٦٤/٦ .

(٥) ذكره فى الدر المصون ٤٦٤/٦ ، ٤٦٥ والنشر ٢٩٤/٢ .

(٦) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/١ والحجة للفارسي ٤١٩/٤ والتيسير ٢٨ والمبسوط ٢٤٥
والكشف ٨/٢ وإرشاد المبتدى ٣٨٠ والعنوان ١١٠ والإقناع ٦٧٠/٢ وحجة أبى زرعة ٣٥٨ والبحر
المحيط ٢٩٤/٥ وزاد المسير ٢٠١/٤ والدر المصون ٤٦٣/٦ .

وقراءة « هَيْتَ لَكَ » : بكسر الهاء ، وفتح التاء ، وهى قراءة أهل المدينة ، (١) ورويت عن على رضى الله عنه (٢) .

وقراءة « هَيْتَ لَكَ » بفتح الهاء وكسر التاء ، ونسبت لابن عباس ، وابن محيصة ، وابن أبى إسحاق ، وأبى الأسود ، وعيسى الثقفى ، وأبى رزىن ، وحميد (٣) .

فالقراءات « هَيْتَ لَكَ » و « هَيْتُ لَكَ » و « هَيْتَ لَكَ » و « هَيْتَ لَكَ » كلها بمعنى واحد ، وهو : هلم لك ، أى : تعال وادنه وتقرب ، فهيت : اسم فعل ، كصه ، ومه ، وأصل التاء السكون ، ولكنها حركت بالفتح والكسر ، والضم ؛ لأن قبلها نصف مد ساكن ، فمن حركها بالفتح جنح إلى الخفة ، ومن حركها بالضم فقد شبهها بقبل وبعد حين يقطعان عن الإضافة ، ومن حركها بالكسر جاء به على الأصل فى التقاء الساكنين ، ولم يبال بتتابع نصف المد « الياء الساكنة ، وحركة الكسرة » (٤) .

وقد نقل الرواة أنها لغات (٥) ، وأنشد أبو عمرو على « هَيْتَ لَكَ » الشاهد

(١) قرأ بها أبو جعفر ، ونافع ، والأعرج ، وشيبه ، وابن عامر ، وابن ذكوان انظر المبسوط ٢٤٥ والكشف ٨/٢ وحجة الفارسي ٤١٨/٤ وحجة أبى زرعة ٣٥٨ وزاد المسير ٢٠١/٤ وإرشاد المبتدى ٣٨٠ والبحر المحيط ٢٩٤/٥ ، الدر المصون ٤٦٣/٦ .

(٢) زاد المسير ٢٠١/٤ .

(٣) المحتسب ٣٣٧/١ ومختصر شواذ القرآن ٦٣ وشواذ القراءة ١١٧ وزاد المسير ٢٠٢/٤ .

(٤) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٠/٣ والحجة للفارسي ٤١٩/٤ والمحتسب ٣٣٧/١ وشرح المفصل ٣٢/٤ .

(٥) الأزهرى : قال الأخفش : « هَيْتَ لَكَ » مفتوحة معناها : هلم لك ، قال : وكسر بعضهم التاء ، وهى لغة ، فقال : « هَيْتَ لَكَ » ورفع بعض التاء ، فقال : « هَيْتُ لَكَ » وكسر بعض الهاء ، وفتح التاء ، فقال : « هَيْتَ لَكَ » كل ذلك بمعنى واحد « تهذيب اللغة ٣٩٣/٦ وكذا نقله عن الأخفش أبو على فى الحجة ٤١٧/٤ وابن جنى فى الخصائص ٢٧٩/١ والمحتسب ٣٣٧/١ ومثله ذكر الزجاج فى المعانى ١٠٠/٣ .

السابق ، وانشد قطرب (١) على « هَيْتُ لَكَ » ماأنشده إياه بعض أهل الحجاز
لطرفه :

ليس قَوْمِي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْتُ
هُمْ يُجِيبُونَ ذَا هَلْمٍ سِرَاعًا كَالْأَبَابِيلِ لَا يُغَادِرُ بَيْتُ

والقراءة الأولى أجود اللغات وأكثرها استعمالاً ، تليها الثانية ، فالثالثة ، فالرابعة .

وقراءة : « هَيْتُ لَكَ » بكسر الهاء ، وبالهَمْز ، وضم التاء .

وقراءة « هَيْتَ لَكَ » بكسر الهاء ، وبالهَمْز ، وفتح التاء .

يحتمل أن يكون اشتقاقهما من قولهم : هَيْتُ لِلْأَمْرِ أَهْيِيءُ هَيْئَةً ، وَهَيَّاتُ الْأَمْرَ تَهْيِئَةً
فهو مُهَيَّأٌ . وأن يكون من قولهم : رَجُلٌ هَيْيٌٌ صَيْرٌٌ شَيْرٌٌ : إذا كان حسنَ الهَيْئَةِ ،
والصورة ، والشارة (٢) .

فعلى هذا يكون الأصل في هَيْتُ : هَيْتُ عَلَى فَعِلْتُ مِنْ هَيَّأُ ، وحذفت الياء هنا
للإسناد ، كما حذفت في فَيْتُ ، وَجَيْتُ ، وَشَيْتُ .

والتاء للمتكلم ، أو للمخاطب ، في قراءة ضم التاء ، أو فتحها ، ويجوز تخفيف
الهمزة ، كما تخفف في نحو شَيْتُ ، وَجَيْتُ ، وَفَيْتُ ، ومن ثم تلتقى قراءة الهمز
وقراءة التخفيف ، وبخاصة في قراءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء ، أو فتحها ،

(١) ذكره الزجاج في المعاني ١٠٠/٣ وابن جنى في المحتسب ٣٣٧/١ والطبري في جامع البيان ١٨١/١٢ .

(٢) انظر تهذيب اللغة ٤٨٥/٦ وحجة الفارسي ٤١٩/٤ والكشف ٨/٢ ، ٩ .

من غير همز ، كقراءة أهل المدينة « هَيْتَ لَكَ » وهى أيضا قراءة لعلى ابن
أبى طالب ، وقراءة زيد بن على ، وطلحة بن مصرف ، وابن أبى إسحاق « هَيْتُ
لَكَ » (١) .

وكذلك يحتمل « هَيْتَ » الذى هو اسم للفعل أن يكون فعلا ، والتاء فيه مضمومة أو
مفتوحة للمخاطب ، أو للمتكلم ، ويكون من هاء يهيبىء هيثة ، وقد أشار إلى
نحو ذلك الفارسي (٢) ، وقال مكى : « وقد تحتمل قراءة من لم يهمز أن تكون
على إرادة الهمز ، لكن خفف الهمزة ، فيكون من تهيأت ، فيكون فعلا » (٣) .

وكذلك ذكر السمين فى التعليق على قراءة « هَيْتُ لَكَ » بكسر الهاء ، وضم التاء
من غير همز ، قال : « فيحتمل أن تكون فيه اسم فعل بنيت على الضم كحيث ،
وأن تكون فعلا مسندا لضمير المتكلم من هاء الرجل يهيبىء كجاء يجيبىء ، وله
حينئذ معنيان ، أحدهما : أن يكون بمعنى حَسُنَ هَيْثُ ، والثانى : أن يكون بمعنى
تهياً » (٤) .

وهكذا تتلاقى قراءات التحقيق وقراءات التسهيل يفسر بعضها بعضا ، ويدل بعضها
على أصول بعضها الآخر .

(١) مختصر الشواذ ٦٣ والبحر المحيط ٢٩٤/٥ وزاد المسير ٢٠١/٤ ، ١٠٢ ، والدر المصون ٦٦٤/٦ .

(٢) الحجّة ٤٦٤/٤ .

(٣) الكشف ٨/٢ ، ٩ .

(٤) الدر المصون ٤٦٤/٦ .

قراءة النبي ﷺ : « تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَةٍ » ؟ « حَمِيَةٍ » ؟ .

ترددت قراءة « حَمِيَةٍ » في هذه الآية بين « حَامِيَةٍ » و « حَمِيَةٍ » و « حَمِيَةٍ »

والمادة مختلفة بينهما ، فحامية : فاعلة من حَمِيَتِ الشمسُ تَحْمِي حَمِيًا وَحُمِيًا ، وَحُمُوًا : اشتد حرها ، وَحَمِيُّهَا وَحَمُوُّهَا : حرها ، فالمادة معتلة واوية يائية .

وَحَمِيَّةٌ : فَعَلَةٌ مِنْ : حَمَيْتِ الرَكِيَّةُ تَحْمًا حَمًا : إِذَا صَارَتْ ذَاتَ حَمًا ، وَأَحْمَائُهَا أَنَا إِحْمَاءٌ : إِذَا نَقِيَتْهَا مِنْ حَمَاتِهَا ، وَحَمَاتُهَا : إِذَا أَلْقِيَتْ فِيهَا الْحَمَاءُ ، وَقِيلَ الْعَكْسُ ، وَهُوَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُنْتَنُ (١) . فالمادة هنا مهموزة .

وَحَمِيَّةٌ : تَخْفِيفُ حَمِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ غَيْرُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْمَادَةُ وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفَانِ بَيْنَ « حَامِيَةٍ » وَ « حَمِيَةٍ » وَ « حَمِيَةٍ » وَ « حَمِيَةٍ » .

وقد نص أبو داود على أن النبي ﷺ قرأ « تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَةٍ » مخففة . ولكن علامة الهمزة في اللفظ (٢) .

وتؤكد رواية الدوري ينتهي إلى سند مصدع عن ابن عباس ، قال : أقرأني أبي كما أقرأه رسول الله ﷺ « تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَةٍ » (٣) . كذا مشكولة بالقلم .

وإن كنا لا نستبعد هذه القراءة إلا أننا نرجح أن تكون مهموزة ؛ وذلك لما يأتي :-

- ذكر مكى في الكشف (٤) نفس الحديث الذي ذكره الدوري ، وأبو داود ، وقيد

(١) تهذيب اللغة ٢٧٤/٥ ، ٢٧٦ والصحاح ، واللسان (حما - حما) ومجاز القرآن ١/١٣٤ .

(٢) السنن ٣٤/٤ ح ٣٩٨٦ .

(٣) في جزئه ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) ٧٤/٢ .

القراءة بأنها مهموزة ، وعبارته : « روى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قرأ « حَمِئَةَ » بالهمز ، وبذلك قرأ ابن عباس ، وكذلك قرأ علي رضي الله عنهما » .

- ولهذه القراءة خبر مشهور ، مفاده : أن معاوية قرأ « تغرب في عين حامية » فقال ابن عباس : إنها عين حمئة ، فجعلنا كعب الأخبار بينهما ، فأرسلنا إليه ، فسألاه فقال كعب : أما الشمس فإنها تغيب في ثأطٍ ، فكانت علي ما قال ابن عباس « والثأطُ : الطين . وفي رواية أخرى : قال كعب : أنتم أعلم بالقرآن مني ، ولكني أجدتها في الكتاب تغيب في طينة سوداء (١) . وكان ثمة رجل ، فأنشد لتبع أو لأمية :

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَآبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأَطٍ حَرَمَدٍ (٢)

- والمشهور في الآية قراءتان :

- « حَمِئَةَ » وهي قراءة الجمهور ، ومنهم : ابن عباس بالإجماع ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص عن عاصم ، ويعقوب ، وحميد ، وشيبة ، وابن أبي ليلى ، وأبو حاتم ، وابن جبير ، واليزيدي (٣) .

(١) جامع البيان ١١/١٦ والكشاف ٤٩٧/٢ وتفسير ابن كثير ٤٢١/٤ وحجة أبي زرعة ٤٢٩ والدر المصون ٥٤١/٧ .

(٢) الكشاف ٤٩٧/٢ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤١/٧ واللسان (خلب - حرمد - ثأط) والحرمد : المتغير اللون والخلب : الطين والحماة .

(٣) معاني الفراء ١٥٨/٢ والسبعة ٣٩٨ والتيسير ١٤٥ والمبسوط ٢٨٢ والكشف ٧٣/٢ والإقناع ٦٩٢/٢ والعنوان ١٢٤ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤١/٧ والنشر ٣١٤/٢ وإتحاف فضلاء البشر ٢٩٤ وحجة أبي زرعة ٤٢٨ .

- « حَامِيَةٌ » وهي قراءة ابن مسعود ، وابن الزبير ، وابن عمر ، وعمرو بن العاص ،
وابنه عبد الله بن عمرو ، والحسن ، وزيد بن علي ، وابن عامر ، وحمزة ،
والكسائي (١) .

- أكثر مانسب لابن عباس من تفسيرات يوافق قراءته « حَمِيَّةٌ » ، ومنها : قوله :
في طين أسود ؛ ذات حمأة ؛ هي : الحمأة ؛ حمأة سوداء تغرب فيها الشمس .

- وقد ذكر سعيد بن جبير - وهو ممن يقرأ « حَمِيَّةٌ » كابن عباس - قال : « كان ابن
عباس يقرأ هذا الحرف ﴿ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ ﴾ ويقول : حمأة سوداء تغرب فيها
الشمس » (٢) .

- أكثر أهل التفسير على هذا المعنى ، ومن أهمهم عكرمة ، وهو مولى ابن عباس ،
وأكثر الناس رواية عنه ، وعبدالرحمن الأعرج ، ومجاهد بن جبر الذي عرض على
ابن عباس ثلاثين عرضة ، وسأله في ثلاث منها عن كل آية فيما كانت (٣) .

والذين قرأوا « حامية » بمعنى شديدة الحرارة ، يستندون إلى حديث أبي ذر (٤) :
« كنت ردف النبي ﷺ على حمار فرأى الشمس حين غابت ، فقال : « يا أبا ذر
تدرى أين تغرب هذه ؟ فقال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تغرب في عين
حامية » وحديث ابن عمر : « نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت ، فقال :
في نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لأحرقت ما على

(١) معانى الفراء ١٥٨/٢ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والمراجع السابقة .

(٢) جامع البيان ١١/١٦ ، ١٢ ، وتفسير ابن كثير ٤٢١/٤ وزاد المسير ١٨٥/٥ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ٤١/٢ .

(٤) المستدرک ٢٤٤/٢ والمسند ١٦٥/٥ وتفسير ابن كثير ١٠٢/٣ والكشف ٧٣/٢ ، ٧٤ .

الأرض « (١) ويقوله تعالى : ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (٢) .

وهذه القراءة أيضا تأولها بعض اللغويين على تسهيل الهمز ، فجعل أصلها « حائمة » من حمىء المهموز ، ثم سهلت ، وقد صرح بهذا أيوحاتم ، قال : « وقد يمكن أن تكون « حامية » مهموزة بمعنى : ذات حماة ، فتكون القراءتان بمعنى واحد » (٣) وهذا يعني أن الأصل واحد مهموز ، ثم سهل بإبدال الهمزة ياء . ويلاحظ أن أبا حاتم كان ممن يقرأ « حمئة » .

وقد أخذ بهذا مكى ؛ إذ ذهب إلى جواز أن تكون الياء بدلا من همزه ، فيكون فاعلا من الحمأة ، وقال معلقا على كلام كعب الأحبار : فهذا يدل على أنها من الحمأة ، وهو الاختيار ؛ لأن القراءتين قد ترجعان إلي معنى واحد ، ولا ترجعان إلى أنهما من « حَمِيَّ يَحْمِي » بمعنى الحارة ؛ لأنه لا سبيل إلى الهمز في « فاعل » من « حَمِيَّ يَحْمِي » (٤) .

كما حاول كثير من العلماء التوفيق بين المعنيين بالجمع بين الصفتين ، فتكون العين حارة ذات حماة (٥) ، وقد عقب الطبرى على وجهي القراءة بأن « كلا الوجهين غير مفسد لصاحبه ؛ وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حماة وطن » (٦) وتعلق بهذا أيضا مكى ، فقال : « وأيضا فإن القراءة بالهمز لاتنافية

(١) جامع البيان ١٢/١٦ وتفسير ابن كثير ١٠٢/٣ والكشف ٧٤/٢ .

(٢) سورة القارعة آية ١١ .

(٣) البحر المحيط ١٥٩/٦ .

(٤) الكشف ٧٣/٢ ، ٧٤ .

(٥) انظر معانى الزجاج ٣٠٨/٣ وتهذيب اللغة ٢٧٦/٥ والبحر المحيط ١٥٩/٦ والدر المصون ٥٤٠/٧ .

وحجة أبى زرعة ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٦) جامع البيان ١٢/١٦ .

القراءة بغير همز ، قد تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة ، فيجتمع في ذلك المعنيان جميعا ، والقراءتان جميعا « (١) .

وكل هذا يدل على أن قراءة ﴿ حَمِيَّة ﴾ هي الأصل ، وأنه يجوز أن تكون « حامية » أصلا آخر بمعنى آخر ، ويجوز أن تكون تخفيفا من المهموزة ، وحينئذ يكون التغيير صوتيا فحسب ولاتأثير له في المعنى ، كما يرجح أن قراءة ابن عباس التي رواها عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ « حَمِيَّة » بالهمز .

وهذا ترجيح ، وليس تأكيدا ؛ لأن احتمال التسهيل في « حمئة » وارد ، ولا يمنع منه مانع ، لما ذكرناه من تبادل الهمزة مع الصوائت وأنصاف الصوائت ، وكما في تبادلها مع نصف الصامت « الياء المتحركة » في « حامية » .

وقد وجدت أبا حيان ينسب قراءة للزهري في « حَمِيَّة » يقول : « والزهري يُلَيِّنُهَا » (٢) فهذا يقوى احتمال ثبوتها ، ورأيت الطبري يفرد حديث ابن عباس عن أبي بن كعب بعد ذكره للقراءتين المشهورتين ، غير أنه أورد الكلمة مشكولة بصورة الهمزة هكذا « حَمِيَّة » ولم يقيد بها ، ثم إن أبا داود حجة ثبت بشهادة المحققين من العلماء ، ويضاف إلى ذلك أن كثيرا من القراءات قد ذهب بكتابة المصحف الإمام ، وربما وجود الزمان بكشف كنوز تراثنا الجليل ، ويفتح الله علينا مستغلقات الأمور .

(١) الكشف ٧٤/٢ .

(٢) البحر المحيط ١٥٩/٦ .

قراءة النبي ﷺ ﴿ كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ و « دُرِّيٌّ »

﴿ دُرِّيٌّ ﴾ قراءة حفص عن عاصم ، وأبي جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ،
وخلف ، والحسن ، وابن محيصن (١) ، وعلى الجملة فهي قراءة الجمهور (٢) .

وهي قراءة النبي ﷺ ذكره أهل الحديث (٣) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ
قال : « إن الرجل من أهل عليين ليشرق على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنها
كوكب دُرِّيٌّ ، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعمما » قال أبو داود : وهكذا جاء الحديث
« دُرِّيٌّ » مرفوعة الدال لاتهمز .

والنسبة فيه : إما إلى الدرّ ؛ لنقائه وضيائه وحسنه (٤) ، وإما على التشبيه بأحد
الدراري الخمسة ، وحينئذ يكون أصله « دُرِّيٌّ » على فُعَيْل الهمزة لام الكلمة ، من
الدرء بمعنى الدفع ، ثم خفت الهمزة بإبدالها ياء فأدغم (٥) وقد قرأ « دُرِّيٌّ » على
الأصل حمزة ، وأبو بكر ، وعاصم ، والأعمش ، وله نظائر في كلام العرب ، منها :
مُرِّيٌّ للعصفور ، ومُرِّيٌّ لما في داخل القرن اليابس (٦) .

(١) المبسوط ٣١٨ ، ٣١٩ وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٤ وحجة أبي زرعة ٤٩٩ والبحر المحيط ٤٥٦/٦
والكشف ١٣٧/٢ .

(٢) جامع البيان ١٤٠/١٨ والتيسير ١٦٢ والعنوان ١٣٩ ، وإرشاد المبتدى ٤٦٢ والنشر ٣٣٢/٢ .

(٣) المسند ٦١/٣ وسنن أبي داود ٣٤/٤ ح ٣٩٨٧ وصحيح مسلم « كتاب الجنة » .

(٤) معاني الفراء ٢٥٢/٢ ومعاني الزجاج ٤٤/٤ ومعاني الأخفش ٤٢٠/٢ ومجاز القرآن ٦٦/٢ وجامع
البيان ٤١/١٨ والحجة لابن خالويه ٢٦٢ .

(٥) المراجع السابقة ، والمحتسب ١٥٦/١ والكشف ١٣٨/٢ وحجة أبي زرعة ٤٩٩ والكشاف ٦٧/٣ .

(٦) معاني الفراء ٢٥٢/٢ والمحتسب ١٥٨/١ ، ١٥٩ والبحر المحيط ٤٥٦/٦ والحجة لابن خالويه
٢٦٢/٢ والكشف ١٣٨/٢ وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٤ .

وأما قراءة النبي ﷺ : « دَرِيٌّ » فقد عمّاها ابن خالويه بعدم ضبطها ، ونصه : « دَرِيٌّ » بالتخفيف قتادة ، وأبان عن عاصم ، والنبي ﷺ و « دَرِيٌّ » أبان عن عاصم « (١) وقد نسب إلى عاصم روايات ، منها : « دَرِيٌّ » السابق ذكرها ، و « دَرِيٌّ » رواها عنه المفضل الضبي بكسر الدال والهمز ، وذكره الفراء (٢) ، وهذه قيدها الكرمانى بكسر الدال من غير همز ، و « دَرِيٌّ » فى رواية حفص عنه . فلم نعد نعرف أيتها يقصد ابن خالويه ، وإن كان قوله : « بالتخفيف » يحددها فى غير المهموزات .

ونلاحظ أنه أشرك قتادة ، وأبان بن عثمان فى قراءة النبي ﷺ ، ولقتادة أيضا قراءات ، منها : « دَرِيٌّ » بفتح الدال والهمز ذكرها أبوحيان ، والكرمانى (٣) ، وهذه غير مقصود ابن خالويه ؛ لأنها مهموزة ، و « دَرِيٌّ » بفتح الدال ، وتخفيف الراء ، وتشديد الياء ، ونسبها الكرمانى له ، وللضحاك ، و « دَرِيٌّ » وهذه ذكرها له أبوحيان ، وقيدها بفتح الدال وتشديد الراء والياء ، وذكرها له أيضا الكرمانى ، وقيدها بفتح الدال وتشديد الياء .

ويحتمل أن تكون إحدى القراءتين هى التى يعنىها ابن خالويه ، ونرجح أن تكون « دَرِيٌّ » بفتح الدال ، وتشديد الراء والياء ؛ لأن أبا حيان ذكرها ، ونسبها إلى قتادة ، والضحاك ، وسعيد بن المسيب ، وزيد بن على ونصر بن عاصم ، وأبى رجاء . ومن هؤلاء ثلاثة نسبها إليهم الكرمانى : ابن المسيب ، ونصر بن عاصم ، وقتادة .

(١) مختصر الشواذ ١٠٢ .

(٢) معانى القرآن ٢/٢٥٢ .

(٣) فى البحر المحيط ٤٥٦/٦ وشواذ القراءة ١٧١ .

أما « دَرِيٌّ » التي ذكرها ابن خالويه ، ونسبها إلى أبان عن عاصم ، فنعتقد أنها « دَرِيٌّ » التي نص عليها الكرمانى ونسبها إلى الضحاک وقتادة ؛ لأنها مخففة أصلاً ، وتخفيفها مرة أخرى يخرجها عن المعنى .

وعلى ذلك تكون قراءة النبي ﷺ « دَرِيٌّ » ويؤكد هذا أن ابن جنى (١) نسبها إلى قتادة والضحاک ، كما نسبها الكرمانى .

وقد ذكر الفارسي أن هذه القراءة منسوبة إلى الدرّ على غير قياس ، ولا يكون على التخفيف ؛ لأن فعلاً ليس من كلامهم ، إلا ما حكاه أبو زيد من قولهم : سَكِينَةٌ .
ولله الحمد فى الأولى والآخرة ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

دكتور / مصطفى عبدالحفيظ سالم

مكة المكرمة

(١) المحتسب ٢/ ١١٠ .

فهرس قراءات النبي ﷺ

رقم الصفحة	الآية	القراءة
		سورة البقرة
٧	٨٣	« فَمَنْ تَبِعَ هُدًى » -
١٤٧، ١٣٠	٩٨	« وَجِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ » -
٥٩	٢٠٨	« فِي السَّلَامِ كَافَّةً » -
١٩	٢٧٣	« يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ » -
		سورة آل عمران
٥٩	١٨٨	« لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ » -
		سورة المائدة
٦٠	٩٥	« أَوْ عَدِلَ ذَلِكَ » -
		سورة الأنعام
١٢٧، ٩٩	١٥٩	« إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا » -
٧	١٦٢	« وَتُسْكِي وَمَحْيَى » -
		سورة الأعراف
٦٠	٤٤	« قَالُوا نَعِمٌ » -

رقم الصفحة

الآية

القراءة

سورة الأنفال

٥٩

٦١

- « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ »

سورة يوسف

٧

١٩

- « يَا بُشْرَىٰ »

١٥٤، ١٣٠

٢٣

- « هَيْتَ لَكَ »

٧

٢٣

- « أَحْسَنَ مَثْوًى »

٨

٤٣

- « أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ »

سورة الكهف

٩

٧٦

- « مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا »

١٠٢، ٩٩

٧٧

- « لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ »

١٦٠، ١٣٠

٨٦

- « فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ »

سورة مريم

٢٣

١٢

- « يَا يَحْيَىٰ »

سورة طه

٢٣

١

- « طه »

رقم الصفحة	الآية	القراءة
٨	١٨	- « هِيَ عَصَى » سورة النور
١٦٥، ١٣٠	٣٥	- « كَوَّكِبٌ ذَرِيٌّ » سورة الروم
١٢٧، ٩٩	٣٢	- « مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا »
٨٧، ٧٧	٥٤	- « مِنْ ضَعْفٍ » سورة محمد
٥٩	٣٥	- « وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ » سورة الحجرات
١١٧، ٩٩	١٢	- « مَيْتًا فَكَّرْهُتُمُوهُ »
٤٤	١٠	- « وَالنُّخْلَ بَاصِقَاتٍ » سورة النجم
١٠٧، ١٠٠	٣٧	- « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى »

رقم الصفحة	الآية	القراءة
		سورة القمر
٤٤	١٥	- « فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ »
		سورة الرحمن
٩.	٧٦	- « عَلَى رَقْرَقٍ خُضِرٍ »
		سورة الواقعة
٨٤ ، ٧٨	٥٥	- « شَرِبَ الْهَيْمِ »
٨٩ ، ٧٨	٨٩	- « فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ »
		سورة الحاقة
٦.	٩	- « وَمَنْ قَبْلَهُ »
		سورة الإنسان
١١٠ ، ١٠٠	١٦	- « قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا »
		سورة المرسلات
٩.	٦	- « عُدْرًا أَوْ نُذْرًا »

رقم الصفحة	الآية	القراءة
		سورة التكويد
١٢٤،١٠١	١٥	« فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنسِ »
١٢٤،١٠١	١٦	« الْجَوَارِ الْكُنسِ »
		سورة الانفطار
١١٣،١٠١	٧	« فَسَوَاكُ فَعَدَلِكَا »
		سورة الفجر
٩.	٣	« وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ »
		سورة البلد
٦.	٥	« أَيَحْسِبُ أَن لَّنْ يَقْدِرَا »
		سورة الضحى
١١٩،١٠١	٣	« مَاوَدَعَا »

فهرس المصادر والمراجع

- (١) الإبدال لأبى الطيب اللغوى . تح عز الدين التنوخى - دمشق ١٩٦١ م .
- (٢) إبراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة - ط مصطفى الحلبي ١٣٤٩ هـ .
- (٣) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى د / عبد الغفار هلال - دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .
- (٤) إتخاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء - تصحيح على محمد الضباع - ط عبد الحميد أحمد حنفى القاهرة .
- (٥) إتقان فى علوم القرآن . للسيوطى - تح محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .
- (٦) الأحرف السبعة للقرآن لأبى عمرو الدانى - تح د / عبد المهيمن طحان - السعودية ١٤٠٨ هـ .
- (٧) إرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى فى القراءات العشر لابن بندار الواسطى - تح عمر حمدان الكبيسى - ط الفيصلية - مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
- (٨) أسرار العربية للأنبارى - مطبوعات المجمع العلمى العربى - دمشق ١٣٧٧ هـ .
- (٩) أسس علم اللغة - مريوبى - ترجمة د / أحمد مختار عمر - عالم الكتب ١٩٨٣ م ط ٢ .
- (١٠) الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى - بيروت ١٩٨٤ م .
- (١١) الاشتقاق لابن دريد - تح عبد السلام هارون - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ .

(١٢) إصلاح المنطق لابن السكيت تح أحمد محمد شاكر - عبد السلام هارون - دار المعارف ١٩٧٠ م .

(١٣) أصوات اللغة د / عبد الرحمن أيوب - مطبعة الكيلاني ١٩٦٨ ط ٢ .

(١٤) أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار هلال - مطبعة الجبلاوى ١٩٨٨ م .

(١٥) الأصوات اللغوية د / إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م ط سادسة

(١٦) الأصول فى النحو لابن السراج - تح د / عبد الحسين الفتلى - بيروت ١٩٨٥ م .

(١٧) الأضداد لابن الأنبارى - تح محمد أبو الفضل إبراهيم - الكويت ١٩٦٠ م .

(١٨) إعراب القرآن لابن النحاس - تح زهير غازى زاهد - مكتبة النهضة العربية

١٩٨٥ م .

(١٩) الإقناع فى القراءات السبع لابن خلف الأنصارى - تح د / عبد المجيد قطامش

مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٣ هـ .

(٢٠) إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك - تح د / سعد بن حمدان الغامدى

السعودية ١٤٠٤ هـ .

(٢١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية = فى الدراسات القرآنية واللغوية .

(٢٢) الأمالى لأبى على القالى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ .

(٢٣) البحر المحيط لأبى حيان - دار الفكر - بيروت .

(٢٤) بغية الآمال فى معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال للفهرى اللبلى - تح د /

سليمان العايد - السعودية ١٤١١ هـ .

(٢٥) بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى - تح محمد أبو الفضل
إبراهيم ط الحلبى ١٩٦٤ م .

(٢٦) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادى - تح محمد المصرى - الكويت
١٩٨٧ م .

(٢٧) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين - جورج مومين ترجمة بدر
الدين القاسم - وزارة التعليم العالى - دمشق ١٩٧٢ م .

(٢٨) تاريخ اللغات السامية - إسرائيل ولفنسون - دار القلم بيروت ١٩٨٠ م .

(٢٩) التشكيل الصوتى فى اللغة العربية - فونولوجيا العربية - د / سلمان حسن
العانى ترجمة د / ياسر الملاح - بيروت .

(٣٠) التصريح على التوضيح - للشيخ خالد الأزهرى ط عيسى الحلبى - القاهرة .

(٣١) التطور النحوى - برجشتراسر - ترجمة د / رمضان عبد التواب - ط الخانجى
والرفاعى ١٩٨٢ م .

(٣٢) تفسير الطبرى - جامع البيان عن تأويل آى القرآن - بيروت ١٩٨٤ م .

(٣٣) تفسير القرطبى - الجامع لأحكام القرآن - ط دار الكتب ١٩٣٩ م .

(٣٤) تفسير ابن كثير - طبع الاستقامة - القاهرة ١٩٥٦ م .

(٣٥) تهذيب اللغة للأزهرى - تحقيق جماعة من العلماء - الهيئة المصرية العامة
للكتاب .

(٣٦) التيسير فى القراءات السبع - لأبى عمرو الدانى - تح أوتويرتزل - إستانبول -
مطبعة الدولة ١٩٣٠ م .

(٣٧) جزء فيه قراءات النبي ﷺ للدورى - تح د / حكمت بشير - مكتبة المدينة المنورة ١٤٠٨ م هـ .

(٣٨) الجمل للزجاجى تح ابن أبى شنب - مطبعة جول كربونل - الجزائر ١٩٥٧ م .

(٣٩) جمهرة أنساب العرب - لابن حزم - تح لجنة من العلماء - بيروت ١٩٨٣ م .

(٤٠) جمهرة اللغة لابن دريد - تح د / رمزى منير بعلبكي - بيروت ١٩٨٧ م .

(٤١) الحجة فى علل القراءات السبع - لأبى على الفارسى - تح على النجدى

ناصر - عبد الحلیم النجار - عبد الفتاح شلبى - القاهرة - وتح بدر الدين

قهوجى - وجويجاتى - ط دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت ١٩٨٧ م .

(٤٢) الحجة فى القراءات السبع - لابن خالويه تح د / عبد العال سالم مكرم - دار

الشروق ١٩٧٧ م .

(٤٣) حجة القراءات لأبى زرعة تح سعيد الأفغانى - بيروت ١٩٨٢ م .

(٤٤) الخصائص لابن جنى تح محمد على النجار - بيروت .

(٤٥) دراسات فى علم أصوات العربية د / داود عبده - الكويت .

(٤٦) دراسات فى علم اللغة د / كمال بشر - دار المعارف - مصر .

(٤٧) دراسات مقارنة فى المعجم العربى د / السيد يعقوب بكر - بيروت ١٩٧٠ م .

(٤٨) دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس - د / على حلمى موسى - الكويت .

(٤٩) دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح - د / على حلمى موسى - الهيئة المصرية

العامة للكتاب ١٩٧٣ م .

- (٥٠) دراسة الصوت اللغوى د / أحمد مختار عمر - عالم الكتب ١٩٧٦ م .
- (٥١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمن الحلبي تح د / أحمد محمد الخراط - دمشق ١٤٠٦ م .
- (٥٢) دروس فى علم أصوات العربية - جان كانتينو - ترجمة صالح القرماوى - تونس ١٩٦٦ م .
- (٥٣) ديوان الهذليين - طبع دار الكتب ١٩٤٥ م ، ١٩٤٨ م ، ١٩٥٠ م .
- (٥٤) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى - بيروت ١٩٨٤ م .
- (٥٥) الساميون ولغاتهم - د / حسن ظاظا - دمشق - بيروت ١٩٩٠ م ط ٢ .
- (٥٦) السبعة فى القراءات لابن مجاهد - تح د / شوقى ضيف - دار المعارف .
- (٥٧) سر صناعة الإعراب - لابن جنى - تح د / حسن هنداوى - دار القلم - دمشق وبيروت ١٩٨٥ م .
- (٥٨) سنن أبى داود - تحقيق الشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد - بيروت .
- (٥٩) السيرافى النحوى فى ضوء شرحه لكتاب سيبويه دراسة وتحقيق د / عبد المنعم فائز - دار الفكر .
- (٦٠) شرح أبيات سيبويه لابن السيرافى - تح د / محمد على سلطان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ .
- (٦١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - ط دار إحياء الكتب العربية .
- (٦٢) شرح ديوان الهذليين للسكرى - تح عبد الستار فراج القاهرة ١٩٦٥ م .

- (٦٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضى - تح جماعة من العلماء - بيروت ١٩٧٥ م .
- (٦٤) شرح الكافية للرضى - دار الكتب العلمية - بيروت .
- (٦٥) شرح الكافية لابن مالك - تح د / عبد المنعم هريدى - مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ .
- (٦٦) شرح المفصل لابن يعيش - عالم الكتب - بيروت .
- (٦٧) الشعر والشعراء - لابن قتيبة تح د / فؤاد قميحة - بيروت ١٩٨٥ م .
- (٦٨) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى تح د / محمد عبد المنعم خفاجى - ط مكتبة الحرم الحسينى ١٩٥٢ م .
- (٦٩) شواذ القراءة للكرمانى - مخطوطة مكتبة الجامع الأزهر - رقم ٢٠٠٧٣ ب .
- (٧٠) الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري - تح / أحمد عبد الغفور عطار - القاهرة .
- (٧١) صحيح مسلم - الجامع الصحيح .
- (٧٢) صفة جزيرة العرب - للهمدانى - ليدن ١٨٨٤ م .
- (٧٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام - تح اللجنة الجامعية لنشر التراث بيروت .
- (٧٤) طبقات النحويين واللغويين - للزبيدى تح محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٤ م .
- (٧٥) العرب فى سوريا قبل الإسلام - رينيه ديسو - ترجمة د / عبد الحميد الدواخلى - دار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .

(٧٦) العقد الفريد لابن عبد ربه - تح أحمد أمين - وأحمد الزين - والإبياري -
بيروت .

(٧٧) علم الأصوات - مالبورج - تعريف ودراسة د / عبد الصبور شاهين - مكتبة
الشباب القاهرة ١٩٨٥ م .

(٧٨) علم اللغة د / محمود السعران - دار المعارف ١٩٦٢ م .

(٧٩) علم اللغة د / على عبد الواحد وافى القاهرة ١٩٧٢ م .

(٨٠) علم اللغة العام د / كمال بشر دار المعارف ١٩٧٥ م .

(٨١) عناية القاضي عياض وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى - حاشية الشهاب
الخفاجى - دار صادر - بيروت .

(٨٢) العنوان فى القراءات السبع - لابن خلف الأنصارى - تح د / زهير زاهد ،
وخليل العطيه بيروت ١٩٨٥ م .

(٨٣) العين للخليل بن أحمد - تح د / مهدي المخزومى - د / إبراهيم السامرائى -
بغداد .

(٨٤) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى - تح برجشتراسر - بيروت
١٩٨٢ م .

(٨٥) غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام - الهند ١٩٦٤ م .

(٨٦) غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدى - تح د / عبد الرزاق حسين - بيروت
١٩٨٧ م .

(٨٧) الغريب المصنف لأبى عبید القاسم بن سلام تح محمد مختار العبيدى -
تونس .

(٨٨) الفائق فى غريب الحديث للزمخشري تح على محمد البجاوى - محمد أبو
الفضل إبراهيم - ط الحلبى .

(٨٩) فعل وأفعل للأصمعى تح العزباوى - مجلة مركز البحث العلمى وتحقيق
التراث - مطبوعات جامعة أم القرى .

(٩٠) فى الأصوات اللغوية - دراسة فى أصوات المد العربية د / غالب المطلبى -
العراق ١٩٨٤ م .

(٩١) فى الدراسات القرآنية واللغوية - الإمالة فى القراءات واللهجات د / عبد
الفتاح شلبى القاهرة ١٩٧١ م .

(٩٢) فى القرآن والعربية من تراث لغوى، مفقود للقراء د / علم الدين الجندى
مطبوعات جامعة أم القرى ١٤١٠ هـ .

(٩٣) فى اللهجات العربية د / إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو القاهرة ١٩٧٣ م
ط ٤ .

(٩٤) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث د / عبد الصبور شاهين - دار
الكتاب العربى - القاهرة .

(٩٥) قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى تح إبراهيم الإبيارى
مطبعة السعادة ١٩٦٣ م .

(٩٦) الكامل فى القراءات الخمسين للهذلى - مخطوطة الجامع الأزهر رواق المغارية
٣٦٩ .

(٩٧) الكتاب لسبويه تح عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٧ م .

(٩٨) كتاب الكتاب لابن درستويه تح د / إبراهيم السامرائي د / عبد الحسين الفتلي
الكويت ١٩٧٧ م .

(٩٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري -
طبع الحلبي .

(١٠٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي القيسي تح د /
محيي الدين رمضان - بيروت ١٩٨٧ م ط رابعة .

(١٠١) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني تح الشيخ عامر السيد عثمان
والدكتور عبد الصبور شاهين - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة
١٩٧٢ م .

(١٠٢) لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها ماريوباي - ترجمة الدكتور صلاح
العربي - القاهرة - نيويورك ١٩٧٠ م .

(١٠٣) اللغات في القرآن المنسوب لابن عباس تح د / صلاح الدين المنجد - بيروت
١٩٧٢ ط ٢ .

(١٠٤) اللغة - فندريس تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مكتبة
الأنجلو المصرية ١٩٥٠ م .

(١٠٥) لغة تميم دراسة تاريخية وصفية د / ضاحي عبد الباقي - مطبوعات مجمع
اللغة العربية ١٩٨٥ م .

(١٠٦) اللغة العربية معناها ومبناها د / تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٣ م .

(١٠٧) اللغة والتطور د / عبدالرحمن أيوب - معهد البحوث والدراسات العربية -
القاهرة ١٩٦٩ م .

(١٠٨) اللهجات العربية فى التراث د / علم الدين الجندى - الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس ١٩٨٣ م .

(١٠٩) اللهجات العربية نشأة وتطورا د / عبدالغفار هلال ١٩٩٠ م ط ٢ .

(١١٠) ليس فى كلام العرب لابن خالويه ط السعادة .

(١١١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام لأبى سعيد السيرافى تح د / صبح التميمي -
السعودية ١٩٨٥ م .

(١١٢) المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني - تح سبيع حمزة حاكمى
دمشق ١٩٨٦ م .

(١١٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة - تح محمد فؤاد سزكين بيروت ١٩٨١ م .

(١١٤) مجالس العلماء للزجاجى - تح عبدالسلام هارون ط الخانجى والرفاعى
١٩٨٣ م .

(١١٥) المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لأبى موسى المدينى - تح العزباوى
مطبوعات جامعة أم القرى .

(١١٦) المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات لابن جنى - تح على النجدى ناصف
ود / عبدالفتاح شلبى طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ م .

(١١٧) المحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو الدانى تح د / عزه حسن - دمشق
١٩٦٠ م .

(١١٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالوية - تح برجشتراسر - المطبعة الرحمانية بمصر
١٩٣٤ م .

(١١٩) المخصص لابن سيده - القاهرة ١٩١٩ م .

(١٢٠) المذكر والمؤنث للفراء تح د / رمضان عبد التواب - دار التراث بالقاهرة
١٩٧٥ م .

(١٢١) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى تح محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة
١٩٥٥ م .

(١٢٢) المزهرفى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تح محمد جاد المولى وآخرين طبع
الجبلى .

(١٢٣) المسائل البصريات لأبى على الفارسى تح د / محمد الشاطر أحمد طبع المدنى
١٩٨٥ م .

(١٢٤) المستدرک على الصحيحين - للحاكم مطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .

(١٢٥) المسند للإمام أحمد - الطبعة الأميرية .

(١٢٦) معانى القرآن للأخفش الأوسط تح د / فايز فارس الكويت ١٩٧٩ م .

(١٢٧) معانى القرآن للفراء - تح أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار - الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

- (١٢٨) معانى القرآن وإعرابه للزجاج - تح د / عبد الجليل شلبى بيروت .
- (١٢٩) معجم البلدان لياقوت الحموى دار صادر بيروت ١٩٧٩ م .
- (١٣٠) المغنى لابن هشام تح مازن المبارك وحميد الله دار الفكر بيروت ١٩٧٩ م .
- (١٣١) المقتضب للمبرد تح د / عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى للشئون
الاسلامية ١٣٨٥ هـ .
- (١٣٢) مقدمتان فى علوم القرآن - نشر آرثر جفرى - تصحيح عبد الله إسماعيل
الصاوى ط الخانجى ١٩٧٢ م .
- (١٣٣) المتع فى التصريف لابن عصفور تح د / فخر الدين قباوة حلب ١٩٧٠ م .
- (١٣٤) مناهج البحث فى اللغة د / تمام حسان دار الثقافة المغرب ١٩٧٠ م .
- (١٣٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزرى - دار الكتب العلمية بيروت
١٤٠٠ هـ .
- (١٣٦) المنصف لابن جنى - تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط الحلبي ١٩٥٤ م .
- (١٣٧) نسب معد واليمن الكبير للكلبى تح د / ناجى حسن - بيروت ١٩٨٨ م .
- (١٣٨) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - تصحيح على محمد الضباع -
المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- (١٣٩) نقائض جرير والفرزدق - لأبى عبيد - أوروبا - بيروت .
- (١٤٠) النكت فى تفسير كتاب سيبويه للشنتمرى - تح زهير عبد المحسن سلطان
الكويت ١٩٨٧ م .

(١٤١) النهاية فى غرب الحديث والأثر لابن الأثير - تح الطناحى والزواوى القاهرة
١٣٨٣ هـ .

(١٤٢) النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى تح محمد عبد القادر أحمد - بيروت
١٩٨١ م .

(١٤٣) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى تصحيح النعسانى طبع السعادة
القاهرة ١٣٢٧ هـ .

فهرس الموضوعات

مقدمة تمهيدية

- ٧ في التماثل بين الصوائت وأنصاف الصوائت
- ٨٠٧ - قراءات النبي ﷺ في هذه الظاهرة
- ٨ - تفسير الظاهرة صوتيا
- ١٥ - توجيه القدامى لهذه القراءات
- ١٩ - مصدرها اللهجي
- ٢٣ في الأمالة
- ٢٦ - الوصف الصوتي للحركات الأصلية والفرعية
- ٢٦ - الحركات الأصلية
- ٢٨ - الحركات الفرعية
- ٣٤ - قراءات النبي ﷺ بين معايير الإمالة
- ٣٩ - مصدرها اللهجي
- ٤٤ في المماثلة بين الصوامت
- ٤٤ - قراءات النبي ﷺ في هذه الظاهرة

- ٤٥ - العلاقة بين السين والصاد وأصوات التفخيم
- ٤٨ - القراءة بالصاد
- ٤٩ - مصدرها اللهجى
- ٥٣ - التفسير الصوتى لهذه القراءة
- ٥٩ فى التبادل بين الحركات القصيرة
- ٦٠ ، ٥٩ - قراءات النبى ﷺ فى هذه الظاهرة
- ٦١ - بين الفتح والكسر فى فاء الاسم « السلم »
- ٦٢ - بين الفتح والكسر فى عين الفعل « يحسب »
- ٦٢ - بين الفتح والكسر فى حرف الجواب « نعم »
- ٦٣ - بين الفتح والكسر فى الظرف « قبل »
- ٦٣ - التفسير الصوتى للتناوب بين الحركات القصيرة
- ٦٦ - القراءات بين مقاييس المحدثين فى الظواهر اللهجية
- ٧٠ - أكثر القراءات غير معبر عن البيئات اللغوية للقراء
- ٧٢ - توجيه العلماء للقراءات المذكورة
- ٧٧ التناوب بين الحركات القصيرة فى فاء الكلمة
- ٧٧ - بين الفتح والضم

٧٧ ، ٧٨

- قراءات النبي ﷺ في هذه الظاهرة

٨٠

- العلاقة الصوتية بين الفتح والضم

٨٢

- الفتح والضم لغتان فصيحتان

٨٤

- مظهرها اللهجي

٨٨

- توجيه القدماء لهذه القراءة

٩٠

بين زيادة الحركة وحذفها « التثقيب والتخفيف »

٩٠

- قراءات النبي ﷺ في هذه الظاهرة

٩١

- التوجيه الصوتي

٩٢

- أي الصيغتين أصل في الآخر؟

٩٤

- مظهرها اللهجي

٩٩

في ظاهرة التخفيف والتشديد

٩٩ ، ١٠١

- قراءات النبي ﷺ في هذه الظاهرة

١٠٢

- بين فَعَلَ وَاِفْتَعَلَ

١٠٢

- التوجيه اللغوي للقراءة « تَخَذَ »

١٠٥

- مظهرها اللهجي

١٠٧

- بين فَعَلَ وِفْعَلُ

١٠٧ - التوجيه اللغوي للقراءة « وَفَى »

١١٠ - قراءة النبي ﷺ « قَدَرُهَا »

١١٢ - التوجيه اللغوي لهذه القراءة

١١٣ - قراءة النبي ﷺ « فَعَدَلَكَ »

١١٦ - تعليق على نسبتها اللهجية

١١٧ - قراءة النبي ﷺ « فَكُرْهُتَمُوهُ »

١١٩ - قراءة النبي ﷺ « مَاوَدَعَكَ »

١١٩ - التوجيه اللغوي للقراءة

١٢٤ - بين التشديد والتخفيف في عين الاسم

١٢٤ - قراءة النبي ﷺ « الحُنْسُ » ، « الكُنْسُ »

١٢٧ - قراءة النبي ﷺ « فارقوا دينهم »

١٢٧ - التوجيه اللغوي لهذه القراءة

١٣٠ - بين الهمز والتسهيل

١٣٠ - قراءات النبي ﷺ في هذه الظاهرة

١٣٢ - في الهمز والتسهيل

١٣٨ - العلاقة بين الهمزة وأصوات المد



- ١٤٠ - مناقشة الثقل والخفة بين الهمز والتسهيل
- ١٤٣ - التفسير الصوتي للهمز والتسهيل
- ١٤٧ - قراءة النبي ﷺ « وَجِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ »
- ١٥٠ - مصدرها اللهجي
- ١٥٤ - قراءة النبي ﷺ « هَيْتَ لَكَ »
- ١٦٠ - قراءة النبي ﷺ « فِي عَيْنِ حَمِيَةٍ »
- ١٦٥ - قراءة النبي ﷺ « كَرَكَبًا دَرِيٌّ » و « دَرِيٌّ »
- ١٦٩ - فهرس قراءات النبي ﷺ
- ١٧٤ - فهرس المصادر والمراجع
- ١٨٧ - فهرس الموضوعات

